

# عصر الدولة السعودية الثالث

## أوالنهضة السعودية الحديثة

هذا العصر الثالث والأخير من عصور الدولة السعودية هو عصر النهضة العربية السعودية الحديثة ؛ وبطل هذه النهضة وزعيمها هو صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية ، وسيد الجزيرة العربية . شهد هذا البطل وهو طفل ملك آباءه وأجداده ينهار في أواخر العصر الثاني ، وفرصيا مع أبيه من وجه العدو المتغلب محمد آل رشيد ، فشهد بذلك وهو لا يزال غض العود ضعيفاً عن احتمال الشدائد ، محنة أبيه الشيخ ترغمه حوادث الدهر وتلجئه الضرورة القاسية إلى الهجرة وترك الوطن فراراً بنفسه وأهله من خطر القتل ، وذل العبودية .

ثم انتهى به اللطاف إلى الكويت ، حيث نزل والده ضيفا على أميرها من آل الصباح ، يعيش في كنفه وتحت حمايته . ولم يزل على هذه الحال حتى أذن الله فقام الفتي عبد العزيز بمغامرته التي كانت تتيجتها أن استولى على الرياض ، فاستعاد بذلك عاصمة ملكهم القديم ، ووضع أساس الدولة السعودية الحديثة . أخذت الحوادث بعد هذا تتطور سراعا ، وهو يدير دفة الأمور بحكمة وسياسة ، تلحظه العناية ، ويصاحبه التوفيق حتى أصبح صاحب نجد والحجاز والملاحقات ، ثم ملك المملكة العربية السعودية .

ونحن إذا أردنا تفصيل الحديث عن هذه النهضة ، فإننا سنتحدث بذلك عن تاريخ حياة عبد العزيز آل سعود ، فهو قائد النهضة وباعثها ، على يده نشأت وبه ارتبطت وعرفت ، فهو إذاً بانها ورائعها . وستقسم الكلام فيها ونجعله عن أربع مراحل ؛ المرحلة الأولى من نشأة عبد العزيز إلى استيلائه على الرياض ؛ والثانية من الاستيلاء على الرياض في يناير سنة ١٩٠٢ م إلى تحالفه مع الإنجليز وعقد معاهدة القطيف سنة ١٩١٥ م ؛ والثالثة من ذلك الحين إلى سنة ١٩٢٦ حيث نودي بعاهل الجزيرة ملكاً على الحجاز بعد أن تم فتحه له ؛ والرابعة والأخيرة من ذلك الوقت إلى الآن .

# المرحلة الأولى في تاريخ عبد العزيز آل سعود

## نشأة عبد العزيز آل سعود

في ٢٠ ذى الحجة سنة ١٢٩٧ هـ / ٥ ديسمبر سنة ١٨٨٠ م ولد عبد العزيز ابن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود بقصر الرياض (١) ، فنشأ كما ينشأ أمثاله في هذا الوسط . تعلم القراءة والكتابة وأخذ يتلو القرآن ويحفظ منه ، ويتلقى تعاليم الدين ومبادئ المذهب الوهابي على أسياخه ؛ ثم شرع يتعلم ركوب الخيل وضروب الفروسية وفنون الرماية والضرب بالسيف بين أقرانه ولداته من أبناء سعود وأتباعهم .

ولد عبد العزيز في وقت تحالفت فيه الشدائد ضد أسرته بسبب اختلافهم على أنفسهم ، ووقوف عدوهم القوي محمد ابن رشيد لهم بالمرصاد ، فنشأ نشأة قاسية كان لها أثر كبير في تغلبه على الصعاب التي لاقاها في مستقبل حياته . وبعد مضي عشرة أعوام على ولادته ، رأى فيها أفراد البيت السعودي يختلفون ويقتتلون ثم تكون نهايتهم الوقوع في أسر ابن رشيد ، أذن لأبيه عبد الرحمن ابن فيصل بالعودة إلى الرياض في سنة ١٨٩٠ ، وقد كان أحد الأسرى في حائل .

(١) راجع « قلب جزيرة العرب » ص ٣٦١ ؛ و « ملوك المسلمين المعاصرون

ودولهم » ج ١ ، ص ١١٥ .

عاش عبد الرحمن بعض الوقت في الرياض إماماً للوهابيين وزعيماً لهم ، ولكنه ما لبث أن ضاق ذرعاً بهذا العيش الدليل الذي لم يألفه ، فقد كان نائب ابن رشيد في الرياض سالم بن سبهان هو صاحب النفوذ والمصرف للأمر . أما عبد الرحمن فقد كان يعيش فرداً من أفراد الرعية لا حول له ولا طول ، مراقباً من صاحب الأمر ابن سبهان . لهذا نراه يحاول استعادة السلطان في يده ، والقضاء على نفوذ ابن رشيد في الرياض ، فتقع بينه وبين ابن سبهان معارك تسيل الدماء فيها على مشهد من ابنه الصبي عبد العزيز ، ويكون لذلك المشهد الدموي أثره في نفس هذا الفتى الناشئ . كانت الغلبة في المبدأ لعبد الرحمن فقبض على ابن سبهان أسيراً ، ثم أطلق سراحه على أن تعود إمارة الرياض لآل سعود . وأخذ يعمل بعد هذا على مهاجمة ابن رشيد في حائل ، فاتفق مع زعماء ولاية القصيم في شمال نجد - وقد كانوا يبغضون ابن رشيد ويخشون شره - اتفق عبد الرحمن مع هؤلاء على أن يباعدوا بالإمارة ، ويقاتلوا معه عدوهم المشترك محمد ابن رشيد ، ويعملوا يداً واحدة على القضاء عليه . ولكن ابن رشيد كان أكثر منهم يقظة وحرصاً ، فإنه ما كاد يعلم باتفاق خصومه وتأهبهم لقتاله حتى باغتهم بقواته في ديارهم ، وانقض عليهم فمزقهم شر ممزق في موقعة المليدة (١) ، وقد قتل في هذه الموقعة زامل آل سليم حاكم عنيزة ، وابن مهنا حاكم بريدة (٢) ، وقد كان ذلك في سنة ١٣٠٨ هـ / ١٨٩١ م .

(١) يقع هذا المكان على بعد ست ساعات غربي القصيم .

(٢) عنيزة وبريدة ، هما المدينتان الرئيسيتان لولاية القصيم ، راجع « جزيرة العرب »

لم يسع عبد الرحمن ابن سعود بعد هذا ، وهو يرى قوة ابن رشيد ووقوفه له بالمرصاد ، إلا أن يهجر الرياض ، وينتقل بأهله وفيهم ابنه عبد العزيز آل سعود إلى مضارب بنى مرة بالربع الخالي بالقرب من الأحساء . وابتدأ عبد العزيز من ذلك الوقت يقطع الصحراء ويحجوب فيافيها ، يشارك أباه في محنته ، ويقاسمه الآلام على صغر سنه ، وبدء عهده بالحياة .

مكث الشيخ عبد الرحمن مع أفراد أسرته عند آل مرة نحو السبعة شهور ، ثم شرع يحاول من جديد حرب ابن رشيد ، وتخليص الرياض من يده ، ولكن ابن رشيد جهز جيشاً قوياً ، والتقى بعبد الرحمن في الحريلة ففضى على جيشه الصغير القضاء الأخير . وأيقن هذا بعد تلك الموقعة بأنه لا قبل له بابن رشيد فصمم على الرحيل حتى يقضى الله أمره ، وترك نجداً إلى الأحساء مع أسرته ، ثم إلى قطر ، حيث مكث قليلاً غير مرغوب فيه ، ثم ألقى عصا التسيار في الكويت ، حيث أذنت له الدولة العثمانية بالإقامة ، وأجرت عليه قليلاً من الرزق ؛ وقد كانت تطمع الحكومة التركية في استخدامه لحسابها ضد ابن رشيد الذي أخذ يقوى ويشدد . وكثيراً ما عودتنا هذه الحكومة أن تتقلب في مناصرة أمراء العرب ، والعمل على ضرب بعضهم ببعض .

نزل عبد العزيز مع والده وأسرته في الكويت بالقرب من الشيخ مبارك آل الصباح ، وكان ذلك سنة ١٣٠٩ هـ / ١٨٩٢ م ؛ ولم يزل هناك حتى ساقته الأقدار إلى المغامرة وفتح الرياض .

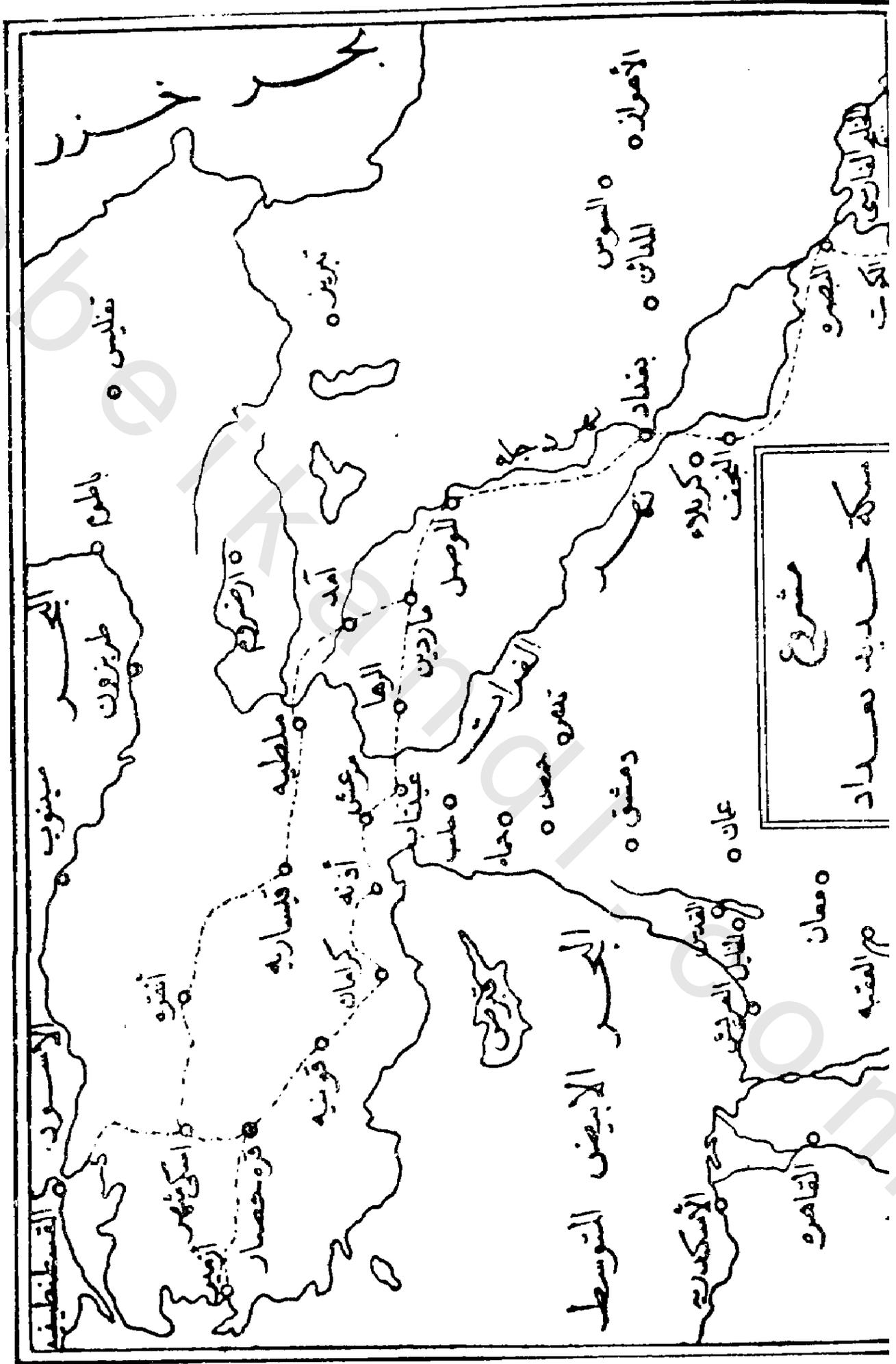
## معبشة في الكويت

وصل عبد العزيز إلى الكويت ، وهو في الثانية عشرة من سني حياته بعد أن مكث مدة في قبائل بني مرة ، وشاركهم الحياة البدوية الحشنة ، فاستعد بذلك لاحتمال ما سيلاقيه في حياته المستقبلية من الأخطار والمشقات . نزل الكويت في الوقت الذي كانت فيه هذه المدينة ميداناً للتنافس السياسي الدولي بين الدول العظمى ، فألمانيا تطمع في الحصول على امتياز سكة حديد بغداد من حكومة الباب العالي ساعية لذلك جهدها ، وتريد أن تجعل نهاية الخط مدينة الكويت على الخليج الفارسي حتى يتيسر لها أن تنشر نفوذها في هذه الأنحاء وتستغل الموارد الطبيعية الموجودة على شواطئ الخليج الفارسي وبالقرب منه ؛ وروسيا تزاحم ألمانيا وتعمل لعرقلة مساعيها ؛ وانكثرتا تخمى على نفوذها وممتلكاتها في الشرق من خطر الزاحمة الألمانية ، وتريد أن تستأثر بزيوت ومعادن هذه المنطقة الغنية . فهي تعمل جهدها لإحباط المشروع الألماني ، ولتقوية نفوذها في هذا المركز المهم<sup>(١)</sup> .

ولقد كان كل من هؤلاء المتنافسين يبغي اكتساب جانب أمير الكويت ويخطب وده ، فكانت الكويت بذلك مدرسة من مدارس السياسة العالمية ، وكانت الفرصة سانحة للأمير عبد العزيز آل سعود لأن يتلقى دروس السياسة

(١) راجع All-Islam ص ١٦ - ١٨ ؛ وص ٤٢ من كتاب :

Die Auferstehung Arabiens لروبرت دونكان طبعة ليزج سنة ١٩٣٥م.



مشرق

مسكة حديد بغداد

البحر الأحمر

البحر الأبيض المتوسط

الخليج الفارسي  
الكويت  
البحرين

نظيرس

باطون

البحر  
طريزون

ميناوب

القسنطينة  
الأسود

أنقرة

اسكندرية  
الزيتون

درة حصار

الرضوخ

ميطيه  
قيسارية

مرعش  
أذنه

كرمان  
قونية

تبريز

أمد

عنتاب  
طرب

الرها

ماردين

اللوصل

حمه  
تدمر  
حمص

كوتون

القدس  
الغليل  
المرجنيث

الأصولد  
السويس  
المدائن  
بغداد

عمر د جله

دمشق

عان

الأمسكندرية

كربلاء  
النجف

معان

القاهرة

مم العقبه

obeykanda.com

في هذه المدرسة ، فمكث في الكويت نحو عشر سنوات شهد فيها كثيراً من الحوادث التي أفادته وساعدته في النهاية على الاستيلاء على الرياض ، وتأسيس دولته ؛ وتعلم أساليب الحياة السياسية على يد صديقه وأستاذه البارع في فنون السياسة الشيخ مبارك ابن الصباح ، الذي كان قد حط الرحال بالكويت واستقر بجانب أخويه الشيخ محمد أمير الكويت والشيخ الجراح ، بعد أن رحل إلى البلاد المختلفة وبعد أن مكث مدة كبيرة بالهند كان فيها على اتصال بالاساسة الانكليز وصار ذا خبرة سياسية ممتازة ، وصاحب تجارب . ثم لم يلبث الشيخ مبارك أن جمع الناس حوله بما كان له من مواهب وصفات تحبب الناس فيه ، وأراد بعد ذلك أن يكون صاحب السلطان في الكويت فقتل أخويه ، وأصبح أمير الكويت في سنة ١٣١٤ هـ / ١٨٩٧ م .

ثم التجأ أبناء إخوته إلى الأتراك وإلى ابن رشيد بمحائل ، وشكوا لهم الشيخ مبارك ، وحرصوهم على حربه ، فوَقعت العداوة بينه وبين ابن رشيد ، وأراد الأتراك القبض عليه وترحيله إلى الاستانة فأرسلوا إليه سفينة حربية صغيرة لنقله إلى الاستانة بحجة أن الباب العالي قد أصدر الأمر بتعيينه عضواً في مجلس الشورى ، فالتجأ عندئذ إلى الانكليز بمشورة شيخ البحرين ؛ وكان أن منحه الانكليز حمايتهم<sup>(١)</sup> ومنعوه من الأتراك ، فاضطر قائد السفينة التركية إلى الخروج من الخليج وترك الشيخ مبارك .

(١) عقد الشيخ مبارك الاتفاق مع الحكومة الانكليزية سنة ١٨٩٩ م ولا تزال الكويت تحت الحماية الانكليزية بهذا الاتفاق من ذلك الوقت إلى الآن ؛ المرجع السابق ص ٥٤ ؛ و « جزيرة العرب » ص ٩٨ .

فكرت الدولة العلية بعد هذا أى الطرق تسلك للانتقام من هذا الرجل بحيث لاتصطم مع الإنكليز الأقوياء ، واهتدت فى النهاية إلى استخدام عبد العزيز بن متعب ابن رشيد الذى خلف عمه محمد ابن رشيد على حائل ضد أمير الكويت ، فأمدته بالمال والسلاح وكلفته بقتال هذا الرجل الذى خرج على الدولة وظاهر الإنكليز عليها . وفى سنة ١٣١٨ هـ / ١٩٠١ م كانت موقعة الصريف <sup>(١)</sup> بين الشيخ مبارك وبين عبد العزيز ابن رشيد ، وكانت الدائرة على الشيخ مبارك الذى فر بعد الموقعة إلى الكويت وتحصن بها ، ولولا أن خشى ابن رشيد بأس الإنجليز لاستطاع مهاجمة أمير الكويت فى حصنه ولاقتحم عليه بلده ، ولكنه اضطر إلى العودة إلى نجد بعد انتصاره فى الموقعة ، عاد وهو محقق على آل سعود وأتباعهم من النجديين الذين أمدوا أمير الكويت بالمساعدة ضده ؛ فأخذ يضطهد أتباع السعوديين فى نجد وينكل بهم انتقاما منهم ومن آل سعود اللاجئين إلى أمير الكويت .

بلغت أخبار هذه الاضطهادات وتلك المظالم إلى أسماع عبد العزيز آل سعود بالكويت ، وكان قد ضاق ذرعا بتلك الحياة الراكدة فى الكويت تحت كنف أميرها وفى حمايته ، فصمم على أمر خطير ، صمم على أن يقوم بمغامرته الجريئة التى كانت فاصلة فى تاريخ حياته وتاريخ أسرته ، والتى كانت نتيجتها التوفيق فاستعاد بها ملك آباءه المفقود ، واستولى على الرياض من جديد .

---

(١) الصريف : ماء بولاية القصيم شمال نجد وبالقرب من بلدة الطرفية التابعة لبريدة ،

راجع « قلب جزيرة العرب » ص ٣٦٣ .

## فتح الرياض

في سنة ١٣١٩ هـ / سنة ١٩٠١ م اجتمعت لدى الفتى عبد العزيز آل سعود عدة من العوامل التي جعلته يخاطر فيقوم بتغامرته السابقة الذكر ، وهذه العوامل نستطيع أن نأخصها في الآتي :

أولاً - أثر ماشاهده من محنة أبيه في نفسه .

ثانياً - أنفته من مواصلة هذا العيش الضيق في كنف أمير الكويت وتحت حمايته بعد أن فقدوا سيادتهم وملكهم .

ثالثاً - عدم احتمال له لتلك الحياة الراكدة التي كان يحياها في الكويت هو وأسرته .

رابعاً - ما بلغه من ظلم أتباع السعوديين واضطهادهم على يد عدوهم ابن رشيد (١) .

اجتمعت هذه العوامل في نفسه ، فجعلته يصمم على المغامرة والمخاطرة ، ويعزم على انتزاع الرياض من يد خصمه القوي مهما كلفه ذلك من تضحية ؛

(١) أسرف عبد العزيز ابن رشيد في الانتقام من أتباع السعوديين بعد موقعة الصريف التي انتصر فيها ، فقتلهم تقتيلاً ، وقطع نخيلهم وأشجارهم ، وقتل آدابهم ، وخرج بهذه الطريقة في الانتقام عن عادة العرب ، متأثراً بالأثر في طريقهم ؛ راجع Die Auferstehung Arabiens ص ٥٣ .

نُفِرَج وهو في قلة من العدد والعدة ، ولم يسمع لنصيحة والده الشيخ الذي نصحه بالتريث حتى يكون لديه من القوة ما يستطيع أن يعتمد عليه في تنفيذ مشروعه ، خرج مخاطراً مستهيناً بكل صعب ومستعداً للتضحية بنفسه وحياته . فإما إلى النصر ، وإما إلى القبر ، وفي كليهما راحة لضميره المعذب ، وهدوء لنفسه الثائرة .

خرج عبد العزيز من الكويت إلى الصحراء ومعه أربعون رجلاً فقط قد بايعوه على الموت ليصلوا من طريقه إلى الحياة ، وقد كانوا من أتباعه وقرابته وفيهم أخوه محمد وابن عمه عبد الله بن جلوي الذي حكم الأحساء بعد فتحها فبلغ الغاية في العدالة والنجاح في الحكم (١) ، والذي كان يعد في مقدمة المخلصين لابن عمه جلالة الملك ، ومن أكبر العاملين على توطيد ملكه . خرج بهذا الجيش القليل بعدده وعدته ، الكثير والقوى بإيمانه وشجاعته بعد أن أمده الشيخ مبارك بقليل من السلاح والذخيرة .

أراد عبد العزيز مهاجمة ابن رشيد فوضع لذلك خطة حكيمة تنبئ عن حنكة ومهارة حربية ، وكانت هذه الخطة تلخص فيها يلي .

١ — أن يخرج الجيش خفيفاً بالقليل من الزاد حتى يمكنه التنقل السريع ، والتزود من قرى نجد أمر ميسور في الطريق .

(١) راجع « منوك العرب » للريحاني ج ٢ ص ٧٢ — ٧٣ .

٢ — العمل على ألا يلتقي جيشه بجيش ابن رشيد الذي يفوقه في العدد والعدة وجها لوجه ، حتى لا يُمكنَ العدوُّ من إلحاق الضرر به ؛ وكانت طريقته في الحرب أن يهاجم على غير انتظار فينال من العدو ، ثم يفر سراعا إلى حيث لا يتمكن ابن رشيد من تعقبه على طريقة « حرب العصابات » .

٣ — أن يوقع أولا بالقبائل البدوية الموالية لابن رشيد حتى يدخل الرعب في قلوبهم ، وحتى يكون ذلك سببا في انفصال البدو عن عدوه وانضمامهم إليه ؛ وهو يعرف عن هؤلاء البدو أنهم ينضمون دائما إلى من يظنون أن الغلبة له على عدوه طمعا في الحصول على الغنيمة بالانضمام إلى الغالب .

٤ — أن تكون الرياض عاصمة ملكهم الضائع هي الهدف الحربي الذي يسعى لإصابته أولا ، فالرياض بعيدة عن مركز القوة لابن رشيد الخصم العنيد الذي يسكن في حائل شمال نجد ، وأهل الرياض وسكان الجنوب من نجد أغلبهم يوالى السعوديين ولا يتأخر عند سnoch الفرصة المناسبة عن معوتهم .

قصد الجيش الغامر إلى الصحراء آخذاً طريقه نحو الرياض ؛ وحمل على بعض القبائل الموالية لابن رشيد ، فال منهم على حسب الخطة الموضوعة وكانت النتيجة المنتظرة ، فانضم الكثيرون من البدو إلى جيش ابن سعود حتى بلغ نحو ألف مقاتل ، فيهم أربعائة فارس .

وبعد مضي أربعة أشهر في حرب مع قوات ابن رشيد تمكن هذا من حصار ابن سعود في الصحراء ، وقطع المدد عنه من جميع الجهات ؛ حيث إنه اتفق ( ٧ - النهضة الحديثة )

مع الأتراك في الأحساء ، ومع قاسم ابن ثاني أمير قطر على قطع المؤونة عن عبد العزيز ابن سعود ، وقد كان يتمون من هذه الأنحاء ؛ ثم والى مطاردته بجيوشه الكثيرة في الصحراء . وفي هذا الوقت العصيب تفرق البدو الذين لا يوثق بهم ولا يعتمد عليهم في الشدائد عن ابن سعود ، وعاد جيشه إلى ما كان عليه عند خروجه من الكويت ، وعدده أربعون رجلا فقط ؛ ولم تقف المحنة عند هذا الحد ، بل إن الأخبار وصلت إلى عبد العزيز بقطع الأتراك مرتب والده الشهري البسيط الذي كانوا يعطونه له ليعيش به في الكويت ؛ ووصلت مع هذه الأخبار كتب الشيخ مبارك آل الصباح أمير الكويت ، والشيخ عبد الرحمن والد عبد العزيز يطلبان إليه الكف عما لا قبل له به من الأعمال الحربية العدائية والعودة إلى الكويت .

اجتمعت المحن وتحالفت الأخطار ، ولكن كل هذا لم يضعف من عزم هذا الرجل المخاطر الذي قد صمم على أن يصل إلى غرضه أو يفنى دونه ، فأنحاز هو وجيشه الصغير الباسل إلى واحة جبرين في الطرف الشمالي من الربع الخالي ، وخطب رجاله قائلاً لهم : لا يبق منكم إلا من هو على استعداد للتضحية بنفسه في سبيل الوصول إلى الغرض ، أما من يفضل الحياة على الموت فأولى به أن يذهب لشأنه ، ويتركنا لشأنا ! ولكن رجاله المخلصين كانوا قد تأثروا بروحه واستعدوا للتضحية ، فباعوه جميعا على الطاعة ، وتحالفوا معه على الحياة أو الموت .

بقى عبد العزيز بعد ذلك مدة وهو يشيع عن نفسه الهزيمة ، وأنه عازم على الرجوع إلى الكويت تضليلاً لابن رشيد ، فأفلحت هذه الخدعة - والحرب خدعة - وظن الناس وفيهم الخصم ابن رشيد أن ابن سعود هام على وجهه في الصحراء بعد عجزه عن تحقيق أمنيته في فتح الرياض ، وأن الخطر على آل رشيد من ناحيته أصبح لا يعتد به .

وفي هذه الأثناء كانت عيون عبد العزيز التي بثها لاستطلاع الحال في الرياض قد وقفت على مقدار القوة التابعة لابن رشيد في الرياض ، وعلى المواقع المحصنة وغير المحصنة فيها ، ثم عادت إليه .

وفي أوائل رمضان سنة ١٣١٩ هـ وأواسط ديسمبر سنة ١٩٠١ م تحرك عبد العزيز ابن سعود نحو الرياض بدون أن يعلم أحداً بقصده ، وكان يسير بالليل ويختفي بالنهار مبالغاً في الكتمان وحرصاً على ألا يعلم ابن رشيد شيئاً عن حركاته حتى يستعد له .

وبعد قليل أصبح على مقربة من الرياض وقد انضم إليه عشرون آخرون من أتباعهم المخلصين في نجد ، ومن الحائقين على ابن رشيد ، فصار عدد جيشه ستين رجلاً .

وصل الجيش الفاتح إلى حدود الرياض أول الليل ، فترك ابن سعود عشرين من رجاله للاحتياط على مسافة ساعتين من المدينة بعد أن زودهم بالتعليمات ، ثم تقدم في الأربعاء الآخريين حتى البساتين الواقعة خارج

سور الرياض العروفة بالشمسية ، فترك هناك ثلاثين آخرين للرديف تحت قيادة أخيه محمد ، وتسلق السور في ظلمة الليل البهيم ومعه عشرة رجال منهم ابن عمه عبد الله بن جلوي ، وصاروا داخل المدينة التي ولد فيها ابن سعود والتي يعرف مواقعها تمام المعرفة .

قاموا بما يروونه لازما من الاحتياطات الجريئة ، ثم كمن هؤلاء المخاطرون للشيخ عجلان الوالي من قبل ابن رشيد على مقربة من باب الحصن الذي كان يبيت فيه بعد أن انضم إليهم الثلاثون الذين كانوا ينتظرون خارج السور تحت قيادة محمد بن عبد الرحمن آل سعود . وفي الصباح المبكر فُتح باب الحصن وأقبل الشيخ عجلان خارجا منه ، فباغته ابن سعود وأطلق عليه النار ، وبعد مدة يسيرة اشتبك فيها الرجال السعوديون مع رجال الحامية للوجود بالحصن تمكن عبد الله بن جلوي من قتل الشيخ عجلان ، قياد محمد بن عبد الرحمن إلى قطع رأس القتل وإعلان موته والنداء بأن المدينة أصبحت لابن سعود . فأسقط في يد رجال الحامية بعد قتل سيدهم وظنوا أن وراء ابن سعود جيشا كبيرا على أبواب الرياض ، فاستسلموا وأصبح عبد العزيز آل سعود سيد الموقف وصاحب الرياض بعد معركة قصيرة سقط فيها من رجاله اثنان وجرح أربعة .

ثم أقبل أهل المدينة يهتونه ويقدمون إليه الطاعة ، فرحين مستبشرين بهذا الفتح ، وقد لاقوا كثيرا من ظلم ابن رشيد واضطهاده لهم لما كانوا يظهرونه من الميل إلى آل سعود .

البحر

الكويت

الخليج

البحرين

القطيف

النفوذ

قبائل مطير

جبل شمر

الإطاحة •  
الزلم • عبدة • البكرة •  
القصيم • الشاه

الخنس الرشم

نجد

المراض • عيينه •  
جيلة •  
الرياحه • الدرة

السويه • الدلم

الخزرج للعوطة

رامه حبرين الافلاج

قطاع من

نجد

obeykandl.com

وعلى هذا الوجه تم فتح الرياض ، وهو الدعامة الأولى للمملكة السعودية الحديثة؛ وقد كان ذلك في أوائل شوال سنة ١٣١٩ هـ وأواسط يناير سنة ١٩٠٢ م . وعلى الرغم من وجود العوامل التي ساعدت على هذا الفتح مثل موالاته أهل الرياض للسعوديين ، فإنه أشبه بأن يكون خيالا وقصة من أن يكون حقيقة واقعة ؛ ولكنها الحقيقة التي لامراء فيها، والتي تضافرت كل الرويات من المعاصرين على وقوعها (١) ؛ وهو بعد يعتبر من أروع ما عرف التاريخ في ميدان البطولة والمغامرة .

ويجدر بنا هنا أن نشير إلى أثر العامل الروحي في نجاح عبد العزيز آل سعود في تأسيس الدولة الجديدة ، وأن تقرر أن العامل الديني كان الأساس الأول لقيام الدولة السعودية الثالثة ، كما كان كذلك بالنسبة للدولتين الأولى والثانية .

فجيش عبد العزيز في فتح الرياض لم يكن أكثر من ستين رجلا كما رأينا ، الأربعون الذين خرجوا معه من الكويت ، وعشرون آخرون من الأتباع المخلصين انضموا إليهم في الطريق ، فكان جيشه إذاً قليل العدد كما كان قليل العدد ؛ ولكن هؤلاء الرجال القليلي العدد والعدة كانوا كثرة قوية ، وقوة لا تعال بفضل ما ملأ نفوسهم من قوة الإيمان بالمبادئ الدينية الإسلامية ، وبفضل اعتقادهم بأن عليهم أن يجاهدوا في سبيل الله حتى ينتصر زعيمهم السياسي والديني عبد العزيز آل سعود ، وكى يستأنف الحكومة الدينية

---

(١) راجع جزيرة العرب ، لحافظ وهبه ، ص ٢٧٢ - ٢٧٥ ، و « قلب جزيرة العرب » لفتواد حمزة ص ٣٦٣ - ٣٦٤ .

الوهابية في نجد ويعيد مجدها ، فتحكم بمبادئ الدين وتنشر الدعوة الوهابية .  
وبمثل هذه الروح استقبل سكان الرياض وما يحيط بها زعيمهم الإمام عبد العزيز  
آل سعود حينما وفد عليهم فاتحا فسهلوا له المهمة ، وامتلاّت نفوسهم بشراً  
عند ما تغلب على حامية الرياض من جيش آل رشيد ؛ ثم ساعدوه على تحصين  
المدينة وتمكين نفوذه فيها ، وعلى توطيد دولته والاستيلاء على بقية البلاد  
النجدية تباعاً .

وبذلك تمكنت الدولة السعودية الثالثة وقامت أيضا على أساس من

الدين .

## المرحلة الثانية في تاريخ عبدالعزيز آل سعود

هذه المرحلة نعتبرها مرحلة تأسيس ، وتمكين للنفوذ ، فبعد أن تم فتح الرياض شرع عبد العزيز يستولى على المقاطعات النجدية تباعاً ؛ فاستولى أولاً على المقاطعات النجدية الجنوبية ؛ ثم اتجه نحو الشمال وانتصر على خصومه في صيف سنة ١٩٠٤ م ؛ وبعد صلح ومفاوضات مع الأتراك استطاع أن يلزمهم بسحب جنودهم من نجد في سنة ١٩٠٦ م .

ولقد منحت لابن سعود الفرصة بعد ذلك ليقتضى على الثورات الداخلية في نجد التي أثارها بعض المنافسين وذوى الأطماع بين القبائل النجدية ، فأصبح في نهاية سنة ١٩٠٩ م سيد الموقف وصاحب النفوذ في كل نجد ، ما عدا منطقة حائل التي كانت لا تزال في ذلك الحين مقراً لآل رشيد .

وبعد أن نجح في إصلاح نفوس البدو وتعويدهم النظام والاستقرار بتأليف جماعة « الإخوان » تطلع إلى أن يضم إلى ملكه في نجد مقاطعة الأحساء ، فاستولى عليها وانتزعها من الأتراك سنة ١٩١٣ م ، وبذلك قوى نفوذه ، وازدادت هيئته .

كل هذه أحداث تمت في المرحلة الثانية ، وسن فصلها في الآتي :

## الاستيلاء على القسم الجنوبي من نجد

استعاد عبد العزيز آل سعود الرياض عاصمة الدولة السعودية (١) ، وأخذ يحصنها ويبني حولها السور الجديد استعداداً لصد هجمات ابن رشيد المتوقعة . ولكن ابن رشيد لم يهتم بالأمر كما ينبغي ولم يبادر بالهجوم على الرياض ، لأنه كان يستصغر شأن عبد العزيز ابن سعود ويحسب أن في مقدوره القضاء عليه بسهولة في أي وقت يشاء ، وكان كل همه بعد سقوط الرياض أن يستعد لحرب أمير الكويت ويعمل جهده للقضاء عليه ، فهو مركز القوة ، وهو الذي أمد عبد العزيز ابن سعود ، وأعاناه في الاستيلاء على الرياض .

شغل ابن رشيد مدة عن ابن سعود ، فأعطاه بذلك الفرصة ليتحصن ويتقوى ، ويعمل على بث نفوذه في الجهات المحيطة بالرياض ، فشرع هذا يستولى على المقاطعات الجنوبية من نجد فاستولى على الحرج والأفلاج والحوطة

(١) اتخذ السعوديون الرياض عاصمة لهم من مبدأ قيام الدولة الثانية سنة ١٢٣٦هـ / ١٨٢٠م ، بعد تخريب الدرعية على يد القائد إبراهيم باشا سنة ١٢٣٣هـ / ١٨١٨م ، وهي بلد مسور يقع في منخفض في قلب الصحراء يحيط به كثير من الأشجار والنخيل . وقد بلغت حداً كبيراً من العمران في عهد الأمير فيصل جد الملك عبد العزيز ، ثم وقفت فيها حركة العمران وقت أن تركها آل سعود أيام محنتهم . ولما استردها جلالة الملك عبد العزيز عادت إليها الحياة ودب فيها النشاط من جديد ، وهي الآن عاصمة نجد ومقر الملك ومسكن خلفاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه ، ويبلغ سكانها نحو ٢٥ ألف نسمة . راجع « جزيرة العرب » ص ٥٦ .

ووادى الدواسر ، وأصبح بذلك جميع القسم النجدى الذى يقع جنوب الرياض فى حوزته وتحت سيطرته .

وفى هذه الأثناء استقدم عبد العزيز والده الشيخ عبد الرحمن بن فيصل آل سعود من الكويت ، واستقبله فى الرياض استقبالاً رائعاً ، ثم تلا ذلك مبايعة عبد الرحمن هو والوهابيون لابنه عبد العزيز بالزعامة الدينية والسياسية .

وفى ربيع الأول سنة ١٣٢٠ هـ / يونية سنة ١٩٠٢ م (١) قدم عبد العزيز ابن رشيد حاكماً حائل إلى الرياض محاولاً استردادها ؛ وكان ابن سعود قد علم بهذه الحركة فاستعد لها وترك والده فى المدينة مع حامية كافية ، ثم ذهب نحو الجنوب بجيش آخر مشيماً أنه مآرك الرياض وذهب إلى الجنوب إلا فراراً من وجه ابن رشيد ؛ والحقيقة أنه أراد بهذه الحركة تطويق العدو . فابن رشيد إذا اشتبك مع الشيخ عبد الرحمن فى الرياض استطاع عبد العزيز ابن سعود أن يهاجمه من الخلف ، ويجعله محصوراً بينه وبين قوات والده فى الرياض . فلما قدم ابن رشيد إلى الرياض لم يشتبك مع حاميتها ؛ بل غادرها وزحف نحو الجنوب فالتقى بالجيش السعودى فى بلدة الدلم عاصمة مقاطعة الخرج ، وكانت الهزيمة عليه فترك الدلم ، وذهب إلى بلدة السلمية فى الجنوب ، وكان نصيبه هنا أيضاً الهزيمة ؛ ولم يسعه بعد هذا إلا ترك هذه الجهات الجنوبية لابن سعود والرحيل إلى جهات الشمال .

(١) راجع « قلب جزيرة العرب » ص ٣٦٥ .

## الحروب في جهات الشمال والاستيلاء عليها

مضت سنة ١٣٢٠ هـ وابن سعود في الرياض يشمل سلطانه جميع الجهات الجنوبية ، ويعد العدة لاستخلاص الجهات الشمالية من نجد ، فلما كانت سنة ١٣٢١ هـ استنصر الشيخ مبارك آل الصباح بصديقه وحليفه ابن سعود ، وطلب إليه مساعدته ضد ابن رشيد الذي كان قد استعد لمهاجمة الكويت ، فذهب ابن سعود منفرداً إلى الشيخ مبارك في الكويت ، ثم خرج منها مع جابر بن مبارك على رأس قوة كبيرة وقصداً نحو ابن رشيد الذي كان قد توجه إلى الرياض بجيشه واشتبك مع حاميتها فعلا ؛ ولكنه لم يلبث أن تركها وذهب نحو الشمال للقاء عبد العزيز ابن سعود وجيش آل الصباح ، وكان اللقاء عند بلدة شقرا عاصمة إقليم الوشم من مقاطعات نجد الشمالية ؛ فانتصر ابن سعود على خصمه وقطع عليه الطريق نحو الكويت ، ثم استولى تباعاً على مقاطعات الوشم ، وسدير ، والمحمل .

وفي أواخر شهر ذي الحجة سنة ١٣٢١ هـ / مارس سنة ١٩٠٣ م عزم ابن سعود على الاستيلاء على ولاية القصيم في الشمال ، وفصل بجيش قوى من الرياض متجهاً نحو عنيزة التي ترابط فيها قوات ابن رشيد ، فلما كان بالقرب منها اشتبك مع جيوش الأعداء ، وكان النصر حليفه ، فقتل الكثيرين من خصومه ، وخلص أقاربه الذين كانوا في أسر ابن رشيد ، فعرف هؤلاء من ذلك الحين « بالعرائف » ، واقتحم عنيزة بجيوشه ، وأمر عليها من قبله آل سليم الذين

لا يزالون مخلصين له إلى الآن ، وبعد يسير تم له فتح عنيزة في ٥ المحرم سنة ١٣٢٢ هـ / ٢٢ مارس سنة ١٩٠٣ م ، وبريدة في ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٢٢ هـ ٣٠ مايو سنة ١٩٠٣ م ، وأصبح القصيم تابعاً له (١) .

### الحكومة العثمانية تدخل وتساعد ابن رشيد ضد ابن سعود

أصبح ابن سعود بعد استيلائه على المقاطعات الشمالية صاحب الكلمة النافذة في نجد جميعها تقريباً ، فلم يبق خارجاً عن دائرة نفوذه سوى حائل وما يحيط بها من جبال شمر ، حيث يسكن آل رشيد وقبائل شمر التي ينتمون إليها فكان هذا من أسباب القلق لدى الحكومة العثمانية ، ولدى الشيخ مبارك ابن الصباح أمير الكويت أيضاً .

أما الشيخ مبارك فقد خشي مزاحمة هذا الفتى القوى الجريء ولكنه لم يظهر بالمخاصمة له ، بل أخذ يدس في الخفاء ، ويعمل في ظلام الليل ، ملتجئاً إلى الحيلة والوقعة .

غير أن ابن سعود كثيراً ما كان يفضي عن أخطاء الشيخ مبارك لما كان بينهما من علاقات سابقة تكونت وتوثقت أيام إقامة ابن سعود بالكويت ، « ولأن موقفهما من أعدائهما ( كان ) لا يسمح لهما بدقة الحساب . ومبارك

(١) المرجع السابق ٣٦٦ ، و«جزيرة العرب» ص ٢٧٥ ، و«تاريخ نجد الحديث»

الداهية المراوغ كان يعرف كيف يرضى صديقه أمير نجد ، كما كان يعرف كيف يزيل من نفسه كل أثر لسوء تفاهم يحدث (١) .

وأما الحكومة العثمانية فإنها انزعجت حينما رأت هذا الفتى القوي الجريء عبد العزيز آل سعود ينجح في الاستيلاء على الرياض ، ثم في بسط نفوذه على البلاد النجدية جنوبا وشمالا بكل هذه السهولة والسرعة ؛ ورأت في ظهوره بعثا للخطر الوهابي الذي سبق أن أقلقها وأقض مضجعها وكلفها الكثير من الأموال والرجال ، كما رأت في قوته واتساع دائرة نفوذه ضياعا لسلطانها وإضرارا بمصالحها في الجزيرة العربية ؛ وخشيت إن هي تركت عبد العزيز آل سعود يستمر في طريق القوة وسعة النفوذ أن يكون مثالا يحتذيه غيره من زعماء العرب ، فتسقط هيبتها ، ويخرج من يدها الكثير من أملاكها ، خصوصا وقد أخذ مركز الدولة في بلاد العرب يتحرج ؛ فقد دخلت الكويت في حماية الإنكليز كما سبق أن ذكرنا ، وقد ابتدأت الفتنة تطل برأسها في البصرة ، كما كان اليمينيون متدمرين من الحكم التركي ناقلين عليه حتى أنهم رفعوا علم الجهاد ضد الأتراك عند مبايعتهم للإمام يحيى بالإمامة في يونية سنة ١٩٠٤ م .

كل هذا وغيره مما يتصل بمخروجة المركز الدولي لدولة الخلافة العثمانية وبعدم استقرار الحالة الداخلية في بلادها جعل السلطان عبد الحميد ورجال

(١) الشيخ وهبه في « جزيرة العرب » ص ٢٧٨ .

حكومته يفكرون في الأمر جديا . واستقر الأمر أخيرا على أن تقوم الحكومة العثمانية بحركة مزدوجة تصل من ورائها إلى أمرين (١) .

أولا — كسب عطف الشعوب الإسلامية ، وجمع المسلمين جميعا حول عرش السلطان عبد الحميد خليفة الإسلام والمسلمين ؛ فانتشر الدعاة للخليفة في كل مكان ، ووزعت الأموال على الزعماء وأصحاب النفوذ حتى يرتبطوا دائما برباط الولاء للسلطان ؛ كما أظهر السلطان عظفا خاصا على أهل الحجاز وسكان البلاد المقدسة وأبدى عناية واضحة بأمور الحج وتسهيله للمسلمين ، فكلفت حكومته المهندس الألماني ميسنر باشا « Meissner Pascha » بمد سكة حديد الحجاز (٢) تسهلا لسبل الرزق لسكان الحجاز ولسبل الحج لسائر المسلمين ، وكان هناك غرض مستور وراء هذا ، وهو أن تكون هذه السكة الحديدية وسيلة سريعة لنقل الجنود عند اللزوم . وكذلك شجعت الحكومة التركية حركة الدعوة « للجامعة الإسلامية » ، واستجلب الخليفة عطف المسلمين الهنود وسكان شمال أفريقيا .

(١) راجع Die Auferstehung Arabiens من ٦٨ .

(٢) تمتد هذه السكة بين دمشق والمدينة ويبلغ طولها ١٣٠٢ كيلو مترا ، ولقد ابتداء العمل فيها سنة ١٩٠١ م ، وتمت سنة ١٩٠٨ ، ثم افتتحتها الدولة العلية رسميا بأول قطار للمدعوين إلى هذا الاحتفال وصل إلى المدينة المنورة في شعبان سنة ١٣٢٦ هـ / أغسطس سنة ١٩٠٨ م ، راجع « الرحلة الحجازية » للبتنوني من ٣٠٣ الطبعة الثانية لسنة ١٣٢٩ هـ ، وراجع أيضا All-Islam من ٢٩ — ٣٠ . ولقد عطلت هذه السكة أثناء حرب سنة ١٩١٤ ، ولا تزال معطلة إلى الآن . ولكن إصلاحها والعمل على إعادتها صالحة للعمل كان ولا يزال موضع تفكير وبحث في المحيط العربي الإسلامي .

وثانياً — إظهار قوة الدولة وبيان أنها قادرة على تأديب المتمردين الذين يحاولون العصيان والخروج عن طاعة الخلافة ، حفظا لهيئة حكومة الخلافة في أعين الرعية . ولهذا رأيت هذه الحكومة أن تؤدب ابن سعود حتى تقضى على الخطر الآتي من ناحيته ، وحتى يكون عبرة لكل من تحدته نفسه بالخروج على الدولة ؛ فسارعت إلى تعضيد ابن رشيد خصم ابن سعود ، وأمدته بالمال وال سلاح والذخيرة ، راجية من وراء هذا أن تقضى على ابن سعود قبل أن يستفحل أمره . وهي تعلم جيداً أنه لا يقبل أن يكون من صنائعها والمنفذين لسياستها في الجزيرة العربية ، وتخشى أن ينحاز إلى جانب السياسة الإنكليزية فيكون الخطر على نفوذها في هذه الأنحاء حينئذ محققاً .

فأمد الوالي التركي في العراق ابن رشيد بقوة كبيرة (١) أخذت طريقها من بادية السماوة ، وانضمت إلى جيوش ابن رشيد في القصيم في أواخر ربيع الأول سنة ١٣٢٢ هـ / أوائل يونية سنة ١٩٠٤ م ؛ والتقت الجيوش التركية والرشيديّة بجيش ابن سعود في قرية البكيرية بالقرب من بريدة ، فكان القتال شديداً والموقعة حامية ، قتل فيها نحو ألف من الجيش السعودي ، ومثلهم من الأتراك ، وعدد كبير من جيش ابن رشيد ، وفيهم اثنان من أسرة آل رشيد وزعمائها وهم ماجد بن حمود وعبد العزيز الجبر . وبعد هذه الموقعة بقليل انتهز

(١) يقدر دونكان الجيش التركي بثمانية آلاف جندي نظامي « acht Batallion » ،  
مجهزة بستة مدافع ميدان ومعها الملاح الكافي ، وألفا صندوق من الذخيرة ، وعشرون  
حمل بعير من النقود الفضية ؛ راجع Die Auferstehung Arabiens ص ٦٨ .

ابن سعود فرصة خروج الجيش التركي في حملة تأديبية لبعض سكان البادية  
وهجم على معسكر الدولة وغنم كثيرا من السلاح والذخيرة ، فاستطاع بعد  
ذلك أن ينتصر على أعدائه ويستولى على البكيرية ويطاردهم إلى الخبر ثم إلى  
الرس ؛ وبعد مناوشات حربية دامت أربعة أشهر استطاع ابن سعود أن ينتصر  
انتصارا حاسما في موقعة الشنانة في ١٨ رجب سنة ١٣٢٢ هـ / ٢٨ سبتمبر  
سنة ١٩٠٤ م ، فهزم جيوش الدولة وابن رشيد هزيمة منكرة وغنم منهم  
الغنائم الكثيرة (١) .

### الأتراك يغيرون موقفهم ويعملون للصلح

بعد الهزيمة المنكرة التي ألحقها ابن سعود بجيوش الحكومة التركية ،  
رأت (٢) هذه أن تعقد صلحا معه ، فقبلت الاقتراح الذي تقدم به الشيخ مبارك  
آل الصباح ، وبعد تمهيد من الشيخ مبارك اجتمع للمفاوضة في الصلح  
نخري باشا والى البصرة مع الإمام عبد الرحمن والد عبد العزيز آل سعود ،  
واقترح نخري باشا الأمور الآتية أساساً للصلح :

(١) راجع « قلب جزيرة العرب » ص ٣٦٦ - ٣٦٧ .

(٢) بعد أن كثرت مشاغل الأتراك ورأوا في انتصار ابن سعود عليهم جرحا  
لكرامتهم ما كان أغناهم عن التعرض له في تلك الظروف الخرجة ، بعد هذا كانوا على  
استعداد لقبول توسط الشيخ مبارك بينهم وبين ابن سعود بالصلح . وكذلك ابن سعود  
رحب بالفكرة لأنه كان في حاجة إلى أن يهدأ ولو قليلا حتى يمكن لنفسه في داخلية البلاد  
التي استولى عليها ، وليستريح بعض الوقت من عناء القتال .

١ — اعتراف الحكومة التركية بابن سعود حاكماً للبلاد النجدية التي تحت يده ، وبتبعية هذه البلاد له .

٢ — أن تكون منطقة القصيم منطقة حياض بين ابن رشيد وابن سعود .

٣ — أن يحتل الجيش التركي هذه المنطقة وأن يكون مقره في عنيزة وريدة .

٤ — أن يكون ابن سعود نائبا عن الدولة و « قائمقام » لها في هذه المنطقة .

رجع الشيخ عبد الرحمن إلى نجد بعد المفاوضة ليستشير ابنه وقرابته فيما يحتمل من شروط للصلح واقتراحات ، وكانت الاقتراحات الخاصة بمنطقة الحياض وبقاء جيش احتلال تركي فيها غير مقبولة عند السعوديين ؛ ولكن الدولة أرادت أن تنفذ خططها مهما كلفها ذلك من أمر ، فأرسلت القائد أحمد فيضي باشا من العراق ؛ وصدق باشا من المدينة على رأس قوات كبيرة ، وكلفتهما الذهاب إلى نجد ، والعمل على تنفيذ خطة الصلح المشار إليها .

اتصل فيضي باشا بآل سعود وحصل الاتفاق على أن يجتمع بالشيخ عبد الرحمن في عنيزة لإتمام الصلح ؛ وكان ذلك على غير رغبة ابن رشيد الذي كان يريد حل المسألة بينه وبين السعوديين بالسيف بمساعدة الدولة .

ثم اجتمع فيضي باشا والشيخ عبد الرحمن وتفاوضا ؛ وكاد الأمر يتم بالصلح

على الشروط السابقة الذكر ، غير أن فيضى باشا اضطر وهو في نهاية المفاوضات وقبل الاتفاق النهائي أن يغادر نجدا إلى المدينة ثم إلى اليمن ، تنفيذاً لأمر الحكومة التركية التي أمرته بالذهاب إلى اليمن واستعادة صنعاء التي كانت قد سقطت في يد الإمام يحيى بعد حصار شديد .

ولم يوفق صدقي باشا إلى تميم الصلح بعد أن تركه زميله إلى اليمن ، فترك الأمر ووقف موقف المتفرج منتظراً ما سيجد من الخلاف وما سيقع من الحوادث بين ابن رشيد وابن سعود .

### قتل ابن رشيد والسحاب الأتراك من نجد

وبعد سفر فيضى باشا من نجد ، ترك ابن سعود القصيم وذهب إلى قطر على سواحل الخليج الفارسي لنجدة ابن ثاني صاحب قطر ومساعدته ضد خصومه ، فساءت الأحوال في القصيم واختلف أهله على أنفسهم وأصبحوا شيعا وأحزابا ، غالبيتهم تريد ابن سعود حاكماً عليهم ، وبعضهم يريد الدولة ، وآخرون يريدون ابن رشيد .

ولما علم ابن رشيد بخروج ابن سعود من القصيم اتهمها فرصة وزحف بحيشه نحو بريدة يريد احتلالها ، فاستنجد أهلها بابن سعود فأسرع بالعودة إليهم ، وفاجأ ابن رشيد في مكان يقال له روضة مهنا بالقرب من بريدة ، فحمل عليه حملة شديدة حتى فرق عنه أعوانه ؛ وكانت نهاية ابن رشيد القتل ، وكان ذلك في هفر سنة ١٣٢٤ هـ / أبريل سنة ١٩٠٦ م (١) . وتولى متعب بن عبد العزيز

(١) راجع « تاريخ نجد الحديث » ص ١٤١ .

إمارة حائل بعد موت أبيه ورأى أنه من الخير له أن يعقد صلحا مع ابن سعود ، فاتفق معه على أن يتنازل عن حقوقه في ولاية القصيم وسائر بلاد نجد في مقابل اعتراف ابن سعود له بالإمارة على حائل وأطرافها وما يحيط بها من بلاد شمر .

أما القائد صدق باشا فإنه لم يفلح في سياسته بعد سفر زميله فيضى باشا إلى اليمن ، وكان ذلك سببا في أن الدولة أبدلته بسامى باشا الفاروقى الذى قدم من المدينة إلى نجد فمر بابن رشيد فى حائل ، واتفق معه على أن تكون ولاية القصيم للدولة ، ثم التقى بابن سعود فى البكيرية وأخبره برأيه فى ضم القصيم إلى الدولة فلم يقبل ابن سعود وافترقا على خصام .

وفى شوال سنة ١٣٢٤ هـ / نوفمبر سنة ١٩٠٦ م أرسل ابن سعود إنذارا إلى سامى باشا يطلب إليه فيه الرحيل عن نجد فورا ، حيث إن أهل البلاد لا يرغبون فى حكم الدولة ، ويرون وجود الجيش التركى فى بلادهم جارحا لكرامتهم ، ويخبره بأنه سيحاربه إن لم يرحل فى الحال ؛ فقرر سامى باشا الرحيل عن نجد ، وتعهد ابن سعود بترحيل جيش العراق إلى العراق ، وجيش الحجاز إلى المدينة ، وشرع كل من الفريقين فى تنفيذ ما تعهد به ؛ فأصبح ابن سعود صاحب النفوذ المطلق فى نجد جميعها ، ما عدا حائل وما يحيط بها فإنها بقيت فى يد آل رشيد إلى حين (١) . وانهى بذلك نهائيا نفوذ الأتراك فى القصيم وسائر نجد .

---

(١) بقيت حائل فى يد آل رشيد حتى استولى عليها ابن سعود فى سنة ١٩٢١ م كما سيأتى مفصلا .

شغل آل رشيد بالخلاف بينهم في شأن الإمارة وأخذ يقتل بعضهم بعضا ، فسنحت الفرصة لابن سعود بأن يتفرغ لتحسين شؤونه الداخلية ، وبأن يوطد دعائم نفوذه وحكمه في بلاد نجد ، بعد أن أصبح غير منازع فيها . ولكنه لم يكد يشرع في ذلك وينتهر فرصة انشغال آل رشيد بأنفسهم ، حتى هاجمته الأخطار من جهات متعددة ، فقامت ثورة ضده في الجنوب من بعض قرابته الذين يطمعون في الحكم وفيهم « العرائف » الذين سبق أن فكهم من أسر ابن رشيد ؛ وفي الشمال ثار ضده آل رشيد بالاشتراك مع قبائل مطير تحت قيادة فيصل الدويش الذي أصبح بعد ذلك من خيرة رجال ابن سعود ، ثم انقلب ضده وحاربه حتى وقع في أسره ونال عفوهُ ؛ ثم واجه الخطر أخيرا ابن سعود من جهة الحجاز حيث تقدم الشريف حسين إلى نجد وأسر شقيقه سعد بن عبد الرحمن . وكانت هذه الحادثة أول الاحتكاكات بين ابن سعود والشريف حسين .

وقعت هذه الحوادث الجسام في سنة ١٣٢٧ هـ / سنة ١٩٠٩ م (١) ووفق ابن سعود إلى حلها ، بعضها بالسيف ، وبعضها بالسياسة ، فجرد بعض القوات إلى الجنوب ، وأخرى إلى الشمال ، وتم له التغلب على الثوار وإخضاعهم بالقوة بعد أن قتل نفرا من زعماء الثورة وأسر الكثيرين ؛ ثم تدخل الشريف خالد بن لؤى زعيم واحة ترَبَّة ، وسعى في الصلح بين ابن سعود وبين الشريف حسين ، فتم الصلح بينهما وافتدى ابن سعود أخاه سعداً من الأسر بالمال ؛ وبذلك طويت

(١) راجع « جزيرة العرب » لوهبة ص ٢٧٦ .

صحيفة الخلاف مؤقتا بين نجد والحجاز ، وتغلب ابن سعود بحكمته وشجاعته على ما قام في سبيله من صعاب .

### تكوين جماعة « الإخوان »

بعد أن تغلب ابن سعود على الثورات ، وبعد أن عقد الصلح مؤقتا مع الشريف حسين لم يقنع هذا الرجل البعيد النظر بكل ما حصل عليه ، ولم يشغله النصر على أعدائه عن التفكير في وسيلة يستطيع بها أن يقيم حكومة مركزية مسيطرة مطاعة من أفراد الرعية ؛ بل أراد أن يضع أساسا ثابتا لإصلاح أحوال الشعب ، وأن يعمل للقضاء على أسباب الخلاف بين البدو والحضر من سكان نجد ، وكل من الفريقين يبغض الآخر ويحتقره ولا يتورع من الاعتداء عليه .

نظر ابن سعود فوجد أن غالبية شعبه تتألف من البدو ، وهؤلاء قد تأصلت أخلاق الجاهلية في نفوسهم ، وألفوا الفوضى وعدم القرار في مكان ، فهم بهذه الحال لا يمكن الاعتماد عليهم في تأسيس ملك دائم ، ولا يوثق بهم إلا في الشدة ولا في الرخاء ، هم في السلم عالة ، وفي الحرب أتباع من غلب ، متقلبون في عقيدتهم ومعاشهم وصدقاتهم وعدائهم . رأى ابن سعود أن يعالج نفوسهم بنشر تعاليم الدين بينهم ، وأن يحب إليهم الاستقرار ويساعدهم على التوطن في مكان ، فعمد في سنة ١٩١٠م إلى القيام بحملة إصلاحية قوامها العلماء الدينيون الذين انبثوا بإرشاده وتوجيهه في سائر أنحاء نجد بين البدو

وأخذوا يدعونهم إلى ترك ما هم فيه ، ويطلبون إليهم القيام بالواجب الديني نحو الخالق ونحو إخوانهم من بني الإنسان ، ومحببون إليهم العمل والقرار في مكان .

وبعد جهد صادق مشكور أفلح الدعاة في دعوتهم ، وأخذ البدو يسكنون في القرى التي بنيت لهم وسميت بالهجر ، وكانت أول هجرة بنيت هجرة الأرتاوية ، بنيت على الطريق بين الزلفى والكويت سنة ١٣٣٠هـ/سنة ١٩١٢م وسكنها فيصل الدويش وجماعته من بني مطير ، وأصبحت في بضع سنوات مدينة عامرة تحوى بين جدرانها نحو عشرين ألفاً من السكان ، ثم تتابع بناء الهجر حتى أصبحت تزيد عن المائة (١) بمساعدة ابن سعود . وكان البناء بسيطاً والتكاليف قليلة ؛ تحفر البئر ، ويبني المسجد الذي يعتبر منتدى القرية ومدرستها ، وتبنى البيوت بسرعة وباقل التكاليف .

فانتقل البدو بهذا من حياة الجاهلية والفوضى إلى حياة جديدة ، وألف الله بين قلوبهم بفضل الدين فأصبحوا بنعمته إخواناً ، ولهذا تسموا بالإخوان ؛

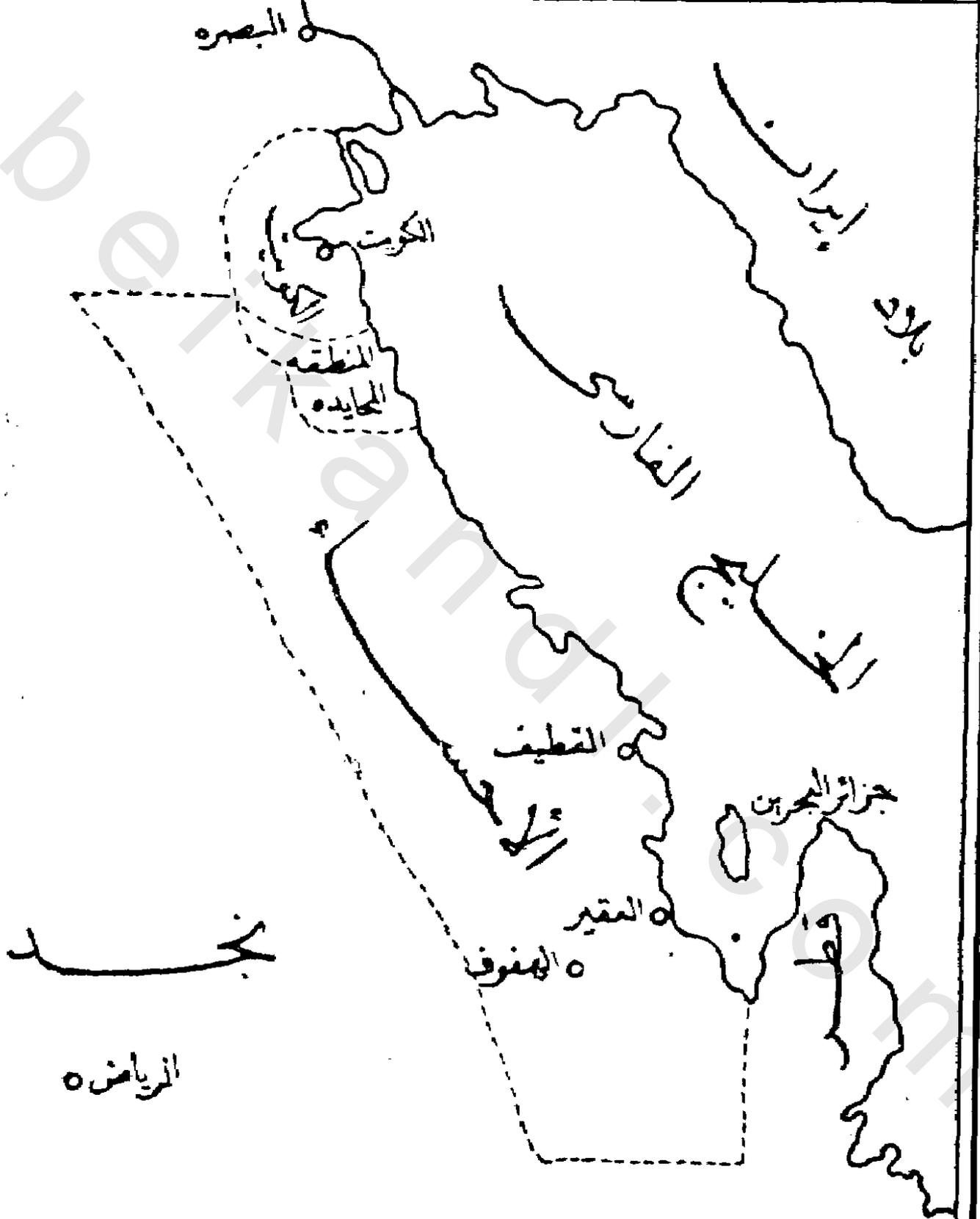
---

(١) يقدر الشيخ وهبة في «جزيرة العرب» ص ٣١١ عدد الهجر « بنحو ستين هجرة » ؛ ويقدرها الريحاني في « تاريخ نجد الحديث » ص ٢٣٦ ، ص ٤١٢ — ٤١٤ بنحو السبعين . ولكن فؤاد حمزة في « قلب جزيرة العرب » ص ٣٧٥ يقرر أن هذا التقدير أقل من الواقع بكثير « فقد ورد في كشف الهجر التي حضر مندوبوها اجتماع الجمعية العمومية التي عقدت في الرياض في جمادى الأولى عام ١٣٤٧ هـ ، اسم ١٢٢ هجرة »

كما سموا قراهم التي استقروا فيها هجرا لأنهم هاجروا باعترافهم لمبادئ الإسلام الصحيحة وسكناهم فيها من الفوضى إلى النظام ، ومن حال تشبه الجاهلية الأولى إلى حال الإسلام ، وكانت هجرتهم إلى هذه القرى في مبدأ الأمر دينية محضة وعلى صورة مبالغ فيها ؛ فلقد باعوا إبلهم ، وشرعوا يتفرغون لدراسة الدين في المساجد حتى أصبحت خاصة بهم . فأخذ العلماء التجديون بأمر ابن سعود يكافحون هذا التطرف البعيد عن الدين وتعاليمه ، ويصدرون الفتاوى الشرعية بضرورة العمل والكسب من التجارة والزراعة مبينين أن هذا لا يتنافى مع العمل للآخرة ، ولا مع أحكام الدين الذي من تعاليمه « إِعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا ، وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا » .

وبهذه الطريقة الناجحة وبعقرية ابن سعود الفذة أفلحت الدعوة ، واستطاع جلالة أن يغير من نفسية البدو وأن يصلح من حالهم ، فأصبحوا جيش ابن سعود الذي لا يقهر ، وعدته التي يعتمد عليها في الملتمات والخطوب ؛ وأصبحت المهجر معسكرات حربية منتشرة في جميع أنحاء البادية ، يسكنها جيش قوى قد أخذ نفسه بالطاعة التي لاحد لها لقائده وزعيمه ؛ كما أصبحت هذه المهجر مدارس يتعلمون فيها الدين والحلق وترك الخرافات والبدع ، ويحيون فيها حياة الطهارة والفضيلة والإيمان ، ومستعمرات زراعية ومناطق للعمل موزعة في أنحاء نجد ؛ فغير ابن سعود من طبيعة الصحراء بمثل ماغير من طبائع السكان . وفوق هذا فقد كانت حركة الإخوان الخطوة الأولى في طريق العمران والحياة المدنية الدائمة ، وحياة الدولة الجديدة التي أسسها ابن سعود .

# مقاطعة الأحساء



شمال

الرياض

obeykandl.com

## الاستيلاء على الأحساء

كانت مقاطعة الأحساء الواقعة جنوب الكويت وشمال قطر على الخليج الفارسي تابعة لآل سعود (١) ، فاستولى عليها الأتراك سنة ١٨٧١ م في أواخر العصر الثاني للدولة السعودية أيام الاضطراب الداخلى والخلاف بين أبناء فيصل ، وأصبحت من ذلك الحين تابعة لولاية البصرة . فلما استعاد عبد العزيز ابن سعود الرياض ، واستولى على المقاطعات النجدية في الجنوب والشمال ، وتم الصلح بينه وبين الأتراك ، وتوطد مركزه في داخل نجد ، أخذ يتطلع للاستيلاء على الأحساء وضمها إلى ملكه . وكانت خطته التي رسمها لنفسه بعد نجاحه في فتح الرياض أن يستولى على كل مايمكنه الاستيلاء عليه من أملاك الدولة في الجزيرة ؛ وفي سنة ١٩١٣ م سنحت الفرصة وشغل الأتراك بالحروب البلقانية ، واجتمع لديه كثير من الأسباب التي جعلته ينتهز الفرصة السانحة ويضم الأحساء إلى ملكه .

(١) دخلت الأحساء في ملك السعوديين في العصر الأول للدولة ، وفي عهد عبد العزيز ابن محمد بن سعود على يد قائده وولده سعود الكبير سنة ١٢٠٦ هـ / ١٧٩١ م . وبعد هدم الدرعية والقضاء على الدولة الأولى سنة ١٢٣٣ هـ / ١٨١٨ م استولى المصريون على الأحساء فأصبحت تابعة لدولة الخلافة ، وظلت كذلك حتى استردها فيصل بن تركي في عهد والده وفي العصر الثاني للدولة السعودية ؛ ثم خرجت من يد السعوديين مرة أخرى وقت الخلاف بين أبناء فيصل ، فاستولى عليها مدحت باشا وألحقها بولاية البصرة .  
راجع « جزيرة العرب » ص ٨٣ ؛ و « قلب جزيرة العرب » ص ٣٣٠ ، ٣٣٦ .

وهذه الأسباب المشار إليها هي :

١ - كانت العلاقات بين الأتراك وبين ابن سعود قد توترت ، وكانت العداوات قد بلغت أشدها ؛ « فقد حرصوا عليه الشريف حسين ، وابن رشيد وابن السعدون ، واستغفروا كذلك عشيرة من عشائره الكبرى هي مطير ، ناهيك بالعجمان في الأحساء ، وبحرب في أطراف الحجاز » (١) . فمن المعقول ، وقد أصبحت العلاقات بين الأتراك وبين ابن سعود على هذه الحال ، أن يجازيهم على موقفهم هذا منه ، وأن يثبت لهم قوته وخطره باستيلائه على الأحساء .

٢ - انحصار ابن سعود في قلب الجزيرة ، وحاجته للمنفذ الذي يصرف منه تجارة نجد ، وخاصة بعد أن ضيق الشريف حسين على النجديين ، وسد في وجههم طريق الحجاز ؛ فباستيلائه على الأحساء يجد هذا المنفذ ، ويسترد جزءا من أملاكهم القديمة .

٣ - كانت الأحساء قاعدة الأتراك في الأعمال الحربية والسياسية بالجزيرة ، وكثيراً ما صدرت منها المساعدات لابن رشيد في حروبه ضد ابن سعود ، فجدير بهذا إذاً أن يتهمز الفرصة ويستولى على هذه القاعدة المهمة .

٤ - كان الثوار من قبائل العجمان الضاربة على حدود الأحساء كثيراً ما يعتدون على القوافل النجدية التجارية اللاحقة إلى الكويت أو القادمة منها ،

(١) الريحاني ص ١٨٤ من « تاريخ نجد الحديث » .

ثم يفرون إلى الأحساء ، فواجب ابن سعود أن يستولى على الأحساء ؛ حتى يسد على هؤلاء سبل الإجرام ويؤمن طريق التجارة لبلاده .

اجتمعت هذه الأسباب ، فجعلت ابن سعود يعد العدة لفتح الأحساء ؛ ففي ربيع الثاني سنة ١٣٣١ هـ / مارس سنة ١٩١٣ م تحرك بجيشه البالغ نحو ستمائة مقاتل من الرياض متجهاً نحو الشرق وهو لا يعلم أحداً بقصده ولا إلى أين يريد . ولما قارب الحدود النجدية من جهة الجنوب الشرقي قام بتأديب بعض المذنبين من بني مرة ؛ ثم سار بالجيش حتى ماء الخفس بالقرب من حدود الأحساء ، وأمر الجيش بالتوقف هناك . وبعد ذلك ذهب هو في جماعة من رجاله إلى الأحساء مظهراً أنه يريد أن يمتار ويشترى الأرزاق ؛ وهو لا يريد في الواقع إلا أن يدرس المواقع ، ويرى الأحوال في الأحساء بنفسه ، حتى يمكنه أن يضع خطة يستطيع بها الاستيلاء على هذه الأنحاء بسهولة . وبعد أن تم الغرض وشاهد المواقع وقدر القوات التركية هناك عاد إلى ماء الخفس ، ثم إلى الرياض مبالغة في التعمية . وفي ليلة ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٣١ هـ / ١٣ ابريل سنة ١٩١٣ م كان ابن سعود وجيشه يحيطون بأسوار قلعة الكوت (١)

(١) هذه القلعة بناها سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود سنة ١٢٠٦ هـ /

١٧٩١ م ، وقت أن فتح مدينة المهفوف وانتصر على صاحبها ابن عريعر .

راجع « قلب جزيرة العرب » ص ٣٣٠ .

ويذكر الشيخ وهبه في « جزيرة العرب » هامش ص ٨٠ أن كلمة « الكوت »

كلمة برتغالية بمعنى القلعة وأنها من الكلمات البرتغالية التي كثر استعمالها في هذه المناطق =

واستولى عليها بسهولة؛ ثم قبض على أفراد الحامية التركية ورحلهم، ووضع يده على المهفوف والقطيف والعقير وسائر أنحاء الأحساء (١).

تم فتح الأحساء، وفك عبد العزيز ابن سعود الحصار الذي كان يحيط به فوجد منفذاً إلى البحر، واتصل مباشرة بالسياسة الانكليزية؛ وأصبح بإخضاع الأحساء لحكمه يشترك اشتراكاً فعلياً في توجيه السياسة في دائرة الخليج الفارسي؛ وفوق هذا كله فقد حصل ابن سعود بفتح الأحساء على أول مورد منظم للدولة بواسطة الرسوم الجمركية، وابتدأ عهداً جديداً في القوة والحكم.

أما الأتراك فقد كان موقفهم بعد ضياع الأحساء من يدهم موقفاً عجيباً غير منتظر؛ فبدل أن يعملوا على طرد ابن سعود من هذه الولاية، ويحاربوه حتى

بعد دخول البرتغاليين خليج فارس واستيلائهم على بعض المناطق هناك. ويقول الشيخ وهبه أيضاً في نفس الصحيفة إن ارتفاع سور الكوت يبلغ ٢٤ قدماً، وإن إبراهيم باشا بنى عليه أبراجاً لحماية البلد بعد استيلائه على هذه الجهات.

(١) كانت الحامية التركية التي في قلعة الكوت بالمهفوف تقدر بألف ومائتين من الجنود؛ ولكن ابن سعود فاجأهم، وتساق رجاله السور بواسطة جذوع النخل التي حملوها معهم لهذا الغرض. ولما دخل هو ورجاله المدينة ذهبت فرقة الثلاث إلى الأماكن التي عينها لها؛ ثم أمر أحد الجنود بأن يصعد إلى السور ويعدو عليه منادياً «الملك لله ثم لابن سعود»، من أراد العافية فليترم مكانه» فاستبشر الناس بذلك وسلموا عليه بالطاعة. أما الحامية فلم يسمعها بعد مناوشات غير مجدية إلا أن تستسلم للفاتح. راجع «تاريخ نجد الحديث» ص ١٨٧-١٨٨؛ و Die Auferstehung Arabiens ص ١٠٦-١٠٧.

يترعوها من يده ، يادروا إلى الاعتراف به كما لنجد ، وعينوه « متصرفاً » من قبلهم على الأحساء ، ومنحوه ألقاب الشرف ، بعد مفاوضات جرت بينه وبين والي التركي في البصرة . والباعث الذي جعل الحكومة التركية تقف هذا الموقف هو أنها كانت عاجزة عملياً عن حرب ابن سعود في ذلك الوقت الذي خرجت فيه منهوكة القوى من الحروب البلقانية ؛ ثم إنها أرادت أن تستغل الموقف لمصلحتها على أي وجه ، فرأت أن تكتسب عطف ابن سعود وولائه ، وقد برهن على أنه رجل قوى ؛ فبدل أن تخاصمه على غير طائل ، وتعطى بذلك الانكليز فرصة ليضموه إلى صفوفهم عمدت إلى الاعتراف به كما لنجد ، ثم عينته نائباً عنها في الأحساء الضائعة كما سبق أن ذكرنا (١) . وفي هذا اعتراف عملي بضم الأحساء إليه ، لأنه أصبح يدير الحكم في هذه المقاطعة ، ويتصرف في أمورها على أنها جزء من أملاكه ، وكما تقتضى مصلحته .

### موقف ابن سعود بعد فتح الأحساء

تغير موقف ابن سعود بفتح الأحساء كما ذكرنا ، فتوطد مركزه في داخل بلاده ، وازداد هيبته في أعين البدو وأمراء العرب بانتصاره على الدولة ، واعترافها

(١) كان تصديق الحكومة العثمانية على الاتفاق الذي تم بين ابن سعود بعد فتحه للأحساء وبين وفدها المؤلف برئاسة السيد طالب القتيب في الأيام السابقة لمبدأ الحرب العظمى سنة ١٩١٤ م . ولذلك فقد حالت الحرب دون تنفيذ هذا الاتفاق تنفيذاً شاملاً راجع « تاريخ نجد الحديث » ص ١٩٣ .

به على وجه يحفظ كرامته . واستطاع الانكليز أن يتصلوا به مباشرة ، وأن يدخلوا معه في مفاوضات لتسوية العلاقات بينهم وبينه .

ولكن ابن سعود على الرغم من انتصاره وتوطد مركزه أصبح بعد ضم الأحساء في مركز دقيق ، فلقد غدا في ملتقى التيارات السياسية المختلفة ، وكل منها يدفعه بقوة وعنف إلى اتجاه معاكس لاتجاه الآخر . فهذه انكلترا القوية صاحبة النفوذ في الخليج الفارسي أصبحت جاراً له من جهة الشرق في الخليج ، ومن جهة الشمال الشرقي في إمارة الكويت المشمولة برعايتها والخاضعة لنفوذها ؛ وهي تطلب إليه أن يتعاقد معها وينضم إليها في سياستها ضد الأتراك . وهذه تركيا تتوود إليه في الظاهر ، وتسوى علاقاتها معه فتقف منه موقفها المعروف بعد أن انتزع من يدها ولاية الأحساء ؛ ثم هي لاتزال راضية عن أعمال خصوم ابن سعود العدائية ، فهي تشجع جاره من جهة الشمال وخصمه ابن رشيد وتمده بالمال والسلاح ؛ كما أنها تنظر بعين الرضى إلى مايقوم به جاره من جهة الغرب الشريف حسين من محاولات يبنى بها التوسع في نجد .

ولم تلبث الحرب الكبرى الأولى أن قامت ، فتحتم على ابن سعود أن يختار لنفسه ، وأن يحدد موقفه ؛ فحاول في الأبداء أن يؤلف جهة عربية تعمل لخير العرب ولصالح الوطن المشترك ، وسعى لدى أمراء العرب ليتحدوا ويعملوا يداً واحدة في تلك الظروف العصيبة ؛ ولما لم يجد أذنأ سميعة لندائه صمم على أن

يعمل منفرداً متوخياً في ذلك مصالحه الخاصة ، وساعياً وراء الخير لبلاده (١) .  
تقدمت إليه انكلترة - كما قلنا - تطلب إليه أن ينضم إلى صفوفها وتمنيه  
المساعدة ، فأرسلت إليه في مبدأ الحرب المستر شكسير قنصلها العام في الخليج  
الفارسي ، وكلفته أن يطلب منه الدخول مع الانكليز في حرب الأتراك ، وأن  
يحرّضه على حرب ابن رشيد الموالي للأتراك ، ويعدّه المساعدة بالمال والسلاح .

فرأى ابن سعود أن يقف في تلك الحرب موقف الحياد المشبع بروح الود  
نحو الانكليز ، فيكتسب بذلك عطفهم ومساعدتهم المالية والحربية ضد خصمه  
ابن رشيد ، ويحتفظ بقواه في داخل بلاده ليستخدمها عند سئوح الفرصة  
لحسابه الخاص . وقبل الانكليز منه ذلك ، وكانت النتيجة أيضاً في صالحهم ،  
فقد آمنوا جانبه أثناء الحرب ، وأخرجوه من صفوف الأتراك أعدائهم .

اتفق الانكليز معه على أن يقف موقف الحياد ، ودفعوا له شهرياً خمسة

---

(١) كتب ابن سعود إلى الشريف حسين ، وابن رشيد ، وابن الصباح يقترح  
عليهم الاجتماع معه للتفاهم على الخطة التي ينبغي اتباعها ويقول لهم « علنا نتفق فننقذ العرب  
من أهوال الحرب ونتحالف ودولة من الدول لصون حقوقنا وتعزيز مصالحنا » . فكان  
موقف ابن رشيد موقفاً واضحاً حيث كتب بالجواب الصريح وقال « إني من رجال الدولة  
فأحارب إذا حاربت وأصالح إذا صالحت » . أما الشريف حسين والشيخ مبارك آل الصباح  
فقد كان موقفها مشوباً بالاتواء وعدم الصراحة . وترتب على هذا كله أن ذهبت دعوة  
الاتحاد والتفاهم التي بعث بها ابن السعود لأهراء العرب أدراج الرياح .

المرجع السابق ص ١٩٦ - ١٩٧ ؛ و « جزيرة العرب » ص ٢٧٦ .

آلاف من الجنبيات ثمناً لهذا الحياذ الذي كان في صالحهم كما بينا ؛ ثم أخذوا يحرضونه على حرب ابن رشيد هذا الخصم المشترك ، فهو يعادى ابن سعود صديقهم ، ويوالي الأتراك خصومهم (١) .

### موقعة جراب وثورة العجمان

وحينا رأى الأتراك أن المستر شكسبير القنصل الانكليزي قد وصل إلى بلاط ابن سعود ، وأن ابن سعود يسمع لنصحه ويفاوضه ساءهم هذا ، فأمدوا ابن رشيد بالسلح والمال ، وجعلوه يتحرك بجيشه لحرب ابن سعود ، فلم يكن من ابن سعود إلا أنه استعد للقاء العدو ، والتقى الجيشان بجراب في الجهة الشمالية الشرقية من نجد ، وكان ذلك في ربيع الأول سنة ١٣٣٣ هـ / يناير سنة ١٩١٥ م (٢) . وقعت المعركة ولكنها لم تكن فاصلة ، فلقد أصيب كل من الفريقين المتحاربين بالخسائر الفادحة ، وقتل المستر شكسبير ، وقد كان

(١) يقول الريحاني : « الحقيقة التاريخية هي أن ابن سعود أقام في البدء ( بدء الحرب ) على الحياذ ، فلم يحارب الحسين كما أراد الترك ، ولم يشترك في محاربة الترك بالعراق كما أراد الانكليز ، ولا منع رسل الدولة من المرور بنجد وهم حاملون المال إلى إخوانهم الأتراك في اليمن » . راجع « تاريخ نجد الحديث » ص ١٩٨ ؛ و « قلب جزيرة العرب » ص ٣٧٦ .

(٢) راجع « تاريخ نجد الحديث » ص ١٩٩ ؛ و « قلب جزيرة العرب » ص ٣٧٦ .

يحارب في صفوف ابن سعود ويدير أثناء المعركة المدفع الوحيد الذي يملكه (١)؛  
وذهب كلا الفريقين بعد الموقعة بمن بقي من جنده إلى حيث أتى .

انتهزت قبائل العجمان الضاربة بين نجد والأحساء فرصة خروج ابن سعود  
من هذه الموقعة منهزماً وثارَت ضده . وكان العجمان يبغون بثورتهم على  
ابن سعود وخروجهم عليه التحرر من حكمه ، والعودة إلى حالتهم الهمجية  
الأولى التي قد ألفوها ولا يطيقون غيرها ؛ وقد كان ابن سعود قبيل موقعة  
الجراب قد أدبهم ونال منهم بعد أن اعتدوا على ابن الصباح أمير الكويت وعلى  
أهل الكويت بنهب إبل لهم .

ثار هؤلاء العجمان لهذه الأسباب ، وبتحريض من بعض أقرباء ابن سعود  
المنافسين له والطامعين في الملك ؛ فاشتد خطرهم ، وحاصروا المهفوف عاصمة  
الأحساء مدة ؛ ثم فكوا حصارها ، وأخذوا يعيشون في الأرض فساداً .

ولما وصلت أخبار الثورة إلى ابن سعود ، وهو في طريق عودته من الموقعة ،  
كتب إلى والده بالرياض ، وإلى الشيخ مبارك ابن الصباح بالكويت يطلب  
منهم المعونة والمدد لحرب الثوار ؛ فأرسل إليه الشيخ مبارك ابنه سالماً في بعض

---

(١) راجع *Geschichteder islamischen Völker* لبروكمان ص ٤٣٠ .

ويقول الريحاني إن شكسبير رجا ابن سعود أن يكون أحد جنوده بالمعركة ، فقبل  
ابن سعود بعد إلحاح . « تاريخ نجد الحديث » ص ١٩٨ — ٢٠٠ .

الرجال (١) ، ووصلته الأمداد من والده ؛ فجمع قواه واشتبك مع العجمان في عدة حروب ، حتى استطاع بعد عناء وخسارات كبيرة ، وبعد أن جرح جراحات بالغة أن يشتت شملهم ، وأن يلجئهم إلى الهرب والفرار من وجهه ؛ ولكنه لم يستطع القضاء على ثورتهم والتنكيل بهم إلا في السنة التالية سنة ١٩١٦ م .

وفي أثناء مطاردة ابن سعود للثوار قدم السير برسي كوكس القنصل البريطاني الجديد وخلف المستر شكبير إلى القطيف ، وأرسل إلى ابن سعود يطلب مقابله للحديث معه في أمور هامة ؛ فذهب إليه والتقى بجزيرة دارين تجاه القطيف ، واتفقا بعد مفاوضة على معاهدة القطيف التي وقعت في صفر سنة ١٣٣٤ هـ / ديسمبر سنة ١٩١٥ م ، والتي دخل بمقتضاها ابن سعود في الحماية الإنجليزية وسلك بها السبيل التي سلكها قبله غيره من أمراء العرب .

## (٢) معاهدة القطيف

تشتمل هذه المعاهدة على سبع مواد ، المادة الأولى منها تنص على اعتراف

(١) كان عدد الرجال الذين أمد بهم الشيخ مبارك ابن سعود لا يتجاوز ثلثمائة وخمسين رجلا ، ولم يكن الشيخ مبارك مخلصا في هذه المعونة ، فقد ظهر أنه أوصى ابنه وكتب إليه بالتواطؤ مع الثوار وخيانة ابن سعود . المرجع السابق ص ٢٠٤ — ٢٠٥ .

(٢) راجع نص المعاهدة في ملحق الوثائق بنهاية الكتاب :

الحكومة البريطانية بابن سعود ، وخلفائه من بعده حكاما لنجد والأحساء وتوابعها . والثانية تنص على حماية الإنكليز له من الاعتداء الخارجى . والثالثة والرابعة تقيده في معاملاته مع الدول الأخرى وتحرم ان عليه أن يتعامل أو يعقد الصلات مع أى دولة أخرى إلا بمشورة الإنكليز ورضائهم . والخامسة يتعهد فيها ابن سعود بحرية المرور في بلاده ، وبالحماية للرعايا الإنكليز المسلمين أثناء ذهابهم إلى الحج وعودتهم منه . وفي السادسة يتعهد بعدم التعدي على الإمارات العربية الواقعة على الخليج الفارسى ، والحماية من الإنكليز . وفي المادة السابعة يتفق الطرفان على عقد معاهدة أخرى أكثر تفصيلا في المستقبل .

وبقيت هذه المعاهدة أساساً للتعامل بين الطرفين حتى تغيرت الأحوال وألغيت سنة ١٩٢٧ م ، وأبدلت بمعاهدة جدة التي أثبتت استقلال ابن سعود ، والتي سنتكلم عنها فيما بعد .

obeykandl.com

## المرحلة الثالثة في تاريخ عبد العزيز آل سعود

أصبح ابن سعود بمعاودة القطيف متعاهداً مع الإنكليز ، داخلاً في حمايتهم ، ملزماً برعاية مصالحهم وعدم الخروج عليهم ؛ ولكنه - كما قلنا - قد حدد موقفه في الحرب الكبرى الأولى وصمم على أن يقف موقف الحياد ؛ وقبل الإنكليز منه ذلك ورضوا به . أما الأتراك فقد توددوا إلى ابن سعود عقب استيلائه على الأحساء بما رأينا ؛ ثم شرعوا يعرضون عليه إمارة مكة <sup>(١)</sup> بعد أن رأوا الشريف حسين يتحرك نحو الثورة عليهم والانفصال عنهم ، وبعد أن شعروا بمفاوضته مع الإنكليز ، ييغون بذلك أن يجذبوا أمير نجد نحو صفوفهم . ولكنه لم يقبل هذا العرض ، لأنه يعرف أنه سيغضب بذلك الإنكليز ، وليس من صالحه أن يخاصمهم ؛ كما أنه يعرف أن الأتراك سوف لا يستطيعون في محنتهم تنفيذ ما وعدوا به . كل هذه العوامل جعلته يحدد موقفه على الوجه السابق ؛ فدخل بذلك ابن سعود في مرحلة جديدة في تاريخ حياته ، وتاريخ دولته ، كانت في عيونها مرحلة استجمام وانتظار حتى انتهت الحرب في سنة ١٩١٨ م ؛ ثم تحولت إلى مرحلة تمكين النفوذ وبسط السلطان على المناطق المجاورة لحماية الأملاك السعودية ، وتوسيع رقعتها ، ولاتقاء خطر المنافسين والخصوم من زعماء الجزيرة العربية .

(١) راجع « جزيرة العرب » لوهبة ص ٢٣٢ .

وجه ابن سعود كل همه إذاً إلى تسوية حسابه مع جيرانه ابن رشيد والشريف حسين ؛ ولقد أخذت علاقته بهما تتطور أثناء الحرب وبمده حتى استقرت أخيراً ، وتمت له الغلبة عليهما واستولى على حائل سنة ١٩٢١ م وعلى جميع بلاد الحجاز في نهاية سنة ١٩٢٥ ؛ فأصبح زعيم العرب وملك نجد والحجاز والملحقات .

وإليك تفصيل الحوادث والحروب التي وقعت بينه وبين هؤلاء بعد معاهدة القطيف إلى نهاية هذه المرحلة .

### ابن سعود وابن رشيد

وقف آل رشيد في الحرب الكبرى الأولى إلى جانب الأتراك ، فأمدهم هؤلاء بالمال والسلاح ، وأعانوهم ضد ابن سعود حليف الإنكليز . ورأى الإنكليز من ناحيتهم أن يعملوا للقضاء على آل رشيد أصدقاء أعدائهم الأتراك ، فأخذوا يحرضون ابن سعود لقتالهم ، ويمدونهم بالمساعدات حتى يقوم بالمهمة ويقضى عليهم ؛ وهو أمر محبب إلى نفسه ، فهو يتوق إلى التفرد بحكم نجد ، ويريد سحق العدو الرابض بحائل .

مضت سنة ١٩١٦ م بعد عقد المعاهدة وابن سعود في الرياض ، ولم يقم بحروب مع آل رشيد ؛ وفي أواخر سنة ١٩١٧ م استبطن الإنكليز وطلبوا إليه على لسان وفد التعمير بحرب هؤلاء ، فوعد ابن سعود بتلبية هذه

الرغبة ؛ وفي سنة ١٩١٨ حضر المستر فلي أحد الموظفين الإنجليز بالبصرة (١) إلى البلاط السعودي بالرياض موفداً من قبل حكومته يطلب الوفاء بالوعد في حرب آل رشيد ؛ فتحرك ابن سعود بجيشه نحو حائل بعد فشل المحاولات التي قام بها مشايخ شمر في سبيل الصلح والتوفيق بين ابن سعود وابن رشيد ، وبعد أن رفض هذا الأخير شروط الصلح التي اشترطها ابن سعود ، والتي كانت تحد من سلطان آل رشيد .

وصل ابن سعود إلى جبال شمر بالقرب من حائل ، وحارب ابن رشيد وانتصر عليه ؛ ثم عاد إلى الرياض بعد أن وجد أن حصار حائل سوف لا يفيد شيئاً . وبعد ذلك وردت الأخبار بانتصار انكترا وحلفائها في الحرب ، وبوقف القتال ، وعقد الهدنة ، والشروع في مفاوضات الصلح ؛ فتوقفت حركات القتال أيضاً في جزيرة العرب .

ثم كانت صلات ابن سعود بآل رشيد بعد انتهاء الحرب الكبرى محدودة ، ومنظمة بواسطة معاهدات الصلح التي عقدها معهم ، ولكن آل رشيد كانوا على خلاف شديد فيما بينهم ، وكانت حكومتهم تتغير وتبديل في لحظات قصيرة

---

(١) اعتنق المستر فلي فيما بعد الإسلام ، وسمى نفسه الحاج عبد الله فلي . ولقد حاز ثقة صاحب الجلالة ابن سعود ؛ وهو يتوسط لديه وله في كثير من الأعمال التجارية والسياسية ويقضى أغلب أيامه في بلاطه . ويتشكك بعض الناس في اسلام هذا الرجل وإخلاصه للعرب ، راجع ص ٥١ من كتاب « جولة في ربوع العالم الإسلامي » لثابت .

وكثيراً ما كان يتحكم في أمرهم العبيد والنساء في قصر آل رشيد . وكانت كل حكومة تتجدد بحاجة إلى الاتصال بابن سعود ، وتسوية علاقاتها معه ، فخشى ابن سعود عاقبة هذا الاضطراب في حائل ، واصبح يفكر في علاج هذه الحال ، وهل علاجها يكون إلا بالسيف والقضاء على حكومة آل رشيد وضم أملاكهم إليه ؟ !

اجتمعت الأسباب الدائمة للقضاء على آل رشيد لدى ابن سعود ، فلقد أخذت العلاقات بينه وبين الشريف حسين تسوء ، وأخذ الشريف حسين على الرغم مما كان بينه وبين آل رشيد من عداوة أثناء الحرب الكبرى يتودد إليهم ويحجب رغبتهم في مساعدتهم بالمال والسلاح ليثوروا على ابن سعود ويحاربوه ، ونجده يلح عليهم فعلا في سنة ١٩٢٠ م في مطالبتهم بحرب السعوديين (١) ؛ وفوق هذا فلقد أخذ آل رشيد يسعون من ناحيتهم في تحسين علاقاتهم بالإنكليز في العراق ، ويعملون لعقد صلح معهم ، وهذا مالا ينظر إليه ابن سعود بعين الرضا والاطمئنان ، ثم أخذوا أيضاً يعملون للاتفاق مع آل الصباح أمراء الكويت ضد نجد . واخيراً حدث ما انضم إلى هذه الأسباب فقواها وجعل ابن سعود يعجل بضربته القاضية ، وذلك أن الحكومة الإنكليزية رأت في سنة ١٩٢١ م إرضاءاً للشريف حسين وأبنائه ، وتقريراً لسياستها في الشرق العربي ، رأت أن تنشئ مملكة العراق وإمارة شرق الأردن ، وأن تجعل

(١) راجع « قلب جزيرة العرب » ص ٣٨٠ — ٣٨١ ؛

Die Auferstehung Arabiens ، ص ١٥٤ .

الأمير فيصل ابن الشريف حسين ملكا في الأولى ، وأخاه الأمير عبد الله أميراً في الثانية. فحضر المسر تشرشل رئيس وزراء بريطانيا الحالي ، ووزير المستعمرات في الحكومة الإنكليزية إذ ذاك من لندن ، وعقد « مؤتمر الشرق الأدنى » بالقاهرة والقدس في شهري مارس وأبريل من سنة ١٩٢١ م ، وقرر هذا المؤتمر قيام المملكة العراقية ، وإمارة شرق الأردن ، وإسنادها إلى أبناء الشريف حسين كما ذكرنا (١) ، وأصبح ابن سعود محاطاً بالأشراف من جهات عدة ، وله معهم حدود مشتركة في العراق ، وشرق الأردن ، والحجاز ، فرأى نفسه مضطراً للقيام بحركة سريعة يستولى بها على حائل ويقضى على آل رشيد ، حتى يستطيع التفرغ لمواجهة أعدائه الأشراف الأقوياء الذين أصبحوا يطوقونه ويحيطون به من ثلاث جهات .

### سقوط حائل والقضاء على آل رشيد

جهز ابن سعود جيشاً قوياً (٢) وجعله فرقتين ، عهد بقيادة إحداهما إلى أخيه وشريكه في فتح الرياض محمد بن عبد الرحمن آل سعود ، وبقيادة الأخرى إلى ابنه وولي عهده الآن الأمير سعود ؛ ثم أمر أخاه بالذهاب إلى حائل رأساً

(١) راجع « قلب جزير العرب » ص ٣٨٣ — ٣٨٤ ؛

Die Auferstehung Arabiens ، ص ١٦٣ .

(٢) يقدر الريحاني هذا الجيش بعشرة آلاف مقاتل ؛ راجع « تاريخ نجد الحديث »

وحصارها ، وابنه بالذهاب إلى حيث تسكن قبائل شمر في المكان المعروف بجبال شمر شمال حائل ومهاجمة هذه القبائل وتشتيت شملها ، وكلفه أن يتوجه إلى حائل بعد القيام بمهمته ويشارك في حصارها حتى تسقط في يد الجيش السعودي .

ذهب الأمير محمد إلى حائل وحاصرها ، وبعد مدة انضم إليه الأمير سعود بعد القيام بمهمته السابقة الذكر ؛ ولكنهما لم يستطيعا تطويق حائل من جميع الجهات ولا تضيق الحصار عليهما مع المقاومة الباسلة التي أبدتها أهلها . وعلى الرغم من وقوع الخلاف بين آل رشيد في هذا الوقت الحرج ، ومن فرار الأمير عبد الله بن متعب أمير حائل إلى معسكر الأمير سعود بن عبدالعزيز ، استطاع محمد بن طلال الذي خلف الأمير الفار على المدينة أن يواصل الدفاع عنها ويصمد في وجهه المغير مدة طويلة ، حتى استتبأ ابن سعود جيشه في القيام بالمهمة التي عهد بها إليه ، ورأى أن يقوم بنفسه على رأس جيش آخر (١) فوصل إلى أبواب حائل في أوائل المحرم سنة ١٣٤٠ هـ / سبتمبر سنة ١٩٢١ م . ولما رأى ابن طلال أنه أصبح لا يستطيع مقاومة كل هذه الجيوش السعودية التي تجمعت حول حائل شرع يفاوض ابن سعود ، وعرض عليه تسليم المدينة مشروطاً لتلك أن يبقى أميراً لها ؛ ولكن ابن سعود لم يقبل إلا أن تسلم المدينة

(١) كان عدد هذا الجيش الثاني يقدر أيضاً بعشرة آلاف مقاتل ، ومعهم بضعة مدافع ، غير رجال مطير الدين كانوا قد وصلوا إلى أبواب حائل تحت قيادة فيصل الدويش .

بلا قيد ولا شرط ، وأخذ يشدد الحصار عليها ، ويستولى على حصونها تباعاً حتى سقطت في يده عنوة في ٢٩ صفر سنة ١٣٤٠ هـ / ٢ نوفمبر سنة ١٩٢١ م ، وقبض على الأمير محمد بن طلال وأرسل به إلى الرياض أسيراً (١) ، وبذلك قضى على حكم آل رشيد في حائل بعد أن دامت إمارتهم نحواً من قرن ، وأدخل أملاكهم تحت حكمه ؛ فخل السألة على هذا الوجه المرضي ، وتفرغ لمنازلة خصمه الشريف حسين ، فما زالت الحوادث تأخذ مجراها السريع حتى صرع هذا أيضاً وأصبح سيد الموقف .

### تطور العلاقات بين ابن سعود والأشرف

دخل الإنكليز في مفاوضات مع الشريف حسين في مبدأ الحرب الكبرى كما فعلوا مع ابن سعود ، غير أن الجهة الإنكليزية التي فاوضت الشريف حسينا كانت غير التي اتصلت بابن سعود ، كما أن موقف الزعيم الوهابي كان غير موقف الشريف . فحكومة الهند الإنكليزية هي التي اتصلت بابن سعود عن طريق الخليج الفارسي ، وقد كان موقفه معها موقف الحذر المحتاط كما سبق أن بينا . أما الشريف حسين فقد اتصلت به دار المندوب السامي الإنكليزية بالقاهرة عن طريق البحر الأحمر (٢) ، وعممت على أن يشور الشريف في وجه دولة الخلافة

(١) للمرجع السابق ص ٢٥٥ ، و « قلب جزيرة العرب » ص ٣٨٣ .

(٢) ابتداء الاتصال بين الشريف حسين وبين الإنكليز من جانب الشريف ، حيث إنه بعث بابنه الأمير عبدالله (ملك شرق الأردن أخيراً) في فبراير سنة ١٩١٤ م إلى القاهرة ، =

ومحاربتها في صفوف الإنكليز ، ليحصلوا بذلك على إضعاف مركز الأتراك في الشرق ، ويجدوا ما يبررون به سياستهم ويبنون عليه دعايتهم بين رعاياهم المسلمين الذين كان لا يرضيهم حرب الإنكليز للدولة وانتصارهم عليها .

وقد كان الشريف حسين صاحب أطماع كبيرة ، يود لو تحققت للعرب وحدة مستقلة ، وأصبحت لهم إمبراطورية شامخة تحت زعامته ؛ وكان على استعداد لأن يضحي بكل ما يملك في سبيل تحقيق هذه الفكرة .

درس الإنكليز هذه النفسية ، واستغلوا رغبة الشريف فاستخدموها في الوصول إلى أغراضهم . أخذوا يستدرجونه ويعدونه بالمساعدة على تحقيق أمنيته إذا خرج على الدولة ، واشترك معهم في حربها ، وتم لهم النصر ؛ ووثق هو بهذه الوعود السياسية ولم يحتط لنفسه ، ولم يأخذ من الإنكليز الضمانات

== فزار الأمير سمو الحديوي عباس الثاني ، وزار اللورد كتنشر المعتمد البريطاني في دار الوكالة البريطانية وتعرف به ، كما جدد صلته ومعرفته بالمستر ستورس السكرتير الشرقي لهذه الدار . وفي هذه الزيارة تحدث الأمير عبد الله عن آمال العرب في الاستقلال تحت زعامة والده ، وعن آمال الأشراف في مساعدة الإنكليز لهم ضد الأتراك . فلما ابتدأت الحرب الكبرى الأولى بعد ذلك بأشهر ، ورأى اللورد كتنشر الذي أصبح وزيراً للحريسة البريطانية أن تركيا في سبيل الانضمام إلى دول الوسط ضد الحلفاء ، تذكروا صداقته وصداقة المستر ستورس للشريف عبدالله ، فأبرق اللورد إلى خلفه بالقاهرة السير هنري مكماهوت في ٢٤ سبتمبر سنة ١٩١٤ ، أي قبل دخول تركيا الحرب ، واقترح عليه أن يتصل بالشريف حسين حتى يستطيع الاستعانة به ضد تركيا في حالة دخولها الحرب ضد بريطانيا وحلفائها .

راجع *Geschichte der islamischen völker* ص ٤٢٥ ، و « قلب

الكافية لتنفيذ وعودهم له . كانت النتيجة أنهم غرروا به (١) وتركوه أخيراً يسقط صريعاً أمام خصمه القوى ابن سعود في ميدان النضال ، فذهب ضحية أطماعه وانخداعه بالوعود الخلابه ، وناله عاقبة من لم يحتط لنفسه ولم يكن على حذر في الأمور .

اتفق الشريف حسين مع الإنكليز في يناير سنة ١٩١٦ م ؛ وأعلن الثورة على الدولة في يونية (٢) ؛ ثم أعلن أنه أصبح ملك العرب في ١ أكتوبر من نفس

(١) في الوقت الذي كانت المفاوضات تجري فيه بين الشريف حسين وبين السير هنري مكماهون ، والذي كانت بريطانيا تتعهد فيه بتكوين حكومة عربية مستقلة تحت زعامة الشريف ، بحيث تشمل حدودها جزيرة العرب ، وسورية ، وفلسطين ؛ في هذا الوقت عينه كانت الحكومة البريطانية تتفاوض مع الحكومة الفرنسية بشأن سورية وفلسطين فعقدت معاهدة سايكس بيكو في مايو سنة ١٩١٦ التي تنظم توزيع هذه المناطق بين فرنسا وانكلترا بعد انتهاء الحرب . وفي هذا الوقت أيضاً كانت انكلترا قد سبق لها أن تماهدت مع السيد الادريسي وضمنت له استقلاله بعسير ، ومع ابن سعود وضمنت له استقلاله بنجد والأحساء والملحقات .

راجع « ملوك العرب » ج ١ ، ص ٦٤ - ٦٥ ؛ و « تاريخ نجد الحديث » ص ٢٠٦ ؛ و « قلب جزيرة العرب » ص ٣٢٤ ؛

و Geschichte der islamischen völker ص ٤٢٦ - ٤٢٧

(٢) أجل الشريف إعلانات الثورة من يناير إلى يونيه حتى يتم الاستعداد ، وحتى يفلت ابنه الأمير فيصل ( ملك العراق فيما بعد ) من قبضة الأتراك ، فقد كان في دمشق عند جمال باشا في ذلك الوقت ؛ وهذا الغرض الأخير هو أهم الأغراض في التأجيل . أما الاتفاق الذي تم بين الشريف والإنكليز فقد كان يتكون من خمس مواد ؛ تتعهد بريطانيا في أولها بتشكيل حكومة عربية مستقلة تشمل الجزيرة العربية والعراق والشام « ماعدا مستعمرة عدن » . ولكن في نفس المادة تتعهد هذه الحكومة العربية برعاية المعاهدات =

السنة ، وأخذ يعامل أمراء العرب وفيهم ابن سعود معاملة الأتباع ، فراه مثلاً يبعث إليه بهدية ونقود - على خلاف العادة - وكأنه يريد أن يقول له : استعن بهذه النقود على ضبط الأمور في ولايتك ، وقد أصبحت تابعاً لنا !

لم يسع ابن سعود ، وهو الحريص على استقلاله ، إلا أن يرد على هذا العمل الذى له مغزى سياسى لا يحسن السكوت عليه بما يحفظ له حقه ، وبما يفهم الشريف أن البلاد النجدية لا تزال مستقلة ، وأن أميرها لا يقبل التبعية ولا يقرها . كان رد ابن سعود أن أرسل إلى الشريف يطلب إليه تحديد الحدود بين نجد والحجاز (١) ، لم يكتب ابن سعود بهذا ، ولكنه اتصل بالإنكليز ، وكان قد تعاهد معهم وضمنوا له استقلاله بنجد كما سبق ، اتصل بهم وأفهمهم

== التى أجرتها بريطانيا مع أى شخص كان من العرب !

وقد كانت الحكومة البريطانية تبغى بهذه المعاهدات المشار إليها ، المعاهدات التى سبق أن عقدتها مع الإدريسي فى عسير ، ومع ابن سعود فى نجد . فهى فى هذه المعاهدة الجديدة التى تعقدها مع الشريف حسين ، وتتعهد له فيها بتشكيل حكومة مستقلة تشمل كل الجزيرة العربية تغرر به من حيث لا يشعر ؛ وكان جديراً به أن يشعر !

راجع نص المعاهدة فى « ملوك العرب » ج ١ ، ص ٦٠-٦١ .

(١) جاء فى الخطاب الذى أرسله ابن سعود للشريف فى هذا الشأن قوله « .. قد يكون حدث بيننا وبينكم سوء تفاهم فى الماضى ؛ فلا بد إذاً من التفاهم والتأمينات . وذلك بأن تحدد الحدود بيننا وبينكم ، فتزول الشكوك ، وتتضاعف من أهل نجد المساعدات » . فلم يكن من الشريف إلا أن رد عليه بقوله : إما أنك سكران يا ابن سعود ، وإما أنك مجنون ! أفلا تعلم لأى أمرقنا ، وأى غرض نبغى ؟ ! « تاريخ نجد الحديث » ص ٢١٢ .

أنه لا يقبل التبعية للشريف حسين ؛ فدخل الإنكليز في الأمر وأخبروا الشريف بأنهم قد ارتبطوا بمعاهدة مع أمير نجد ، وأنهم لا يمكنهم الاعتراف بالشريف ملكاً للعرب بهذا الإطلاق ، واعترفوا به ملكاً للحجاز فقط (١) . ثم تعهدوا لابن سعود بأن الشريف حسين سوف لا يتدخل في شئون نجد ، وسوف لا يتكلم في الأمور السياسية باسم العرب جميعاً ، وإنما باسم الحجازيين فقط .

### الخلاف على تربة واحتي والحرمه

بعد هذا التدخل من جانب الإنكليز كان الشريف حسين لا يزال متشبهاً بفكرة أنه ملك العرب جميعاً ، وأن عليهم أن يخضعوا له ، ويقدموا إليه الطاعة . وأخذ يعمل لنشر نفوذه على حدود نجد المجاورة ، وخاصة في واحتي تربة وأخرمة (٢) ؛ فقد كانت هذه الجهات ماثراً للخلاف والحروب بين

(١) في ٢٩ أكتوبر سنة ١٩١٦ م أعلن الشريف أنه أصبح ملك العرب ؛ وفي ٣ يناير سنة ١٩١٧ م أخبرته انكلترا بأنها تعترف به ملكاً للحجاز فقط ، وفي نفس التاريخ اعترفت به فرنسا وإيطاليا بمثل ما فعلت انكلترا .  
راجع *Geschichte der islamischen völker* ، ص ٤٢٨ .

(٢) تقع هاتان الواحتان على الحدود الحجازية النجدية بالقرب من جبل حرض ، وشرقي الطائف ، تقع الحرمه في الشمال ، وتربة في الجنوب ، والأولى تقع على الطريق الذاهبة من الطائف إلى الرياض ؛ والثانية على الطريق الذاهبة من نجد إلى اليمن ؛ وتسكنها قبائل سبيع ، وعتيبة ، والبقوم ، وبعض الأشراف .

راجع « قلب جزيرة العرب » ص ٤٨ ، ٣٧٨ ؛ و « جزيرة العرب » ص ٤٤ ؛

و « تاريخ نجد الحديث » ص ٢٢٤ - ٢٢٥

ابن سعود والشريف حسين . كان الشريف يرى أنها تابعة للبحران ، وأن سكانها من رعاياه ، وأن عليهم أن يظهرُوا بظهر الولاء والخضوع له ؛ وكان هؤلاء السكان قد اعتنقوا المذهب الوهابي من قديم ، فلما استعاد ابن سعود الرياض ، ونشر نفوذه في نجد اتصلوا به ، وجددوا عهدهم معه ، وعدوا أنفسهم من رعاياه ؛ وأخذ هو يكتبهم ويرسل إليهم من يتعهد نشر التعاليم الوهابية بينهم .

عد الشريف حسين هذا افتياناً من ابن سعود وخيانة وخروجاً من سكان تربة والخزامة فشرع يرسل إليهم الحملة تلو الحملة في سنة ١٩١٧ ، وأوائل سنة ١٩١٨ م يريد تأديبهم وإخضاعهم لحكمه ، وأخذ هؤلاء يدفعون عن أنفسهم بكل شجاعة ويردون جيوش الشريف ، وقد كبدها الكثير من الخسائر ؛ ثم أخذوا يكتبون إلى ابن سعود يطلبون إليه أن يرسل إليهم جيشاً يدفع اعتداءات الشريف عنهم .

ولقد كان الإنكليز يلحون في هذا الوقت على ابن سعود طالبين إليه أن يقوم بحرب آل رشيد ، فقال لهم : أنا لا أستطيع حرب آل رشيد والشريف حسين يعتدى على رعييتي في تربة . فتعهد الإنكليز بالتدخل في الأمر ، وتدخلوا فعلاً فاقترحوا على الشريف أن يترك هذه المسألة لتحل بعد انتهاء الحرب الكبرى بطريق السلم ، ولم يسعه هو إلا قبول هذا الاقتراح (١) :

أراد الإنكليز حل هذه المسألة وغيرها من مسائل الخلاف بين الزعيمين

(١) راجع « قلب جزيرة العرب » ص ٣٧٩ .

العربيين سلمياً فلم يوقفوا . وانهز الشريف حسين فرصة حصوله على الذخيرة والسلاح من المعسكر التركي في المدينة بعد انعقاد الهدنة ، وبعد أن استسلم القائد التركي في المدينة نخرى باشا ، انهز هذه الفرصة فألف جيشاً كبيراً (١) وسلحه بهذه الأسلحة ، وعهد بقيادته إلى ابنه الأمير عبد الله ؛ ثم كلفه بالتوجه إلى تربة والاستيلاء عليها ، ويقال أيضاً إن مهمة الأمير عبد الله كانت في الواقع أكبر من هذا ، فلقد كلفه والده أن يتابع فتح نجد بعد إخضاع أهل تربة ، وألا يقف حتى يصل إلى الخليج الفارسي (٢) . هذا ما يقال ، وذلك ما كلف به الأمير من قبل والده الطموح ، ولكن الحوادث أتت بشيء آخر وحدث ما ليس في الحسبان .

زحف الأمير عبد الله بجيشه الكبير المسلح بأسلحة الترك الحديثة ، واحتل

(١) يقول الريحاني « ... فقد بالغ الرواة في تقديره (الجيش) ، فقال بعضهم : إنه كان مؤلفاً من سبعة آلاف من النظام ، وثمانية آلاف من البدو . أما الحقيقة فهي أنه لم يتجاوز كله السبعة آلاف ، منهم ألفان من النظام والباقي من البدو » .

راجع « تاريخ نجد الحديث » ص ٢٢٦ .

(٢) راجع « جزيرة العرب » ص ٢٣٤ .

ويروي الريحاني رسالة للأمير عبد الله قائد حملة تربة ، كان قد بعث بها إلى سرية الإخوان التي كانت قادمة من نجد تحت قيادة سلطان بن بجاد لمعونة أهل تربة . قال الأمير في هذه الرسالة : « أخبر الحوارج ... قل لهم : سنكفيهم مؤنة القدوم إلى تربة ؛ قل لهم : ما جئنا تربة من أجل تربة والحرمة فقط ... سنصوم في الحرمة إن شاء الله ، وسنعيد عيد الأضحى في الحساء » . « تاريخ نجد الحديث » ص ٢٢٨ .

تربة في ٢٤ شعبان سنة ١٣٣٧ هـ / ٢٤ مايو سنة ١٩١٩ م على الرغم من احتجاجات ابن سعود ؛ احتلها بدون قتال بعد أن ترك أهلها مساكنهم ، وتجمعوا بعيداً عنها تحت قيادة الشريف خالد بن لؤى انتظاراً لأوامر ابن سعود ونزولاً على أمره ، وقد كان طلب إليهم ألا يهاجموا ولا يقاتلوا إلا إذا اعتدى عليهم ، وقد فعل هذا ابن سعود تلبية لرغبة الإنكليز الذين أرادوه على ألا يحارب الشريف حسيناً .

تم للأمر عبد الله الاستيلاء على تربة ، وكان سيد الموقف ؛ فظن بهذا أن الأمور ستسير على ما يريده ، وأنه سيكون من السهل لديه القيام بمهمته إلى النهاية ؛ ولكن الحوادث أخلفت هذا الظن ، وكان ما أراد الله غير ما ظن الأمير . فتجمع الإخوان من قبيلة عتيبة تحت قيادة سلطان بن بجاد (١) ، وهاجموا الجيش الحجازي في ليلة ٢٥ شعبان سنة ١٣٣٧ هـ / ٢٥ مايو سنة ١٩١٩ م ؛ فأخذوا الأمير وجنده على غرة ، وأعملوا في رقابهم السيف ، ومزقوهم شرمزق ، ولم يستطع الأمير عبد الله أن ينجو بنفسه إلا بعد لأي ومشقة ، ففر هو وبعض أصحابه ، وترك وراءه جيشه أشلاء متناثرة في الصحراء ؛ فأصبح الصبح وقد تغير الموقف ، بعد أن هزم أكبر جيش لدى الشريف حسين

---

(١) كان ابن بجاد قد قدم من نجد على رأس السرية التي سبقت الإشارة إليها . وكان عدد هذه السرية ألفاً ومائتي جندي هجان .  
الرجع السابق ص ٢٢١ .

هزيمة منكرة ، وبعد أن استولى الوهايون على الكثير من السلاح والعدة (١) وكانت مفاجأة سارة لابن سعود الذي كان قد وصل إلى تربة في ذلك الوقت فقد تم له هذا النصر المبين ، وأصبح في استطاعته مواصلة الزحف إلى الطائف ، وإن شئت إلى مكة عاصمة الحجاز .

بيد أن الشريف حسين لجأ إلى الإنكليز واستغاث بهم ، فدخلوا في الأمر بصورة حازمة ، وأنذروا ابن سعود في ٤ يولية سنة ١٩١٩ م بأنهم يعتبرون تقدمه في الحجاز عملاً عدائياً نحوهم ، فخرموه بهذا أن يجني ثمرة انتصاره الرائع (٢) .

عمل ابن سعود بمقتضى هذا الإنذار ؛ وأخذ الإنكليز من ناحيتهم يسعون لإصلاح ذات البين ، ويعملون للتوفيق بين أمير نجد وملك الحجاز ، وكلاهما من أتباعهم ينضوي تحت لوائهم ، فطلبوا إليهما أن يكتب كل منهما كتب الود والصداقة إلى صاحبه بدءاً لتحسين العلاقات بينهما ؛ فاتبع ابن سعود جانب الحكمة ، وقبل النصح ، وبدأ بالكتابة إلى الشريف حسين . غير أن هذا لم يقبل أن يستلم كتاب ابن سعود ، ولم يشأ أن يكتب إليه حتى ضغط عليه

(١) يقول الريحاني : « لم ينج من جيش الأمير النظامي غير ستة ضباط ، واثني عشر جندياً . ولم ينج من البدو غير من سلموا ... وعددهم لا يتجاوز الألف » .  
المرجع السابق ص ٢٣٠ .

(٢) راجع « جزيرة العرب » ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

الإنكليز ، فعهد إلى ابنه الأمير عبد الله بتنفيذ ماطلب منه ، وبمكاتبة الأمير  
السعودى .

بهذا ظهرت العلاقات بين ابن سعود والشريف حسين وكأنها قد بدأت  
تتحسن ، فانقضى عام ١٩١٩ ومرت سنة ١٩٢٠ م ولم تحدث حوادث على  
الحدود ، مع استمرار المكاتبة من كل منهما إلى صاحبه .

ثم لم يلبث الوهايون أتباع ابن سعود أن اعتدوا على الحدود الحجازية في  
سنة ١٩٢١ م مدفوعين بما قر في نفوسهم من أن الشريف حسيناً مبتدع وظهير  
للمبتدعين يجب محاربه جهاداً في سبيل الله . ولم يكن منه هو إلا أن قابل  
العدوان بمثله فحرم النجديين من الحج في سنة ١٣٣٩ هـ / سنة ١٩٢١ م ؛ ثم  
أذن لهم بوساطة الإنكليز في العام الذى يليه ؛ ثم عاد فحرمهم ثانية بحجة أنهم  
مشاغبون ؛ واشترط للإذن شروطاً منها أن ينحى ابن سعود الجوف وتربة ،  
وخبير ، وكل الجهات التى يعتبرها الحسين تابعة للحجاز . وكان من الطبيعى  
أن يرفض ابن سعود هذه الشروط ، وأن يتمسك الشريف بمنع النجديين من  
الحج ، فتخرج الموقف ، وشرع الإنكليز يعدون لمؤتمر الكويت أملاً منهم  
في إحياء النزاع ، وسعياً لمداواة الجرح قبل استفحال الخطر .

### مسائل الحدود بين ابن سعود وجيرانه الأشراف

أنشئت المملكة العراقية وإمارة شرق الأردن في سنة ١٩٣٢ م كما قدمنا ،

وأصبح ابن سعود مجاوراً للشريف حسين وأبنائه من ثلاث جهات ، وكثرت المشاكل على الحدود العراقية النجدية ؛ فرأى الإنكليز أن يتدخلوا في الأمر ليضعوا حداً لهذه المشاكل ، حتى يكون الأمن والاستقرار سائداً في تلك البلاد المشمولة جميعها برعايتهم ، والحاضرة انفوذهم .

عقد الإنكليز مؤتمر المحمرة<sup>(١)</sup> وأشرفوا فيه على المفاوضات التي جرت بين مندوبي نجد والعراق ، فسويت مسائل الحدود بين نجد والكويت ؛ ثم بين نجد والعراق ، ووضعت معاهدة المحمرة في مايو سنة ١٩٢٢ . ثم عدلت بيروتوكول العقير<sup>(٢)</sup> في ديسمبر سنة ١٩٢٢ م ؛ وتم الاتفاق بين نجد والعراق بمقتضى المعاهدة وملحقها على الأمور الآتية :

(١) تعيين خط الحدود بين نجد والعراق .

(٢) تأسيس منطقتي حياض على الحدود من الجانبين ، ومنع بناء الاستحكامات على أطراف الحدود .

(٣) إرجاع القبائل الفارة من نجد إلى العراق ومن العراق إلى نجد إلى مواطنها الأولى وثبيتها فيها ، مع إعطاء حق الخيار لبعض القبائل .

(٤) الاقرار بتبعية قرى الملح ووادي سرحان لنجد وكان ابن سعود

(١) تقع المحمرة على شط العرب شمال الخليج الفارسي .

(٢) العقير في جنوب مقاطعة الأحساء على الخليج .

قد احتلها فيما بين مايو وديسمبر من سنة ١٩٢٢ م (١) .

هذا ماتم الاتفاق عليه ، ولكن حكومة العراق تباطأت في التنفيذ (٢) ، فعاد الخلاف من جديد بينها وبين الحكومة النجدية ، وأصبح ابن سعود في نزاع وشقاق مع العراق والحجاز . وشرق الأردن ، واهتم الإنكليز بالأمر ، فألحوا في عقد مؤتمر ودعوا الحكومات الأربع إلى مؤتمر الكويت .

### مؤتمر الكويت

كان الإنكليز يبغون بجمع ابن سعود مع الأشراف في مؤتمر تسوية كل مسائل الخلاف تسوية نهائية ، فألحوا عليه حتى قبل الدعوة لحضور هذا المؤتمر الذي انعقد في الكويت على دورتين . ولكن ابن سعود خشية من أن يكون الشريف حسين وأبناؤه جهة ضده اشترط لحضور المؤتمر أن تكون المفاوضات بين مندوبيه ومندوبي كل من الدول الثلاث ، الحجاز ، والعراق ، وشرق الأردن على حدة ؛ فقبل الإنكليز هذا الشرط ، وألزموا المتفاوضين العمل به (٣) .

(١) راجع « قلب جزيرة العرب » ص ٣٨٤ - ٣٨٥ .

(٢) طلب ابن سعود من حكومة العراق إرجاع قبائل شمر التي لجأت إلى العراق ، وأخذت تغير على الحدود النجدية لنجد ، والأخذ على يد المعتدين منهم . غير أن حكومة العراق تباطأت ، لأنها كانت في ذلك الوقت عاجزة عن تنفيذ ما سبق أن اتفقت عليه مع ابن سعود .

المرجع السابق ص ٣٨٨ ؛ و « تاريخ نجد الحديث » ص ٢٨٦ .

(٣) راجع « قلب جزيرة العرب » ص ٣٨٨ ، و « تاريخ نجد الحديث » ص ٢٨٧ ،

و « جزيرة العرب » ص ٢٨٢ .

انعقد المؤتمر في دورته الأولى ابتداء من ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٣ ؛  
ولكن لم يحضره إلا مندوبو نجد والعراق . أما الحجاز فلم يرسل أحداً لينوب  
عنه ؛ ومندوبو شرق الأردن حضروا ، ولكنهم لم يشتركوا في أعمال المؤتمر  
لخلاف بينهم وبين النجديين على أساس المفاوضة .

وانقض المؤتمر في دورته الأولى بعد أن اتفق العراقيون والنجديون على  
تسوية بعض مسائل الحدود الخلافية ، غير أن العراقيين اشترطوا لفاذ ما اتفق  
عليه أن يتم الاتفاق أولاً بين نجد من جهة ، وبين الحجاز وشرق الأردن من  
جهة أخرى ؛ وكان هذا الشرط مثاراً لاحتجاج النجديين وعدم رضاهم .

ذهب المتفاوضون إلى بلادهم على أن يعودوا بعد أسابيع فيستأنفوا  
المفاوضات ، ويعقدوا الدورة الثانية للمؤتمر ؛ وقد طلب إليهم المعتمد البريطاني  
في الخليج الفارسي ورئيس المؤتمر الكولونيل نوكس أن يعملوا على اقناع  
حكوماتهم بوجوب التساهل لحل مسائل الخلاف ؛ ثم اتصل هو بالشريف  
حسين وأقنعه بوجوب الاشتراك في المؤتمر ، فعين الشريف ابنه الأمير زيداً  
لينوب عن الحجاز في دورة المؤتمر الثانية ؛ ولكنه اشترط لهذا أن يعين  
ابن سعود أحد أبنائه مندوباً عنه ، الأمر الذي لم يقبله ابن سعود ، وترتب على  
هذا أن الشريف حسينا لم يشترك أيضاً في الدورة الثانية .

انعقدت الدورة الثانية في ٢٥ مارس سنة ١٩٢٤ م ، ولم يحضرها إلا

مندوبوا نجد ، ومندوبو شرق الأردن . وكانت النتيجة أن انفض المؤتمر على غير وفاق ، لأن وفد شرق الأردن تمسك بما كان أبدأه في الدورة الأولى للمؤتمر ، وكان سبباً للفشل ، فطلب أن يتخلى ابن سعود عن الجوف ووادي السرحان ، وتمسك بما تمسك به الشريف حسين من قبل من إعادة الحالة إلى ما كانت عليه قبل الحرب الكبرى في بلاد العرب ؛ ولو نفذ ذلك لترتب عليه الآتي :

١ — تنازل ابن سعود عن الجوف ووادي السرحان إلى شرق الأردن .

٢ — تنازله عن تبء وخير وتربة والخرمة إلى الحجاز .

٣ — إعادة آل رشيد إلى حائل بعد القضاء عليهم في سنة ١٩٢١ م .

٤ — إعادة آل عائض إلى عسير الشرقية ، وقد ضمها ابن سعود إلى أملاكه

في سنة ١٩٢٢ م .

فلم يقبل النجديون مطالب شرق الأردن ؛ وفشل المؤتمر ، فخرجت الأمور بين ابن سعود وجيرانه ، وشرع الاخوان يهاجمون حدود العراق وشرق الأردن من جديد ، وسرعان ما لجأ ابن سعود إلى تحكيم السيف ، فهو وحده صاحب الفصل في موضوع الخلاف .

### الحرب بين نجد والحجاز

فكر ابن سعود في الموقف بعد فشل مؤتمر الكويت ، فرأى أن التبعة

واقعة على عاتق الشريف حسين وأبنائه ، ولو في الظاهر على الأقل ؛ فهو الذي ظهر بمظهر التشدد في كل أطوار الخلف إلى درجة أزعمت الإنكليز . أما ابن سعود فقد كان دائماً يظهر بمظهر المتساهل النازل عند رغبتهم ، وهو لهذا يطمع في تساهلهم معه ، وعدم ضغطهم عليه إذا اشتبك في حرب مع الشريف حسين ذلك الرجل العنيد .

ثم وزان ابن سعود بين موقف العالم الإسلامي منه ، وموقفه من الشريف حسين ؛ فرأى أن صلات الشريف بالمسلمين قد ساءت بعد أن جاهر بالعدوان لدولة الخلافة وحاربها مع الحلفاء ، وبعد أن عامل الحجاج المسلمين معاملة سيئة ، واشتط معهم في فرض الضرائب مع عدم العناية اللازمة براحتهم وأمنهم ؛ وكذلك اختلف معهم في شأن البعثات الطبية وغيرها ، فكان ذلك سبباً في عودة المحمل المصري في سنة ١٣٤٠ هـ / سنة ١٩٢٢ م ، وفي اشتداد الخلاف بينه وبين الحجاج الهنود ، ثم بينه وبين الإنكليز من أجلهم . وفي مقابل هذا رأى ابن سعود أن صلات العالم الإسلامي به حسنة بعد أن شرع يتودد إلى المسلمين ويحامل الدول الإسلامية ، وبعد أن أخذ ينشر دعاية واسعة النطاق في العالم الإسلامي ، متحدثاً عن أطوار الخلف بينه وبين الشريف حسين ، ومتظلماً من منع الشريف للنجديين عن أداء فريضة الحج . وأخيراً نظر ابن سعود إلى قوى الشريف الحربية فوجدتها ضعيفة أمام إيمان الإخوان وتعصبهم لنصرة زعيمهم . وهو لم ينس بعد ما ألحقه الإخوان من الخسائر

الفادحة بالجيش الحجازي صاحب العدد والعدة في تربة سنة ١٩١٩ م ، وقد كان هذا الجيش أقوى جيش لدى الشريف حسين .

إذاً الظرف مناسب والفرصة مواتية لتحكيم السيف ولضرب الحسين .  
فقد ابن سعود لهذا الغرض مؤتمراً في الرياض في عيد الأضحى سنة ١٣٤٢ هـ /  
يوليه سنة ١٩٢٤ م ، وقد حضر إليه الإخوان وزعماء نجد للمعاينة ، وتحدث إليهم في موضوع الخلاف ، وسألهم رأيهم في الحرب .

رحب المجتمعون بهذه الفكرة ، وكانوا يتوقون إلى حرب الحسين المبتدع في نظرهم ، وخاصة بعد أن منعهم من أداء فريضة الحج ؛ وبعد هذا أمرهم ابن سعود بالعودة إلى بلادهم والاستعداد للحرب ، ولم يشأ أن يبدأ بالهجوم إلا بعد أن يتفرق الحجاج المسلمون ويعودوا إلى بلادهم .

وفي مطلع العام الهجري سنة ١٣٤٣ هـ / أغسطس سنة ١٩٢٤ م كان ابن سعود قد استعد للحرب ، وجيز جيشاً قوياً على الحدود الحجازية ؛ ثم أمر جماعة من رجاله بمهاجمة شرق الأردن ، وآخرين بمهاجمة العراق . أما هؤلاء الذين كلفوا بمهاجمة العراق وشرق الأردن فقد ردتهم الطائرات الإنكليزية على أعقابهم ، وقد تحملوا كثيراً من الخسائر بعد أن اجتازوا الحدود ؛ وأما الجيش الأكبر الذي شرع يهاجم الحدود الحجازية فقد قام بمهمته ووفق في الوصول إلى غرضه على ما سئرى في تفصيل الحديث .

كانت قيادة هذا الجيش يتولاها الشريف خالد بن لؤي رئيس سكان تربة

وسلطان بن بجاد زعيم الإخوان من قبيلة عتيبة سكان هجرة العظمت ، وهذان الرجلان فوق مالهما من خبرة وكفاية حربية ، فهما موتوران من الشريف حسين ، وعلى استعداد تام للتضحية بدمائهما في سبيل القضاء عليه .

## فتح الطائف ودخول مكة

تحرك الجيش (١) السعودي من تربة ، واتجه إلى الطائف ، فوصلها ، واستولى عليها بعد مقاومة لم تدم طويلاً في ٦ صفر سنة ١٣٤٣ هـ / ٦ سبتمبر سنة ١٩٢٤ م (٢) . ووقعت حوادث النهب والتقتيل في الطائف بعد فتحها ؛

(١) يقول الريحاني : إن عدد هذا الجيش مع من انضم إليه من عربان الحجاز وأشرافه كان لا يتجاوز الثلاثة آلاف مقاتل .

راجع « تاريخ نجد الحديث » ، ص ٢٩٩ .

(٢) يحدد فؤاد حزة في « قلب جزيرة العرب » ص ٣٩٠ يوم الاستيلاء على الطائف بالسادس من شهر صفر سنة ١٣٤٣ هـ والسادس من سبتمبر سنة ١٩٢٤ م ؛ وكذلك يحدده أمين سعيد في « ملوك المسلمين المعاصرون » ج ١ ص ١٣٠ ، أما الشيخ حافظ وهبة فيحدده في « جزيرة العرب » ص ٢٨٨ بالحامس . ولعل هذا الاختلاف نشأ بسبب أن انتصار الجيش السعودي ، وهزيمة جيش الشريف في هذه الموقعة كانت على مراحل ، كما يفهم من كلام الريحاني في « تاريخ نجد الحديث » ص ٣٠٠ ؛ فكلام الريحاني هنا يفيد أن جيش الشريف الذي كان مكلفاً بالدفاع عن الطائف هزم في يوم ٥ صفر ، ثم حضر جيش آخر للدفاع بقيادة الشريف على (الملك على فيما بعد) في يوم ٦ صفر ، ولكنه اضطر للانسحاب من الطائف إلى الهدى في نفس اليوم ، وفي يوم ٧ صفر - يذكر الريحاني - أنه تم الاستيلاء نهائياً على الطائف .

والسعوديون يتصلون من هذا ، ويلتقون تبعته على البدو الحجازيين الذين انضموا إليهم . ولقد وعد ابن سعود في ذلك الوقت بالتعويض للمكويين ومعاقبة المذنبين ، واتخذ من الاحتياطات ما يمنع تكرار المأزاة فيما بعد .

بقى الوهازيون في الطائف بعد فتحها ، وقد أمرهم ابن سعود بالتريث حتى تأتت بهم أوامره ؛ وكانت هذه الفترة دعاية من الحانين ، من جانب الشريف حسين الذي أخذ يستغيث بالعالم الإسلامي ، ويهول من شأن الحوادث التي وقعت بالطائف عند الفتح ؛ ومن جانب ابن سعود ، وقد أخذ يذيع عن أغراضه وينشر برنامجه بين المسلمين ، ويتنصل لديهم مما حدث بالطائف : وقد استطاع بدعايته ووعوده أن يكسب عطف المسلمين ، فصرح بالأمور الآتية :

١ - أنه لا يريد الفتح للبلاد المقدسة ، وأن كل ما يبغيه هو طرد الأشراف وتطهير بلد الله الحرام من ظلمهم .

٢ - أن مكة ستكون بعد استيلائه عليها للمسلمين عامة .

٣ - أنه سينزل على رغبة العالم الإسلامي في تقرير مصير الحجاز بعد طرد الأشراف (١) .

ثم اشتبكت بعد ذلك الجيوش الوهاية مع الجيوش الحجازية التي تجمعت

(١) راجع « جزيرة العرب » ص ٢٨٩ .

عند مكان يقال له الهدى<sup>(١)</sup> تحت قيادة الأمير علي بن الشريف حسين ، فاندحر الحجازيون وهزموا في ٢٦ صفر سنة ١٣٤٣ هـ / ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٢٤ م<sup>(٢)</sup> وفي أوائل ربيع الأول من نفس السنة ثار أهل الحجاز على الشريف حسين فجعلوه يتنازل عن العرش ، وبايعوا ابنه الشريف علياً ملكاً على الحجاز<sup>(٣)</sup> . ولعلهم كانوا يظنون أنهم إذا قاموا بهذه الخطوة وضعوا للحرب حداً ، واكتفى ابن سعود بسقوط خصمه عن العرش . ولكن الحوادث أخلفت هذا الظن .

(١) يقع الهدى على بعد أربع ساعات من الطائف ، كما يقول الريحاني في « تاريخ نجد الحديث » ص ٣٠٠ .

(٢) للمرجع السابق ص ٣٠٢ ؛ و « قلب جزيرة العرب » ص ٣٩٠ .

(٣) في اليوم الرابع من ربيع الأول سنة ١٩٤٣ هـ / الثالث من أكتوبر سنة ١٩٢٤ م اجتمع أعيان الحجاز من العلماء والتجار والأشراف بجدة ، وكان فيهم الكثيرون من الذين فروا من الطائف ومكة ؛ ثم أرسلوا برقية إلى الشريف حسين بمكة بعد أن وقع عليها مائة وأربعون منهم . وفي هذه البرقية شرحوا حال الفوضى السائدة في الحجاز ، وصرحوا بعجز الحكومة « عن صون الأرواح والأموال » ؛ ثم قالوا : « لذلك قررت الأمة نهائياً طلب تنازل الشريف حسين ، وتنصيب ابنه الأمير علي ملكاً على الحجاز فقط مقيداً بدستور ومجلسين وطنيين . . . » وبعد مفاوضات مع الملك حسين وافق علي ما طلب منه ، وتنازل عن الملك . وفي اليوم التالي كتبت الهيئة المجتمعة إلى الأمير علي باختياره ملكاً للحجاز بعد تنازل والده ؛ وبعد تقبل البيعة ذهب الملك علي إلى مكة ، ثم عاد إلى جدة ليتحصن بها ويقضى أخريات أيام ملكه .

راجع « تاريخ نجد الحديث » ص ٣٠٤ - ٣٠٨ .

لم يلبث الشريف حسين بعد تنازله أن ترك مكة وذهب إلى العقبة عن طريق جده ؛ أما الشريف علي ، الملك الجديد ، فإنه رأى أن يذهب إلى جدة ويتحصن بها لمواصلة الحرب ، بعد أن علم بمواصلة الجيش السعودي الزحف نحو مكة .

واصل الوهازيون الزحف نحو مكة على الرغم من أمر ابن سعود لهم بالانتظار حتى يقدم إليهم ، ولعله كان يريد أن ينال شرف الدخول إلى مكة في مقدمة جيشه ؛ فعلاوا هذا انتهازاً للفرصة السانحة بثورة المكين على الشريف حسين ورأوا أن الأحوال تضطرهم إلى الإسراع بدخول مكة قبل أن يستعد الملك الجديد للمقاومة ، وأن ابن سعود سيقرهم على عملهم عندما يطلع على الموقف .

وفي ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٤٣ هـ / ١٦ أكتوبر سنة ١٩٢٤ م دخل الوهازيون مكة بدون حرب محرمين بالعمرة وتحت قيادة الشريف خالد بن لؤى الذي أصبح حاكماً لمكة بعد دخولها (١) .

تغير وجه التاريخ ، وأصبح البلد الحرام وعاصمة الحجاز في يد الوهايين بعد أن دخلوها بدون حرب وبغير إراقة للدماء . ثم أخذ ابن سعود يتربص

---

(١) في الوقت الذي كانت تزحف فيه الجيوش النجدية نحو مكة كان الملك علي متجهاً إلى جدة ، بعد أن رأى قوات الدفاع التي لديه غير كافية لصد الأعداء ؛ إذ أنه « رأى جنوده مشتتين شاردين ، ولم يبق منهم غير مثنين كانوا في الدفاع مترددين » فانسحب الملك مع هذا العدد اليسير إلى جده ، وترك مكة بدون حامية ، مما سهل للنجديين دخولها بدون حرب . « راجع تاريخ نجد الحديث » ص ٣١٧ .

ليرى كيف يكون وقع هذا الفتح فى نفوس المسلمين وعند الدول المختلفة .  
رضى المسلمون بهذا الفتح على أمل أن تتحسن الأحوال فى الحجاز ،  
وأعربت الدول التى لها ممثلون فى جدة على لسان هؤلاء الممثلين عن موقفها فى  
المذكرة التى أرسلت إلى الطرفين المتحاربين وكانت تحتوى على ما يأتى :

١ — إعلان هذه الدول وقوفها على الحياد .

٢ — طلبها من المتحاربين معاملة رعاياها المسلمين معاملة حسنة .

٣ — تحميلها للمتحاربين تبعة ما عساه يقع لهؤلاء الرعايا (١) .

تبين ابن سعود الموقف ، وعد وقوف الدول على الحياد انتصاراً له ؛ فهو  
كفيل بالتغلب على الأشراف إذا خلى بينه وبينهم . ثم ذهب بعد هذا إلى مكة  
ودخلها فى ٧ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣ هـ / ٤ ديسمبر سنة ١٩٢٤ م (٢) ،  
وشرع يستعد لحصار جدة والمدينة ، ويعمل للقضاء على نفوذ الأشراف ،  
وطردهم من جميع أرضى الحجاز . وشرع الملك على من جهته يتحصن بجدة  
ويجمع الجند من سوريا وفلسطين وشرق الأردن ؛ وأخذ مع هذا يحاول الصلح  
ويبعث بالوسطاء إلى ابن سعود لحل الخلاف صلحاً . ولم تفلح هذه المحاولات  
فقد ردها ابن سعود جميعها ، مصرحاً بأنه قد أعطى العالم الإسلامى عهداً بأن

(١) راجع « جزيرة العرب » ص ٢٨٩ — ١٩٠ .

(٢) راجع « تاريخ نجد الحديث » ص ٣٣٨ .

يجعل حل المسألة في يد المسلمين بعد طرد الأشراف ، وبأنه سيدعو مؤتمراً  
إسلامياً للفصل في مصير الحجاز وتقرير نظام الحكم فيه (١)

### حصار جدة والمدينة والفضاء على حكومة الأشراف

بعد سقوط مكة في أيدي السعوديين شرعوا يتجهون نحو الجنوب الغربي  
والشمال الغربي يريدون الحصول على منفذ على البحر الأحمر ، وقد تحصن الملك  
على بحدة ميناء مكة وثمر الحجاز ، فاستولوا على القنفذة في شمال عسر وجنوب  
جدة ومهدوا الطريق منها إلى مكة ، ثم استولوا أيضاً على رابع شمال جدة ،  
وجعلوها ميناءً تجارياً لمكة بدل جدة ، وميناءً للحج في سنة ١٣٤٣ هـ (٢) .  
وفي أوائل (٣) يناير سنة ١٩٢٥ وصلت جيوش ابن سعود إلى جدة

(١) كان الوسطاء في الصلح ثلاثة : السيد طالب النقيب ، والرحالة العربي الأمريكي  
أمين الريحاني ، والمستر فلي الانكليزى (الحاج عبد الله فلبى الآن) .  
المرجع السابق ص ٣٢٤ ، و « جزيرة العرب » ص ٢٩٠ .

(٢) تبعد القنفذة عن مكة بنحو مئتي ميل ، ولهذا استولت الجيوش السعودية بعد  
ذلك على الليث التي تقع على مسافة تسعين ميلاً من مكة إلى الجنوب الغربي منها . أما رابع  
فتقع على مسافة تسعين ميلاً شمالاً جدة ، ومائة وعشرة أميال من مكة إلى الشمال الغربي منها  
« تاريخ نجد الحديث » ص ٣٤٢ .

(٣) ظهرت الطلائع للجيش النجدى الذي حاصر جدة في ٤ يناير سنة ١٩٢٥ .  
المرجع السابق ص ٣٦١ .

وحاصرتها ، وبعد ذلك بقليل حوصرت المدينة أيضا ، وبقيت جدة والمدينة محاصرتين مايقرب من سنة كانت رحي الحرب خلالها دائرة بين ابن سعود والملك علي .

أخذت الأحوال بعد الحصار تشتد على الحكومة الحجازية ، فاضطربت أمورها وعجزت عن دفع رواتب الجند ، فسقطت المدينة في يد ابن سعود في ١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٤٤ هـ / ٥ ديسمبر سنة ١٩٢٥ م . بعد حصار دام عشرة أشهر (١) . وبعد ذلك بأيام عجز الملك علي عن مواصلة الدفاع عن جدة ، فوسط الاعتماد البريطاني المستر غوردون ليعقد صلحا بينه وبين ابن سعود ؛ وبعد اتصال المستر غوردون بابن سعود اجتمع معه في الرغبة في يوم الخميس غرة جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤ هـ / ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٥ م واتفقا على الشروط التي تنازل بمقتضاها الملك علي عن الملك (٢) .

وكانت هذه الشروط تقتضى أن يغادر الملك المغلوب على أمره الحجاز بأمتعه الخاصة فقط ، وأن يسلم ابن سعود كل أملاك الدولة الحجازية ، ويتعهد بالألا ينحرب هو أو أحد رجاله شيئا من ذلك ؛ كذلك التزم بتسليم ما عنده من الأسلحة والمهمات الحربية إلى ابن سعود . وتعهد ابن سعود من جهته بأن يقوم

(١) المرجع السابق ص ٣٨٢ .

(٢) انظر نص اتفاقية تسليم جدة في ملحق الوثائق بنهاية الكتاب .

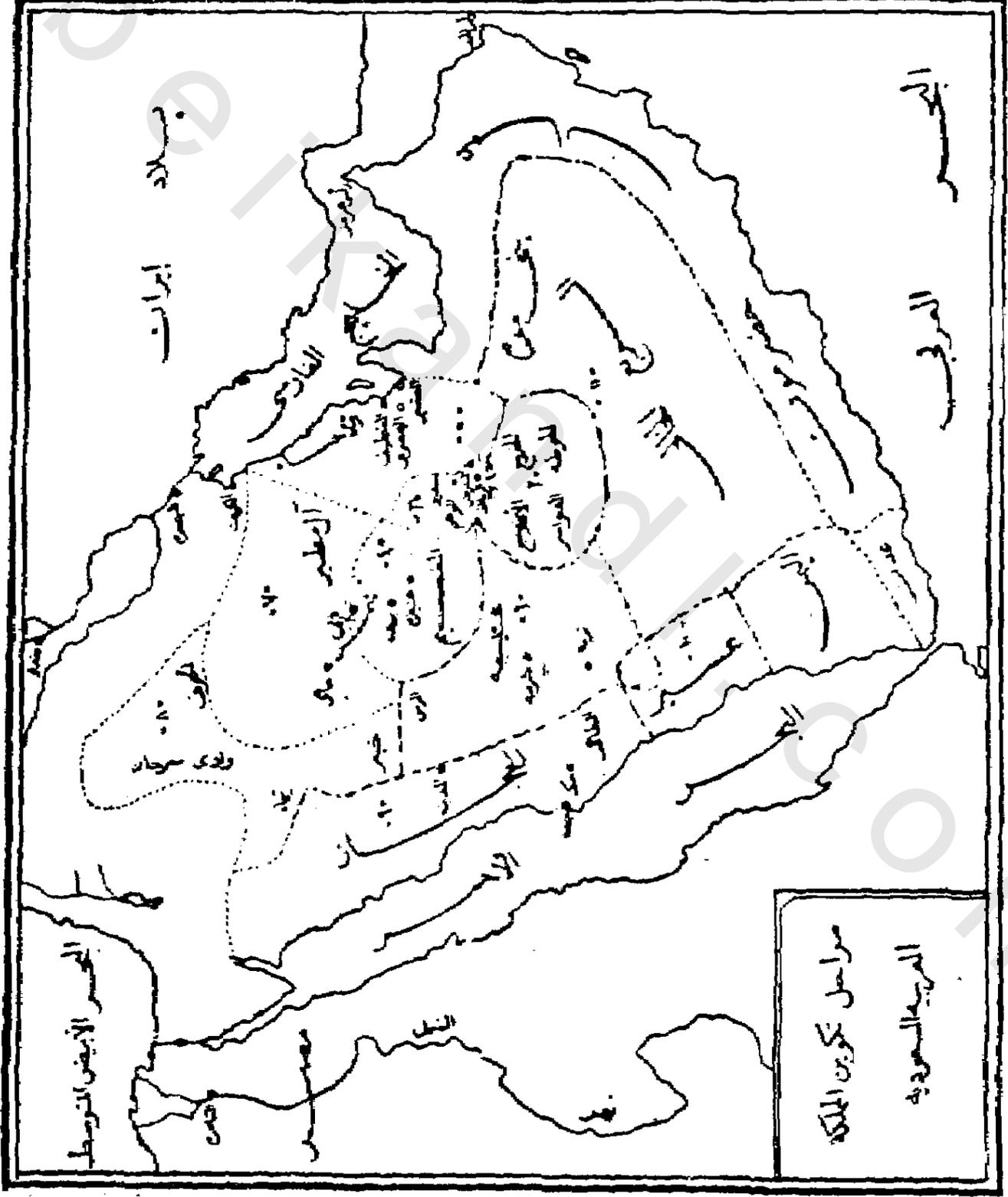
على أمن وسلامة أهل جدة في أنفسهم ومالهم ، وبالغفوة عن جند وأتباع الملك على ، وبترحيل الجند والضباط إلى بلادهم ، وبإعطاء هؤلاء نفقة السفر ؛ ثم تعهد بإبقاء من تثبت أمانته وكفاءته من موظفي الحكومة الحجازية في وظائفهم.

غادر الملك على الحجاز في ٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤ هـ / ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢٥ م بعد عقد التسليم بخمسة أيام (١) ، وبذلك انتهى حكم الأشراف في الحجاز ؛ فأصبح ابن سعود سيد الموقف غير منازع ، وأصبحت دولته تشمل نجداً والحجاز والملحقات .

### المرور عن فكرة المؤتمر وانتخاب ابن سعود ملكاً للحجاز

نشأت فكرة المؤتمر وقت أن دخل الجيش السعودي مكة ووعد ابن سعود بأن العالم الإسلامي هو الذي سيقدر مصير الحجاز ، ثم تقررت هذه الفكرة في السنة التالية عند مقابلة وفد الصالح المصري الذي كان يرأسه فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر الأسبق المغفور له الشيخ المراغي - وقد كان رئيساً للمحكمة

(١) ذهب الملك على إلى العراق ونزل ضيفاً على أخيه الملك فيصل ، ولم يزل هناك حتى أدركته الوفاة . أما والده الشريف حسين فإنه بقي بالعقبة إلى يونية سنة ١٩٢٦ م حيث أرغمه الإنكليز على مغادرتها ، وسهلوا له الذهاب إلى قبرص ؛ ولم يزل بها حتى مرض وسمح له بالذهاب إلى عمان في أواخر سنة ١٩٣٠ م فمضى بقية أيامه عند ابنه الأمير عبد الله وتوفي في يونية سنة ١٩٣١ م ودفن بالقدس .



- (١) الرياض وما يحيط بها .
- (٢) مقاطعة الخرج والأفلاج .
- (٣) منطقة سلمير والوشم ، شمال الرياض .
- (٤) منطقة القصيم .
- (٥) منطقة الأحساء .
- (٦) واحنا تربة والخرمة على حدود الحجاز .
- (٧) منطقة حائل ، وجبال شمر .
- (٨) منطقة وادي السرحان ، وتباه ، وخيبر .
- (٩) الحجاز .
- (١٠) عسير .
- (١١) الربع الخالي .

( عن كتاب Lord of Arabia By H. C. Armstrong مع تعديلات وزادات )

obeykandl.com

الشرعية العليا إذ ذاك - لابن سعود في سبتمبر سنة ١٩٢٥ م . فلقد اشترك فضيلته بعد الإخفاق في مهمة الصلح مع رجال ابن سعود في وضع الأسس لا انعقاد المؤتمر ، وصرح ابن سعود بأنه سيفوض جلالة ملك مصر في الدعوة لهذا المؤتمر . ولم تزل الفكرة موجودة حتى بعد تسليم جدة ، فإننا نرى ابن سعود يقول في منشوره الذي أذاعه على الحجازيين في ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢٥ « وأما مستقبل البلاد فلا بد لتقريره من مؤتمر يشترك فيه المسلمون جميعا ينظر في مستقبل الحجاز ومصالحه (١) » . ولكننا نرى ابن سعود يتحول عن تلك الفكرة بعد هذا الإعلان بقليل بحجة أن العالم الإسلامي لم يلب الدعوة ، ولم يظهر من الاهتمام بالأمر ما ينبغي (٢) .

ثم كان أن اجتمع الحجازيون وقرروا انتخاب ابن سعود ملكا للحجاز ، وقبل هو ذلك ، وأعلنت ملكيته للحجاز في ٢٢ جمادى الآخرة ١٣٤٤ هـ / ٨ يناير سنة ١٩٢٦ م ، فأصبح سلطان نجد وملك الحجاز ؛ وبقي كذلك حتى

(١) راجع « جزيرة العرب » لوهبه ص ٢٩٤ .

(٢) الواقع أن جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود دعا العالم الإسلامي لعقد مؤتمر في مكة لتقرير مصير الحجاز قبل مغادرته للرياض في مبدأ غزو الحجاز في ربيع الثاني سنة ١٣٤٣ هـ وقد كرر هذه الدعوة بعد ذلك ، ثم عززها في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٤٤ هـ بكتاب خاص أرسله إلى الحكومات والشعوب الإسلامية . ولم يلب هذه الدعوة غير فريق من مسلمي الهند ، وجمعية الخلافة هناك .

« تاريخ نجد الحديث » ص ٣٨٨ .

تغير اللقب في ١٩ يناير سنة ١٩٢٧ م فأصبح ملك الحجاز ونجد وملحقاتها  
ثم في ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٣٢ م أصبح ملك المملكة العربية السعودية بعد توحيد  
أجزاء المملكة (١)

## المرحلة الرابعة في تاريخ عبد العزيز آل سعود

تغير الوضع السياسي الدولي للجزيرة العربية بحلول جلالته الملك عبد العزيز آل سعود على عرش الحجاز ، واستأنف جلالته بذلك مرحلة جديدة في التاريخ بعد أن أصبح سيد الجزيرة ، وبعد أن شعر بقوة مركزه وخطورته في نظر المسلمين ونظر الدول جميعها . وعلى هذا الأساس شرع جلالته الملك العربي المسلم يقرر مركزه الدولي ، وينظم علاقاته بالدول .

### علاقات ابن سعود بالدول بعد فتح الحجاز

وقد كانت بريطانيا العظمى أول دولة ارتبطت بابن سعود وتعاهدت معه في سنة ١٩١٥ م على ما سبق . وكانت معاهدة القطيف في سنة ١٩١٥ م معاهدة حماية ضربت في ذلك الوقت من الإنكليز الأقوياء على ابن سعود الناشئ في فن الملك والسياسة . أما الآن ، وقد تدرج الأمير السعودي في مدارج القوة والحكم حتى أصبح ملك نجد والحجاز والملاحقات ، فالواجب أن يصحح مركزه وأن يقف من الدول وفي مقدمتها انكلترا موقف الند للند .

بهذه الروح تقدم جلالته الملك إلى الحكومة الانكليزية وطلب إليها إلغاء معاهدة الحماية ، وعقد معاهدة أخرى لتسوية ما بينهما من علاقات على أساس التكافؤ والاستقلال ، فاجتمع مندوب جلالته سمو الأمير فيصل ومندوب الحكومة

الانكليزية السير جلبرت كليتون ، وتم الاتفاق بينهما على معاهدة جدة التي وقعت في ذى القعدة سنة ١٣٤٥ هـ / مايو سنة ١٩٢٧ م (١) .

وكان أهم ما جاء في هذه المعاهدة الأمور الآتية :

١ - اعتراف الانكليز صراحة في المادة الأولى بالاستقلال التام المطلق لممالك حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها .

ب - النص على إلغاء معاهدة الحماية ( معاهدة القطيف ) في المادة التاسعة

ج - تعهد جلالة الملك ابن سعود بأن يتعاون بكل ماله من الوسائل مع صاحب الجلالة البريطانية في القضاء على الاتجار بالرقيق في المادة السابعة .

د - تعهده في المادة السادسة بعدم الاعتداء على الامارات العربية الواقعة على الخليج الفارسي والداخلة في حماية الانكليز ، وهي إمارات الكويت والبحرين وقطر وعمان .

ثم تتالت بعد ذلك اعترافات الدول باين سعود ، وعقدت معاهدات الصداقة بينها وبينه ، (٢) فتعاهدت معه فرنسا واعترفت به في نوفمبر سنة ١٩٣١ م ، وإيطاليا في فبراير سنة ١٩٣٢ م . وكذلك فعلت الدول الاسلامية

(١) راجع النص الكامل لمعاهدة جدة في ملحق الوثائق بنهاية الكتاب .

(٢) راجع « ملوك المسلمين المعاصرون » تجد نصوص هذه المعاهدات المختلفة في ج ١

معه ، وسوت علاقاتها به ، فتعاقد معه الإمام يحيى ، إمام اليمن بمعاهدة صداقة في أواخر سنة ١٩٣١ م ، بيد أن الحوادث تطورت بين الزعيمين العربيين على ماسياتى تفصيله في تاريخ الإمام .

سوى ابن سعود علاقاته مع كل الدول التى تربطه بها مصالح مشتركة ؛ وكانت مصر مع الأسف الشديد فى مؤخرة الدول التى اعترفت به ، ونظمت معاملتها معه ، على الرغم من كثرة المصالح المشتركة ، ومن وجود الروابط القوية التى تربط الشعب المصرى بأخيه الشعب العربى . فلقد طغت عوامل السياسة ، وتحكم النفوذ الأجنبى الذى كان لا بد من أن يحسب له حسابه فى ذلك الوقت ، وظل الأمر كذلك حتى قبض الله للشعب المصرى من ينفذ إرادته ويعمل لمصلحته ؛ فتم الاتفاق وعقدت معاهدة الأخوة والصداقة بين مصر والمملكة العربية السعودية فى عهد وزارة « صاحب المقام الرفيع » على ماهر « باشا » فى مايو سنة ١٩٣٦ م<sup>(١)</sup> . ثم سارت الأمور بعد ذلك فى طريقها الطبيعى ، فازدادت العلاقات توطداً بين البلدين الشقيقين ، الأمر الذى مهد لمهد جديد فى تاريخ العلاقات السياسية السعودية ، وفى تاريخ علاقات الدول العربية بعضها ببعض على الإطلاق .

(١) انظر نص المعاهدة فى ملحق الوثائق بنهاية الكتاب

## ابن سعود والوحدة العربية :

كان عبد العزيز آل سعود في مقدمة العاملين لتوحيد كلمة العرب والساعين لتحقيق الوحدة العربية علماً منه بأن مصالح الأمة العربية وحقوقها لا تنال إلا بالاتحاد والتضافر بين الشعوب العربية المختلفة ، هذا الاتحاد الذي يتمثل في تفاهم رؤساء العرب وحكوماتهم بعضهم مع بعض ؛ وفي توحيد الخطط المشتركة للوصول إلى أهداف العروبة الموحدة « في المجد والاستقلال والمساهمة الفعالة في بناء حضارة إنسانية » .

فطن عاهل الجزيرة إلى هذا وسعى له من زمن بعيد ، يوم أن كان أميراً عربياً ناشئاً في الحكم والسلطان ، ووقت أن كان لا يزال يسعى في بناء ملكه وتوطيد دعائمه ؛ فلقد كتب في مستهل الحرب الكبرى الأولى إلى أمراء الجزيرة العربية في ذلك الوقت يقترح عليهم الاجتماع معه للتفاهم على الخطة التي ينبغي اتباعها ، ويقول لهم : « علنا نتفق فننقذ العرب من أهوال الحرب ، ونتحالف ودولة من الدول لصون حقوقنا وتعزيز مصالحنا » (١) . فهو إذاً في الطليعة من بناء « الجامعة العربية » المؤمنين بها والعاملين لتحقيقها من قديم ، كما صرح بذلك جلالاته أثناء تشریفه لمصر في زيارته لشعب مصر وملكها في يناير سنة ١٩٤٦ م ، حيث قال موجهاً الخطاب إلى أعضاء الوفد المكون من مشايخ العرب في مصر عندما تشرّفوا

(١) راجع ص ١٢٨ - ١٢٩ من الكتاب ، وص ١٩٦ - ١٩٧ من « تاريخ نجد

الحديث » . وص ٢٧٦ من « جزيرة العرب » .

بالمثول بين يدي جلالته بقصر الزعفران ، قال : « إن جامعة الدول العربية ليست بنت اليوم ، فقد فكرنا فيها منذ زمن بعيد ، وقد كان يعرف ذلك أخي المرحوم حمد الباسل ، كما يعرفه البشير السعداوي » (١) .

ولقد كان تفكير عبد العزيز آل سعود في توحيد كلمة العرب ، وعمله المتواصل لبناء الوحدة العربية متلائماً ومنسجماً تماماً الانسجام مع الشعور العام القوي الذي تمكن من نفوس العرب في سائر الأقطار ، بعد أن آمن أبناء الأمة العربية بأنه لا سبيل إلى الحرية والاستقلال ولا سبيل إلى النهوض والفكاك من وثاق الاستعمار إلا بالاتحاد والتآزر وجمع القوى المتفرقة وتوجيهها لتحقيق الهدف المشترك لكافة الشعوب العربية .

تنبه دعاة الإصلاح من العرب لهذا وعملوا له خصوصاً في العراق ومصر ، وقامت في مصر خلال عام ١٩٤٢ م حركة مباركة ؛ ترمى إلى « تنمية العلاقات وتقوية الروابط بين الأقطار العربية ، والسهر على مصالحها والدفاع عن حقوقها » . وتأسس لهذه الغاية بتاريخ ٢٥ مايو سنة ١٩٤٢ م « نادي الاتحاد العربي » في مدينة القاهرة (٢) ، ثم أنشئت بعد ذلك فروع لهذا النادي في غيرها من المدن . وتدرجت هذه الحركة المباركة في طريق النمو والازدهار

(١) حدث هذا في يوم الخميس ١٣ صفر سنة ١٣٦٥ هـ / ١٧ يناير سنة ١٩٤٦ م .

(٢) راجع ص ٩٦ من « نحو الوحدة العربية » للدكتور يوسف هيكل .

حتى آمن رؤساء الحكومات العربية بأن عليهم أن ينفذوا إرادة شعوبهم ، وبأنه قد حان الوقت المناسب لأن يقودوا الحركة وأن يترجموا رغبة أمتهم العربية في الوحدة إلى أعمال تأخذ مكانها في سجلات التاريخ ، وتترتب عليها آثارها الطيبة بإذن الله ؛ خصوصاً وقد وثقت هذه الحكومات من أن الحكومة الإنكليزية صاحبة النفوذ والسلطان سوف لاتقف في سبيل تحقيق الوحدة العربية بعد أن أعلن المستر إيدن وزير خارجية بريطانيا العظمى عطف حكومته وتعضيدها « لكل حركة بين العرب لتعزيز وحدتهم الاقتصادية أو الثقافية أو السياسية » (١) . فتقدمت حكومة مصر الصفوف ، ولبت نداء الواجب

(١) كان للمستر إيدن في هذا الشأن تصريحات متتابعان ، أولها حدث في مقر رئيس البلدية في لندن بتاريخ ٢٩ مارس سنة ١٩٤١ م ، حيث قال : « ان كثيرين من مفكرى العرب يرغبون في أن تتمتع الشعوب العربية بنصيب من الوحدة أكبر من النصيب الذى تتمتع به الآن . وهم يأملون منا المعاضدة في بلوغ هذه الوحدة ، ولا يجوز لنا أن نغفل أى نداء يوجهه إلينا أصدقاؤنا بهذا الصدد . وبيدولى أن من الطبعى ومن الحق أن تتوثق الروابط الثقافية والاقتصادية ، والروابط السياسية أيضا بين الأقطار العربية . وستعاضد حكومة جلالته معاضدة تامة أى مشروع ينال الموافقة العامة » .

أما التصريح الثانى فقد أدلى به المستر إيدن بتاريخ ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٣ م فى مجلس العموم البريطانى وقد جاء فيه قوله : « إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى كل حركة بين العرب لتعزيز وحدتهم الاقتصادية أو الثقافية أو السياسية ؛ ولكن من الجلى أن الخطوة الأولى لتحقيق هذا المشروع يجب أن تكون من العرب أنفسهم . والذى أعرفه أنه لم يوضع إلى الآن هذا المشروع الذى سينال استحسانا عاما »

راجع ص ٥٥ — ٥٦ من المرجع السابق .

بقى أن نقول إن تصريح المستر إيدن بهذا كان بعد شعور الحلفاء وفى مقدمتهم بريطانيا برغبات الشعب العربى الملحة ، وبعد معرفتهم الهدف السامى الذى يسعى إليه العرب =

بحكم مركز مصر من البلاد العربية الشقيقة ، ووضع رئيس الحكومة المصرية الخطة العملية لتحقيق الوحدة العربية ، وأعلن عن هذه الخطة في بيانه الخطير الذي ألقاه بمجلس الشيوخ في الجلسة المنعقدة بتاريخ ٣١ مارس سنة ١٩٤٣ م حيث قال : « . . . منذ أعلن المستر إيدن تصريحه فكثرت فيه طويلاً . ولقد رأيت أن الطريقة المثلى التي يمكن أن توصل إلى غاية مرضية هي أن تتناول الحكومات العربية هذا الموضوع . وانتهت من دراستي إلى أنه يحسن بالحكومة المصرية أن تبادر باتخاذ خطوات رسمية في هذا السبيل ، فتبدأ باستطلاع آراء الحكومات العربية المختلفة فيما ترمى إليه من آمال ، كل منها على حدة ؛ ثم تبذل الحكومة المصرية جهودها في التوفيق والتقريب بين آرائها ما استطاعت السبيل إلى ذلك ، ثم تدعوهم جميعاً إلى مصر في اجتماع ودي لهذا الغرض ، حتى يبدأ المسعى للوحدة العربية من جهة متحدة بالفعل . فإذا تمّ التفاهم أو كاد ، وجب أن يعقد في مصر مؤتمر برياسة رئيس الحكومة المصرية لإكمال بحث الموضوع واتخاذ ما يراه المؤتمر من القرارات محققاً للأغراض التي تنشدها الأمم العربية . . . » .

شرعت الحكومة المصرية في تنفيذ هذه الخطة ، فطلبت من الحكومات العربية ، كل على حدة ، إرسال ممثلين عنها لاستطلاع آرائهم في موضوع

= وبدوون تحقيقه ؛ كما كانت مصلحة الحلفاء إذ ذاك تقتضي تكتيل العرب وتجميعهم ليقفوا معهم ضد خصومهم ؛ وأخيراً فإن بريطانيا بالذات كانت ترى أن الجامعة العربية المنشودة سوف تكون من صنائعها المنفذين لسياستها ، تلك الأمنية التي لم تتحقق على الوجه المأمول كما سنبين ذلك فيما بعد .

الوحدة العربية . ولبت هذه الحكومات طلب مصر ، وكانت حكومة صاحب  
الجلالة عبد العزيز آل سعود في مقدمة الملبين لهذا الطلب والعاملين بإخلاص  
للوصول إلى الهدف ، فحضر وفدها إلى مصر وبدأ المباحثات مع الحكومة  
المصرية في ١١ أكتوبر سنة ١٩٤٣ م ، وبعد أن أتمت هذه الحكومة  
مشاوراتها ومباحثاتها مع وفود العراق ، وشرق الأردن ، والمملكة العربية  
السعودية ، وسوريا ، ولبنان ، واليمن منفردين على التوالي ؛ وبعد أن رأت أن  
الجو أصبح ممهداً لاجتماع الوفود العربية وبختم شئون الوحدة العربية مجتمعين ،  
دعت الحكومات العربية من جديد لترسل وفودها إلى مصر حتى يعقدوا  
مؤتمراً عربياً عاماً يبحثون فيه قضيتهم ، ويحققون بإذن الله وحدتهم . ولقد  
حضرت الوفود واجتمعت بالإسكندرية في ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٤٤ م وألفت  
« اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام » . فاجتمعت هذه اللجنة ، ودرست  
قضية الوحدة العربية ، وخرجت من بحثها ودراساتها في ١٧ أكتوبر سنة ١٩٤٤ م  
بقرارات على جانب عظيم من الأهمية والخطر ، فأصدرت « بروتوكول  
الإسكندرية » الذي يسجل ميلاد « الجامعة العربية » ويباركه (١) ؛ كما ألفت  
لجنة فرعية من أعضائها لإعداد مشروع لنظام « مجلس الجامعة العربية » .  
ووقعت وفود الحكومات العربية على قرارات مؤتمر الإسكندرية إلا أن وفد  
المملكة العربية السعودية ووفد اليمن احتفظا بحق عرض هذه القرارات

(١) راجع البروتوكول وجميع القرارات التي صدرت في ملحق الوثائق بنهاية الكتاب .

على صاحبي الجلالة مليكهما . وبعد دراسة القرارات وافق صاحبها الجلالة عليها ، وأرسل جلالته الملك عبد العزيز آل سعود ممثلاً عنه لتوقيع « بروتوكول الإسكندرية » فحضر ووقعه ، وكذلك أمر جلالته الإمام يحيى ممثله في مصر بتوقيع « البروتوكول » عنه . وبذلك تمت موافقة جميع الحكومات العربية التي دعيت إلى مؤتمر الإسكندرية على قرارات « اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام » ، وافتتحت الأمة العربية عهداً جديداً في تاريخ العروبة ، وابتدأت مرحلة هامة في طريق النهوض والاستقلال .

### اجتماع رَضْوَى<sup>(١)</sup> .

وفي أثناء هذه الحركة المباركة برز إلى ميدان العروبة عامل جديد من عوامل الوحدة ، إذ قام ملك مصر السابق بزيارة صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية في بلاده ، مدفوعاً إلى ذلك بروح الوحدة العربية الذي كان يسيطر على الموقف ، وعلى نفوس الشعب المصري وسائر الشعوب العربية .

وفي يوم الاثنين الموافق ٢٢ يناير سنة ١٩٤٥ م أبحر ملك مصر السابق من ميناء السويس على اليخت الملكي « نجر البحار » متوجهاً إلى الميناء الحجازي ينبع ،

---

(١) رضوى: جبل عند ينبع ، معروف عند العرب ، وله شهرة في التاريخ الإسلامي .  
وبه سمي هذا الاجتماع التاريخي المشهود .

لزيارة صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود عاهل الجزيرة العربية  
الكريم ، فوصل إلى ينبع يوم الأربعاء الموافق ٢٤ يناير سنة ١٩٤٥ م . وفي  
الساعة الحادية عشرة من ذلك اليوم غادر ملك وادي النيل اليخت الملكي - وفي  
معيته مستقبليه من أمراء البيت السعودي ، ورجال الدولة السعودية العربية ،  
ورجال حاشيته - إلى المرسى الذي أعد لتزول جلالته . وكان في استقباله  
صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود الذي رحب به أجمل ترحيب واستقبله أروع  
استقبال . وفي هذه الزيارة التاريخية اجتمع الملك لأول مرة ، وكان  
اجتماعهما تحت ظلال رضوى ، وخلد هذا الاجتماع الملكي الهام في سجل التاريخ  
تحت اسم « اجتماع رضوى » .

وفي اجتماع رضوى تباحث الملك فيما يهم شعبيهما من شئون ، وما يهم  
الشعوب العربية والإسلامية على الإطلاق . « وقد ضمنت المباحثات التي  
دارت بينهما خروج الجامعة العربية بنجاح من مرحلة البروتوكول إلى حيث  
أصبحت هيئة سياسية . هذا فضلا عن أن تلك المباحثات وضعت أساس التفاهم  
الودي بين الملكين » (١) . ولقد عبر جلالته الملك عبد العزيز آل سعود أحسن  
تعبير وأبلغه عن فضل هذه الزيارة في ميدان العمل للوحدة العربية ، وعن الآثار

(١) هذه عبارة جريدة « التيمس » في المقال الافتتاحي الذي نشرته بتاريخ ٩  
يناير سنة ١٩٤٦ م عن مباحثات رضوى بمناسبة زيارة عاهل الجزيرة العظيم لمصر ، التي  
ابتدأت في اليوم التالي لنشر المقال .

الهامة في تاريخ العرب والعروبة التي ترتبت على اجتماع رضوى ، وعلى تفاهم الملكين العربيين ، عبر عن هذا في رسالته الكريمة التي وجهها إلى شعبه بمناسبة عودته إلى مملكته عقب الزيارة التي أداها جلالته لشعب مصر وملكها في يناير سنة ١٩٤٦ م ، حيث يقول : « ... شعبي العزيز ! لقد افتتح أخى ملك مصر حصن الإخاء تحت ظلال رضوى ، وتوج الله ذلك الإخاء بمودة لا انفصام لها بمشيئة الله ؛ لم تكن بين قلوبنا في بلدنا فحسب ، بل كانت سبيلاً وطريقاً لاجتماع كلمة العرب على ما يجمع شملهم ويحفظ لهم عزهم وسعادتهم في كل موطن من مواطن العروبة » (١) .

ومما لا شك فيه أنه في اجتماع رضوى قد توطدت أركان مشروع الوحدة العربية ، وأن هذا الاجتماع قد خطا بتلك الوحدة خطوات واسعة نحو التحقيق وأنه « محادث ما كان يتفوه به أعداء العرب من أن الوحدة العربية غير قابلة التحقيق لفقدان التفاهم عليها بين ملوك العرب وأمراءهم » (٢) . فبعد هذه الزيارة المباركة وهذا الاجتماع اليمون حدثت زيارة كريمة أخرى من رئيس عربي كريم للمملكة العربية السعودية ، ثم لمصر ، في سبيل التفاهم ووضع الخطط المشتركة لتوحيد كلمة العرب والعمل لصالح الأمة العربية في جميع الأقطار فلقد زار رئيس الجمهورية السورية في ذلك الوقت صاحب الفخامة السيد شكري القوتلي صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود في يوم الخميس الموافق

(١) نشرت هذه الرسالة الملكية في الصحف المصرية بتاريخ ١٧ يناير سنة ١٩٤٦

(٢) ص ١٠٤ من كتاب « نحو الوحدة العربية » .

٨ فبراير سنة ١٩٤٥ م تلبية لدعوة جلالته لفخامته ؛ ثم أعقب فخامته هذه الزيارة بزيارة ثانية للملك مصر السابق في يوم الإثنين الموافق ١٢ فبراير سنة ١٩٤٥ م . وكانت هاتان الزيارتان الكريمتان مما استتبعه اجتماع رضوى ، وللغرض الذى أشرنا إليه .

كذلك استتبع اجتماع رضوى المبادرة بدعوة اللجنة الفرعية التى تتبع « اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربى العام » إلى الانعقاد ، تلك اللجنة الفرعية المؤلفة من وزراء الخارجية للدول العربية لوضع مشروع النظام لمجلس جامعة الدول العربية ، كما سبق أن ذكرنا . فاجتمع أعضاء هذه اللجنة وعقدوا ستة عشر اجتماعاً فى دار وزارة الخارجية المصرية بالقاهرة ، ابتداءً من يوم الأربعاء الموافق ١٤ فبراير سنة ١٩٤٥ حتى يوم السبت الموافق ٣ مارس سنة ١٩٤٥ م . وخرجوا من هذه الاجتماعات التى كانت عامرة بالمناقشة والبحث بالمشروع المطلوب ، مشروع النظام لمجلس جامعة الدول العربية ؛ ووصلوا إلى هذه النتيجة المحموده باتفاق جميع الآراء . ثم وقع وزراء الخارجية المجتمعون هذا المشروع فى آخر جلسة من جلساتهم صباح السبت ٣ مارس سنة ١٩٤٥ م ، واشترك معهم فى التوقيع ممثل الأحزاب العربية فى فلسطين ، وعلى أثر التوقيع على مشروع ميثاق جامعة الدول العربية ألقى رئيس الحكومة المصرية ووزير خارجيتها ، الذى كان رئيس اللجنة كلمة كان منها قوله : « ... والآن وقد أمضيتم مشروعكم ، فإنى سأرفعه فى أقرب فرصة إلى اللجنة التحضيرية ، التى سأدعو إلى اجتماعها قريباً ، حتى

إذا أقرته لم يكن بينه وبين النفاذ إلا فترة قصيرة ، هي فترة الإبرام . وأملى عظيم في أن هذه الإجراءات تتعاقب سراعاً ، فيمكن دعوة مجلس الجامعة إلى الانعقاد ، وتتحقق رغبة الشعوب العربية في هذا الربيع ... وستكون هذه الجامعة أداة رقى للعرب وعزهم ومجدهم جميعاً ، فإن هذه الجامعة وإن كانت مؤلفة من الدول المستقلة الآن ، إلا أن عملها وغايتها ينصرفان لحير الأقطار العربية كلها ... » (١) .

وفي نفس هذه الجلسة الأخيرة حدد يوم السبت الموافق ١٧ مارس سنة ١٩٤٥ م موعداً لاجتماع « اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام » . وفي يوم الخميس الموافق ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ م توجت المفاوضات بين ممثلي الدول العربية بتوقيع ميثاق « جامعة الدول العربية » في « قصر الزعفران » بمدينة القاهرة (٢) ، وشهدت القاهرة بذلك يوماً هو بمثابة نقطة التحول في مجرى حياة الأقطار العربية السياسي والاقتصادي والثقافي .

### زيارة عبد العزيز آل سعود لشعب مصر وملكها :

كذلك كان من الامور الهامة والأحداث الفاصلة في تاريخ العرب والعروبة والإسلام والمسلمين ، التي استتبعها اجتماع رضوى وكانت من نتائجها ، تلك

(١) نشر نص هذه الكلمة بصحف مصر الصادرة في يوم الأحد الموافق ٤ مارس سنة ١٩٤٥ م .

(٢) راجع نص الميثاق في ملحق الوثائق بنهاية الكتاب .

الزيارة الميمونة التي أداها عاهل الجزيرة العربية لشعب مصر وملئها بعد مضي عام على اجتماع رضوى . ففي يناير سنة ١٩٤٦ م شرف صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود مصر بالزيارة بعد الدعوة التي وجهها إليه ملك مصر السابق . ففي يوم الاثنين الموافق ٣ صفر سنة ١٣٦٥ هـ / ٧ يناير سنة ١٩٤٦ م ، في تمام الساعة الثالثة بعد الظهر ، أفلح اليخت الملكي المصري « المحروسة » من ميناء جدة إلى مصر مقلا جلاله الضيف العظيم ورجال حاشيته ، الذين كان على رأسهم جمهرة من أصحاب السمو الملكي الأمراء السعوديين (١) . وكان في صحبة جلالته أيضاً بعثة الشرف المصرية التي كان يرأسها ناظر الخاصة الملكية المصرية في ذلك الوقت المغفور له مراد محسن « باشا » ، أرسلها ملك مصر على اليخت الملكي المصري زيادة في التكريم لحضرة صاحب الجلالة الزائر الكبير . وفي الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم الخميس الموافق ٦ صفر سنة ١٣٦٥ هـ / ١٠ يناير سنة ١٩٤٦ م رسا اليخت « المحروسة » في ميناء السويس ، فصعد إليه جلاله ملك مصر السابق ، وفي معيته كبار رجال الدولة ، فحيا ضيفه الكريم ، ورحب به على أحسن وجه من الترحيب .

وبعد أن نزل الملك من اليخت واستراحا قليلا نهضا فالتقلا مع رجال الحاشية من الجانبين القطار الملكي الأبيض إلى القاهرة ، وتابع القطار سيره بجالاتيهما وسط مظاهر الفرحة والابتهاج ومعالم الترحيب والتكريم حتى وصل إلى محطة العاصمة في تمام الساعة الثالثة بعد ظهر ذلك اليوم المشهود .

---

(١) هؤلاء الأمراء السعوديون هم صاحب السمو الأمير عبد الله بن عبد الرحمن بن فيصل أخو جلاله الملك عبد العزيز ، واثنا عشر أميراً من أبناء جلالته .

ومكث جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود في هذه الزيارة الهامة ثلاثة عشر يوماً ، حيث أبحر جلالتة في رعاية الله وحراسته عائداً إلى مملكته من ميناء السويس في الساعة الرابعة والربع بعد ظهر الثلاثاء الموافق ١٨ صفر سنة ١٣٦٥ هـ / ٢٢ يناير سنة ١٩٤٦ م ، بمصاحبة بعثة الشرف المصرية ، وعلى نفس اليخت الملكي المصري الذي حضر عليه « المحروسة » ، تحرسه الطوافتان المصريتان « فاروق » و « فوزية » ، فوصل بسلامة الله إلى ميناء جدة في الساعة الثامنة من صباح الجمعة الموافق ٢١ صفر سنة ١٣٦٥ هـ / ٢٥ يناير سنة ١٩٤٦ م .

قضى جلالتة هذه المدة في القاهرة وضواحيها ، والمحلة الكبرى ، وأنشاص ، والاسكندرية ؛ وشاهد فيها الكثير من منشآت مصر الهامة ، وزار آثارها الخالدة ، واستعرض جيشها الفتى . فأتيحت لجلالتة بذلك الفرصة للتعرف بمصر والمصريين عن قرب ومشاهدة . كما أتيت لملك مصر وشعبه الفرصة للترحيب بضيفهم العظيم ، وعقد أواصر المودة والتعاون مع الملك العربي المسلم القوي ، في سبيل خير العروبة والعرب ، وفي سبيل صالح الشعوب الإسلامية على العموم .

نعم في سبيل الخير والصالح العام للعرب والعروبة والإسلام والمسلمين كانت هذه الزيارة الملكية الكريمة ، كما كانت الاجتماعات الخاصة التي عقدت أثناءها بين صاحبي الجلالة الملكين على انفراد . فقد اجتمعا مثلاً في سفح الأهرام ، في مكتب الملك بالاستراحة الملكية الموجودة بقرب الهرم .

الأكبر قبل إذاعة بيانها المشترك الذي سنتحدث عنه فيما بعد؛ كما اجتمعوا مثل هذا الاجتماع في مزارع. أنشأ المملوكية أثناء الزيارة لها، فقد اجتمعوا هناك على انفراد في الذهبية الملكية « استار » التي كانت راسية في ترعة الإسماعيلية أمام قصر « الزهراء » الملكي. وفي هذه الاجتماعات وأمثالها كان العاهلان العريان يبحثان في مسائل الشرق، والجامعة العربية، ومستقبل الشعوب العربية من حيث العمل لاستقلالها والسعي لتكتلها وتأزرها لتقوى وتمهض.

ولم يكن للملكين أو لأحدهما في هذه الاجتماعات مأرب خاص أو مصلحة خاصة، كما أنها لم تكن وسيلة للتحزب وإنشاء المعسكرات داخل الجامعة العربية بمثل ما حاول أن يرجف به ويدس كتاب الاستعمار والصحفيون الصهيونيون. وإنما كانت لوجه الله خالصة في سبيل مجد العرب واستقلالهم جميعاً كما قلنا، وكما صرح صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود، حيث يقول: «... نحن نريد أن تكون علاقات العرب بعضهم ببعض علاقات إخاء وصداقة ووثام، وليس لأحد منا مطمع أو غرض؛ بل مطمئنا هو أن تكون جميع البلدان العربية سعيدة، وغرضنا هو أن يكون كل بلد عربي مستقلاً ولأهله، وأن تكون الكلمة في شئونه له، وأن يدافع الكبير عن الصغير، فالحمد لله على ذلك. وأنا شخصياً لا أبغى شبر أرض واحد زيادة على المملكة التي ولينا عليها، وكذلك لا يبغى أخى الفاروق شيئاً، وما نحن سوى خادمين للعرب. وإذا كان لنا أن نطالب العرب بشيء في مقابل ما يوفقنا الله إلى إسدائه إليهم

فهو أن يعضدوا جامعة الدول العربية بكل قواهم ، وأن يلتفوا حولها بقلوبهم ، وأن يخلصوا الميثاقها . فإن هذه الجامعة هي كل شيء الآن لنا نحن العرب ؛ وثقوا أنني وجملة أخى الفاروق سنؤيدها بكل نفوذنا ، ونشد أزرها بكل ما نملك . وعلى الله الاتكال » (١) . وبمثل هذه الروح الخيرة تحدث صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود مع وزراء الدول العربية حينما تفضل جلالتهم فجمعهم على مأدبة الغداء التي أقامها لهم في « قصر الزعفران » بالقاهرة أثناء زيارته الملكية في يوم الأحد الموافق ٩ صفر سنة ١٣٦٥ هـ / ١٣ يناير سنة ١٩٤٦ م .

فلا شك إذاً أن هذه الزيارة الملكية الكريمة ، وما صاحبها من محادثات واجتماعات بين الملكين العربيين كانت في سبيل الصالح العام للشعوب العربية كافة ، كما كانت من عوامل تحقيق الوحدة العربية . « ولا يمكن أن تُصور قوة العوامل على تحقيق الوحدة العربية بأجلى من هذا التعاون الجديد بين مصر والمملكة العربية السعودية . فظروف البلدين مختلفة أشد الاختلاف ، وتقدمها الاقتصادي متفاوت ، وتاريخهما متباين كل التباين . والواقع أنه ليس من الأمور التي لا قيعة لها بالقياس إلى أمن الشرق الأوسط وطمأنينته أن يعمل

(١) صرح جلالتهم بهذا التصريح الخطير للأستاذ كريم « بك » ثابت في قطار الديزل الملكي أثناء العودة من أنشاس إلى القاهرة ، ونشر هذا التصريح في العدد ١١١١ من مجلة المصور .

ممثلو بلاد هذا الشرق معا في اتفاق وانسجام» (١) .

وكان من الأحداث الهامة أثناء تلك الزيارة ذلك التصريح الملكي المشترك الخطير ، الذى صرح به صاحبها الجلالة عبد العزيز آل سعود وفاروق الأول . فهو خطير بظروفه وملايساته التى أحاطت به ، كما هو خطير بمحتوياته ؛ فلقد أذيع فى مادبة « الجامعة العربية » التى أقامها الأمين العام للجامعة لصاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ظهر يوم الأربعاء الموافق ١٢ صفر سنة ١٣٦٥ هـ / ١٦ يناير سنة ١٩٤٦ م ، وبحضور ممثلى دول « الجامعة العربية » السبع من الأمراء والوزراء وكبار رجالات العرب ، وفى دار « الجامعة العربية » الجديدة ، « قصر المانسترلى » بجزيرة الروضة بالقاهرة عند افتتاحها .

كذلك كانت محتويات البيان الملكى المشترك على جانب عظيم من الخطورة ، فقد سجل الملكان فيه مبدأ التعاون والتكافل فى تأسيس « الجامعة العربية » ، كما سجلا أن ذلك كان استجابة لرغبات الشعوب العربية وآمالها، وأن قيام « الجامعة العربية » ليس فيه شئ من العلو والاستكبار على أمة أخرى ؛ وإنما قيامها يعنى حرص العرب كل الحرص على حرية الشعوب العربية واستقلالها وسلامتها ، مع التعاون والتضامن مع الأمم الأخرى فى سبيل الخير للبشرية كافة .

وكان مما عنى به الملكان فى بيانهما على وجه خاص أن صرحا بأنهما يشاركان العرب والمسلمين جميعا فى إيمانهم بأن فلسطين بلاد عربية ، وأنه يجب أن تبقى لأهلها عربية

(١) جريدة « التيمس » فى الافتتاحية التى علقت بها على زيارة عاهل الجزيرة لمصر فى

كما كانت دائماً ؛ ثم تنويهما وإبرازهما لما يرمى إليه ميثاق « الجامعة العربية » من أن يكون لكل قطر عربي حقه الواضح في تقرير مصيره والتمتع بحريته الكاملة .

وإليك نص هذا البيان الملكي كما أذاعته رئاسة مجلس الوزراء بمصر . (١)  
وقد تشرف بالقاءه المغفور له « صاحب الدولة » محمود فهمي النقراشي « باشا »  
رئيس مجلس الوزراء اذ ذاك عقب مأدبة الغداء :

« إن من دواعي سرورنا العظيم أن يكون اجتماعنا في هذا المكان التاريخي ،  
في الدار الجديدة لجامعة الدول العربية ، تلك الجامعة التي كان من حظنا وحظ  
إخواننا ملوك العرب وأمراءهم ورؤسائهم أن يضعوا أسسها وأن يرعوها ،  
فيقيموها على دعائم من التعاون والتكافل خير العرب وخير البشر كافة ،  
ويستجيبوا بذلك لرغبات الشعوب العربية وآمالها .

نحن نرغب أن تضرب جامعتنا دائماً للناس جميعا المثل في تعاون صادق بين  
جماعة من الدول ، متصافرة على سلامتها المشتركة ، ومتكافلة في صيانة حريتها  
وإستقلالها .

(١) نشر هذا البيان في الصحف المصرية الصادرة في يوم الخميس الموافق ١٧ يناير

ونحن واثقون أن جامعتنا ، وهي تؤدي هذه الرسالة بين العرب ، لا تريد علوا ولا استكبارا على أمة أخرى ، بل نرى أن من أسى مقاصدنا ومقاصدها التعاون مع أمم الأرض كلها على البر والحق والعدل والسلام الدائم .

ونحن كذلك ثق بأن جامعتنا التي تربأ بنفسها عن كل تفكير في العدوان على غيرها ، تحرص كل الحرص على أن تدافع عن الحق والعدل والحرية .

ولم يكن المجهود العظيم الذي يبذله ملوك العرب وأمراؤهم ورؤسائهم وحكوماتهم وشعوبهم لنصرة عرب فلسطين إلا تحقيقا لمبادئ الحق والعدل .

ونحن نشارك المسلمين والعرب جميعا في إيمانهم بأن فلسطين بلاد عربية وأن من حق أهلها ، وحق المسلمين والعرب معهم ، أن تبقى عربية كما كانت دائما .

وانا لتقدر كل التقدير ما يرمى إليه ميثاق الجامعة العربية من أن يكون لكل قطر عربي حقه الواضح في تقرير مصيره والتمتع بحريته الكاملة .

ويسعدنا أن تسير الأقطار العربية بخطى ثابتة نحو الوحدة وتضع من النظم ما يزيد في التقارب بينها وإحكام صلاتها ، ويؤدي إلى تبادل المنافع والخيرات لتسعد جميع طبقات الأمة العربية بعيش أرغد ، وتنعم بالثمرات الكثيرة التي وهبها الله سبحانه أرضهم وبلادهم .

ونحن واثقون كل الثقة أن الشعوب العربية التي تتمثل آمالها في جامعة الدول العربية لا تريد إلا السلم والحق والإخاء العام، وأنها ستتهدي بسيرة أسلافها

فتحقق المثل العليا التي يوحى إليها تاريخ العرب ونهضتهم العظيمة ودعوتهم  
للمساواة العامة بين الشعوب والطوائف والأفراد ، فتتعاون جامعتنا مع المؤسسات  
الدولية التي تقيمها الأمم المتحدة لتحقيق حرية البشر والعدل والإخاء ، فتكفل  
للحضارة الإنسانية سيرا موقفا في ظلال سلم دائم » .

## اجتماع أنشاص

وهذه خطوة أخرى مباركة في سبيل الوحدة العربية ، وفي سبيل مجد  
العرب واستقلالهم ، نعتبرها نتيجة من النتائج الهامة التاريخية المترتبة على اجتماع  
رضوى ، وعلى اجتماعات القاهرة وأنشاص والإسكندرية التي تمت بين صاحب  
الجلالة عبد العزيز آل سعود وبين ملك مصر السابق . هذه الخطوة المباركة هي  
اجتماع أنشاص الذي تم بين ملوك العرب ورؤسائهم في « زهراء أنشاص » بدعوة  
من ملك مصر ، الذي سبق له أن تعارف بملك المملكة العربية السعودية تحت  
ظلال رضوى . فمن اليوم الذي حصل فيه التعارف والمقابلة الشخصية بين عاهل  
الجزيرة العربية وبين ملك وادي النيل في اجتماع رضوى ، ثم في اجتماعات القاهرة  
وأنشاص والإسكندرية ؛ من هذا اليوم ابتدأت الأمة العربية تعرف طريقها  
الواضح الأعلام ، وتسير فيه تحت قيادة ملوكها ورؤسائها متضامنين متساندين  
نحو أهدافها المحددة في ميدان النهوض والاستقلال والحرية .

والواقع أن القرارات التي اتخذت في اجتماع أنشاص ، والتي سنتحدث عنها ، تعد بمثابة أعظم حدث سياسي شهده العالم العربي بعد تكوين « الجامعة العربية ». ولهذا فقد قرر حضرة صاحب الفخامة الرئيس السابق للجمهورية السورية السيد شكري القوتلي أن هذا الاجتماع « أعظم اجتماع عرفه العرب في تاريخهم من ألف سنة » (١) . وقد حضر هذا المؤتمر الذي لم يسبق له مثيل حضرات أصحاب الجلالة والفخامة والسومولوك ورؤساء الدول السبع التي تتألف منها الجامعة العربية ؛ وهي مصر ، والعراق ، والمملكة العربية السعودية ، وسوريا ولبنان ، واليمن ، وشرق الأردن . ولقد حضر الملوك والرؤساء جميعاً بأنفسهم ماعدا جلالة المغفور له الإمام يحيى حميد الدين الذي أناب عنه في حضور المؤتمر نجله سمو الأمير سيف الإسلام عبد الله ؛ وما عدا جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، فقد أناب عنه ملك مصر السابق ، وأرسل مع ذلك نجله صاحب السمو الأمير سعود ولي العهد لحضور المؤتمر . قام إذاً ملك مصر في حضور المؤتمر ، وفي توقيع بيان الملوك والرؤساء المشترك مقام الملك عبد العزيز آل سعود على الرغم من حضور ابنه وولي عهده . وإن لهذا التصرف الملكي الكريم من جانب ملك المملكة العربية السعودية دلالة في مدى توثق العلاقات بين مصر وبين هذه المملكة ، وفي الإشارة إلى مجهودها المشترك في بناء الوحدة العربية وفي العمل

(١) هذا ما صرح به فخامة الرئيس شكري القوتلي في وصفه لاجتماع أنشاص ،

ولقد نشر هذا التصريح بمجلة « المصور » في العدد رقم ١١٣٠ .



حضرات أصحاب الجلالة ، والقنخامة والسمو ملاك ورؤساء وأمراء الدول السبع التي تتألف منها جامعة الدول العربية في اجتماع أنشاس بتوسطهم ملك مصر السابق ، وعن يمينه نخامة السيد شكري القوتلي رئيس سوريا السابق ، ثم سمو الأمير عبد الإله الوصي على عرش العراق ، وسمو الأمير سعود ولي عهد الملك عبد العزيز آل سعود ونائبه . وعن يسار ملك مصر يجلس المغفور له الملك عبد الله الملك الهاشمية الأردنية السابق ، ثم نخامة الشيخ بشاره الخوري رئيس لبنان السابق ، وسمو الأمير سيف الإسلام عبد الله نائباً عن والده ملك اليمن .

obeykandl.com

لتدعيم ما بين ملوك العرب ورؤسائهم من روابط المودة والإخاء كما تتطلب العروبة والمصالح المشتركة والصالح العام لسائر الشعوب العربية .

عقد اجتماع أنشاص في القصر الملكي المعروف « بزهران أنشاص » ، بالمزارع الملكية التابعة لأنشاص من أعمال مديرية الشرقية ، وكان على التحديد في البناء الحديث الذي بناه ملك مصر السابق على مسافة نحو كيلومترين من القصر القديم ؛ ويعرف هذا البناء الحديث « بالحمام » لأنه أنشئ فيه حمام كبير للسباحة . وعقد في يومين متتابعين ، يومى الثلاثاء والأربعاء ٢٦ و ٢٧ من جمادى الآخرة سنة ١٣٦٥ هـ / ٢٨ و ٢٩ من مايو سنة ١٩٤٦ م ؛ ففي اليوم الأول عقد الاجتماع بعد الظهر واستمر ثلاث ساعات ، وفي اليوم الثانى استمر الاجتماع من الساعة الخامسة بعد الظهر إلى نحو منتصف الليل ، وقد تم في هذا الاجتماع الثانى الاتفاق على جميع النقاط ، وعلى مشروع صيغة الوثيقة التى تمضى . ولقد افتتح ملك مصر السابق المؤتمر بكلمة بين فيها الغرض من الاجتماع ، وأكد فيها الوحدة الوثيقة التى تربط بين العرب بعضهم وبعض ، شعوبهم ، ودولهم ، وملوكهم ورؤسائهم . وقال فى كلمته :

« إن اجتماعنا هو قبل كل شئ للتعارف ، ولكى نظهر للعالم جليا أنه ليس بيننا أو بين دولنا أى انقسام ، لافى الأشخاص ولا فى الآراء . ثم

لنبحث الشؤون التي تهم بلادنا وتتناول فيها ، فيعرف كل واحد منا رأى أخيه ،  
فيشير على حكومته بما هو أفضل .

والله أسأل أن يوفقنا جميعاً إلى ما فيه خير العرب ومجدهم ، آمين ! »

وبعد انتهاء المؤتمر العربي الذي جمع ملوك العرب ورؤساءهم على مائدة  
مناك مصر في « زهراء أنشاص » أذاعت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بعد  
ظهر يوم الخميس الموافق ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٥ هـ / ٣٠ مايو سنة ١٩٤٦ م  
نص البيان المشترك الذي أصدره المؤتمر . ولقد سبق أن حضر الأمين العام  
للجامعة جلسات هذا المؤتمر ؛ وإن في حضور أمين الجامعة العام وممثلها لتلك  
الجلسات ، وفي إذاعة ذلك البيان التاريخي عن طريق أمانة الجامعة لتأييد عملي  
من ملوك العرب ورؤساءهم لجامعتهم العربية وتعضيد قوى منهم لها . وهم ولا شك  
حريصون كل الحرص على تأييدها وتعضيدها ، « فلسان العرب الآن هو الجامعة  
العربية ، ويجب على العرب أن يلتفوا حولها ويؤيدها » كما قال صاحب الجلالة  
الملك عبد العزيز آل سعود (١) .

ولقد عالج الملوك والرؤساء العرب في بيانهم ثلاث مسائل كانت ملحة  
وعلى جانب عظيم من الأهمية للعالم العربي في ذلك الوقت ، وهي لاتزال الشغل

(١) قال جلالة ذلك في حديث له مع الأستاذ سماحة مندوب « المصور » أثناء

زيارة جلالة لمصر ، ونشر الحديث في عدد « المصور » الصادر في ١٨ يناير سنة ١٩٤٦ م

الشاغل للشعوب العربية إلى الآن ، على الرغم مما جد من الحوادث والمشاكل  
ومن التغيير في كثير من الأحوال .

هذه المسائل الثلاث هي مسألة فلسطين ، ومسألة الممتلكات الإيطالية في شمال  
إفريقية ، والمسألة المصرية . فبعد أن مهد الملوك والرؤساء العرب في البيان  
بأنهم متفقون تمام الاتفاق على أن دول « الجامعة العربية » ترغب رغبة  
أكيدة في السلم الدائم مع الجميع ، وعلى أنها ترى أن أعظم الوسائل إلى ذلك  
التعاون الصادق مع هيئة الأمم المتحدة وتقويتها واحترامها وتنمية الثقة بها ،  
بعد هذا التمهيد عاجلوا مسألة فلسطين . وكان ذلك عقب أن كشفت حكومة  
الولايات المتحدة الأمريكية القناع عن وجهها ؛ وبعد أن أظهرت التحيز التام  
للإهود ، وصرحت بأنها ترى وجوب السماح لمائة ألف آخرين من الإهود بالهجرة  
إلى فلسطين ، كما أوصت بذلك لجنة التحقيق الإنجليزية الأمريكية في تقريرها .  
فردًا على هذا الموقف من جانب حكومة الولايات المتحدة وبيانًا لموقف العرب  
منه صرح الملوك والرؤساء العرب في البيان بأن قضية فلسطين قضية العرب  
جميعاً ، وبأن فلسطين عربية ، وعلى العرب المحافظة على عربيتها ، وبأن العرب  
لا يوافقون على أية هجرة جديدة إليها ، وبأنهم يعتبرون ذلك نقضاً للكتاب  
الأبيض الإنكليزي الذي ارتبط به الشرف البريطاني ؛ ثم نوهوا بأن ذلك  
لو تمّ سيكون من شأنه تكدير العلاقات بين الدول والشعوب العربية وبين  
الدولتين الديمقراطيةين ، أمريكا وبريطانيا . وبعد ذلك كلفوا الأمين العام  
لجامعة الدول العربية أن يطلب إلى مجلس الجامعة اتخاذ أفضل الوسائل لصيانة  
مستقبل فلسطين العربية .

أما مسألة المستعمرات الإيطالية في شمال إفريقية فقد كانت أيضاً من مسائل الساعة الهامة ، بعد أن شرعت دول الحلفاء في التشاور للبت في مصير هذه البلاد وأهلها ، وبعد أن فضحت أغراض الحلفاء الاستعمارية عن نفسها . لهذا كانت من المسائل التي عاجها الملوك والرؤساء في بيانهم ، فصرحوا في شأن طرابلس وبرقة بأن استقلالها أمر طبيعي وعادل ، وأنه ضروري لأمن مصر والبلاد العربية ؛ وأن على الجامعة العربية أن تهيب الأسباب لهذا الاستقلال ، وأن تتعهد حتى تظهر الحكومة العربية في تلك البلاد وتستطيع النهوض بأعبائها عضواً من أعضاء الجامعة العربية . (١)

والمسألة الثالثة من المسائل التي عاجها البيان هي المسألة المصرية . وقد كانت أيضاً مسألة الساعة الهامة ، خصوصاً وقد جاء اجتماع الملوك والرؤساء العرب عقب توقف المفاوضات المصرية الإنجليزية في يوم ٢٢ مايو سنة ١٩٤٦ م بسبب تعنت الجانب الإنكليزي ، وحرصه في مشروع المعاهدة الذي قدمه للجانب المصري بتاريخ ١٩ مايو على أن يكون متضمناً للروح الذي كان سارياً في معاهدة سنة ١٩٣٦ م ؛ ذلك الروح الذي يجعل من مصر منطقة من مناطق النفوذ البريطاني . فصرح المؤتمر في بيانهم بشأن هذه المسألة بأن

(١) استقلت « ليبيا المتحدة » بولاياتها الثلاث : برقة ، وطرابلس ، وفزان ، من نحو عام مضى بعد موافقة هيئة الأمم المتحدة على استقلالها . ولقد نصب ملكها السيد محمد إدريس المهدي السنوسي ، ولقب جلالة « بادريس الأول » . وجلالته يشرف مصر الآن بزيارته الودية ، وهو موضع الحفاوة والتكريم من شعب مصر وحكومتها في عهد الحرية الجديد . وبهذه المناسبة تقدمت الحكومة الليبية بطلب انضمام ليبيا إلى الجامعة العربية ، وفي دورة مارس القادم ستكون ليبيا العضو الثامن من أعضاء الجامعة العربية بإذن الله .

تحقيق مطالب مصر ، وجلاء القوات البريطانية عن وادى النيل ، واستكمال  
السيادة المصرية أمر لا بد منه ؛ وأن قضية مصر قضية جميع العرب العامة ، فهم  
جميعاً يؤيدون مطالب مصر الحقّة ويسندونها بكل قواهم ؛ ثم سجلوا على  
الحكومة البريطانية ما صرح به رئيسها المستر إيتلي بتاريخ ٧ مايو في مجلس  
العموم البريطاني من عزم حكومته على سحب قواتها البرية والبحرية والجوية  
من الأراضي المصرية - وكان قد صرح بذلك تهيئة للجو المناسب للمفاوضات  
المصرية البريطانية - وبينوا أنه ينبغي أن تقام العلاقات بين مصر وبريطانيا  
على أسس الصداقة والثقة المتبادلة بين دولتين متساويتين .

كذلك تناولوا في البيان شؤون البلاد العربية الأخرى مثل شمال إفريقيا ، بلاد  
الشعب الأبى المجاهد الذى يضحى في سبيل استقلاله ويسعى بكل ما فى استطاعته  
للتخلص من قيود الاستعمار الفرنسى والإسباني تحت قيادة زعمائه الأبطال  
الأحرار أمثال البطل الكبير الأمير محمد عبد الكريم الخطابى ، الذى يتزعم الآن  
حركة التحرير لهذه البلاد الشقيقة بعد أن استطاع الإفلات من قيود الأسر الفرنسى  
ولجأ إلى حمى الحكومة المصرية ، فاستوطن مصر ، وجعلها مركزاً لنشاطه  
ونشاط اخوانه في سبيل الاستقلال والتحرر . تناول المؤتمرون في بيانهم أيضاً  
شؤون هذه البلاد الشقيقة ، فعهدوا إلى جامعة الدول العربية أن تسعى لتحقيق  
رغبات أهلها الحقّة في التحرر والمشاركة في جامعة الدول العربية .

وإليك نص البيان ، تثبته هنا لأهميته التاريخية (١) :

(١) هذا النص هو الذى أذاعته الأمانة العامة لجامعة الدول العربية كما سبقت  
الإشارة إلى ذلك ، ولقد نشر في الصحف المصرية في الاعداد الصادرة في يوم السبت أول  
يونيه سنة ١٩٤٦ م .

« تشاور أصحاب الجلالة والفخامة والسمو رؤساء دول الجامعة العربية ممثلين بأشخاصهم أو بوكلائهم في المؤتمر الخاص الذي عقد في زهراء أنشاص في يومى ٢٨ و ٢٩ مايو سنة ١٩٤٦ بدعوة من حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق ملك مصر وصاحب بلاد النوبة والسودان وكردفان ودارفور . وقد حضر حضرة صاحب الفخامة السيد شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية ، وحضرة صاحب الجلالة الملك عبدالله ملك شرقى الأردن ، وحضرة صاحب السمو الملكى الأمير عبد الإله الوصى على عرش العراق ، وحضرة صاحب الفخامة الشيخ بشارة الخورى رئيس الجمهورية اللبنانية ، وحضرة صاحب السمو الملكى الأمير سعودولى عهد المملكة العربية السعودية ، وحضرة صاحب السمو الملكى الأمير سيف الإسلام عبد الله نجل جلالة الإمام يحيى ملك اليمن .

وبعد المداولة فى المسائل العامة والخاصة بالشئون العربية ، وجدوا أنفسهم متفقين تمام الاتفاق على أن البلاد العربية المشتركة فى جامعة دولهم ترغب رغبة أكيدة فى السلم الدائم بينها وبين جميع دول العالم ، وأن عليها بذل كل ما تستطيع فى سبيل تأييد السلم ، وأنهم يرون أن من أعظم الوسائل إلى ذلك ، التعاون الصادق مع هيئة الأمم المتحدة وتقويتها واحترامها وتنمية الثقة بها .

ثم تداولوا فى قضية فلسطين من شتى نواحيها فأروا أن قضيتها ليست قضية خاصة بعرب فلسطين وحدهم ، بل هى قضية العرب جميعا ، وأن فلسطين عربية يتحتم على دول العرب وشعوبها صيانة عروبتها ، وأنه ليس فى إمكان هذه الدول أن توافق بوجه من الوجوه على أية هجرة جديدة ، ويعتبرون ذلك نقضا

صرحاً للكتاب الأبيض الذى ارتبط به الشرف البريطانى . ولهم عظيم الأمل ألا يعكر صفو علائق المودة القائمة بين الدول والشعوب العربية من جهة والدولتين الديمقراطيتين الصديقتين من جهة أخرى أى تشبث من جانبها يرمى إلى إقرار تدابير ماسة بحقوق عرب فلسطين ، حرصاً منهم على دوام هذه الصداقة وتفادياً لرد فعل ينشأ بسبب ذلك ويفضى إلى اضطرابات قد يكون لها أسوأ الأثر فى السلم العام .

أما فيما رأوا زيادة على ذلك فقد كلفوا الأمين العام لجامعة الدول العربية أن يحمل إلى مجلس الجامعة نتائج أبحاثهم ومداولاتهم وتوجيهاتهم فى هذا الشأن ليتخذ أفعال الوسائل لصيانة مستقبل هذا الوطن العزيز على قلوب العرب أجمعين .

ثم تناولوا بالبحث مسألة طرابلس وبرقة ، ووجدوا أنفسهم متفقين تمام الاتفاق على أن استقلال هذه البلاد أمر طبيعى وعادل ، وأن حكوماتهم متفقة على ضرورته لأمن مصر والبلاد العربية ، وأن على جامعة الدول العربية التى قضى ميثاقها برعاية شئون العرب ومصالحهم أن تهىء الأسباب لهذا الاستقلال وأن تتعهد فى بادئ الأمر بالرعاية اللازمة لظهور حكومة عربية فى تلك البلاد ومعاونتها أدياً ومادياً حتى تستطيع النهوض بمسئوليتها داخلاً وخارجاً كعضو من أعضاء جامعة الدول العربية .

ثم اقترح بعض أعضاء المؤتمر التشاور فى المسألة المصرية ، فبعد المداولة وجدوا أنفسهم متفقين على أن تحقيق مطالب مصر القومية واستكمال سيادتها

وجلاء القوات البريطانية عنها أمر لا بد منه ، وأن قضية مصر قضية عامة لهم وهم يؤيدون مطالبها الحقة ويسندونها بكل ما في استطاعتهم . وقد سرهم ما سارعت إليه الحكومة البريطانية في تصريحها الذي ألقاه المستر إتلى رئيس وزارئها في مجلس العموم بتاريخ ٧ مايو الذي أعلن فيه عزم حكومته على سحب قواتها البرية والبحرية والجوية من الأراضي المصرية ، مما كان له أحسن الأثر في نفوسهم ونفوس حكوماتهم وشعوبهم ، والذي يأملون أن تستفتح به الحكومة البريطانية عهداً جديداً في علاقاتها مع مصر الشقيقة ، تلك العلاقات التي يرجون أن تقام على أمتن أسس الصداقة والثقة بين دولتين متساويتين . وهم يعلمون أن في هذه الصداقة والثقة أكبر أسباب الاستقرار والسلام في هذه الناحية من العالم .

ثم تناولوا شئون البلاد العربية الأخرى وقد عرض عليهم كثير من شكواها ، فوجدوا أنفسهم متفقين على وجوب السعي لحريتها ، وتركوا الجامعة الدول العربية أن تسعى لتحقيق رغبات أهلها ومشاركتهم في جامعة الدول العربية .

وأخيراً يغتنمون فرصة اجتماعهم هذه ليعثوا كإخوة متضامنين متحدين إلى شعوبهم بأطيب التمنيات لرفاهيتهم وسعادتهم ومجدهم ، ويعلنون ثقتهم التامة بمستقبل زاهر كريم لائق بماضى العرب المجيد .

ثم قرر أصحاب الجلالة والفخامة والسمو الملكي التوجه بوافر الشكر

إلى أخيهم حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق على أن هياً لهم هذا الاجتماع التاريخي الذي يرجون للعرب من ورائه خيراً لبلادهم وإعزازاً لجامعتهم .

زهراء أنشاص : ٢٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٥ / ٢٩ مايو سنة ١٩٤٦ . «

قوى هذا البيان من عزيمّة العرب في مختلف الأقطار ، وخاصة في فلسطين وأثار في نفوسهم الحمية ، وشجعهم على المضي في سبيل الجهاد والكفاح للحصول على حريتهم وحقوقهم بكل جرأة وحماس ؛ كما أحدث دويماً عظيماً في سائر الأندية والمجتمعات الدولية . فإننا نجد مثلاً دوائر لندن « تعتقد أن هذا البلاغ جاء بمثابة قبلة أقيمت في أنسب الأوقات ، فنسفت الإشاعات التي رددتها بعض الصحف الإنكليزية عن الشقاق الذي يسود العالم العربي ، كما قضت على الأنباء الخاصة بالمنافسات الداخلية القائمة بين زعماء عرب فلسطين ، إذ أكد البلاغ أن الدول العربية تقف صفاً واحداً في قضية فلسطين وغيرها من القضايا العربية » (١) .

### موقف ابن سعود من قضية فلسطين :

إن اهتمام صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود بقضية فلسطين العربية أمر واضح مقرر من وقت أن أصبحت المسألة الفلسطينية قضية مختلفاً عليها بين

(١) هذا ماأذاعته وكالة الأنباء العربية بتاريخ أول يونية سنة ١٩٤٦ م في التعليق على ماأحدثه البيان من أثر في دوائر لندن ، وما نشر في الصحف الصادرة يوم الأحد الموافق ٢ يونية سنة ١٩٤٦ .

طرفين متنازعين ، الطرف الأصيل من العرب أهل البلاد وأصحابها الشرعيين ، والطرف الدخيل من المهاجرين الصهيونيين ومن ظاهريهم من المستعمرين . ولقد شاركت حكومة جلالة من المبدأ سائر الحكومات العربية في الرأى ، والمباحثات ، والمؤتمرات العربية الإنكليزية ، والوسائل التي اتخذت من جانب حكومات العرب لحفظ حقوق عرب فلسطين ، والاحتفاظ بفلسطين موحدة عربية لأهلها العرب ما استطاعت تلك الحكومات إلى ذلك سبيلا .

ونحن لا نريد هنا أن نتحدث عن كل الأدوار التي مرت بها القضية الفلسطينية ، ولا عن مدى مساهمة جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود في كفاح العرب عن قضيتهم من المبدأ إلى الآن ؛ وإنما سيكون حديثنا عن نصيب جلالة من الكفاح في سبيل القضية الفلسطينية في دورها الأخير ، الذي ابتدئ من وقت أن أُلّف العرب جبهتهم الموحدة وكونوا جامعة الدول العربية . من الوقت الذي التقى فيه ملك مصر السابق بصاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود في اجتماع رضوى ، هذا الوقت الذي تعارف فيه الملكان وتفاهما واتفقا على الخطط المشتركة التي سيسلكها الجانب العربي لكسب قضية فلسطين وغيرها من قضايا الشعوب العربية . ففي هذا الدور الأخير الخطير كان لعاهل الجزيرة العربية نصيبه الهام من عمل الجبهة العربية المشترك في سبيل قضية فلسطين ، وذلك ما سنتحدث عنه في هذا الفصل .

في هذه المرحلة ابتداء جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود سعيه بحديثه مع الرئيس روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية عن قضية فلسطين في اجتماعه معه يوم الخميس

الموافق ٢ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ هـ / ١٥ فبراير سنة ١٩٤٥ م ، أى بعد اجتماع رضوى بأسابيع. (١) فأظهر الملك العربي للرئيس الأمريكي اهتمامه الكبير بفلسطين ، وشرح له وجهة نظره ، ودلل على عدالتها وصحتها بما جعل الرئيس روزفلت يصرح بعد سماعه باقتناعه بوجهة نظر الملك ، وبأن فلسطين لاتصلح حقاً لإيواء اليهود . وكان هذا الحديث الطويل عن فلسطين بحضرة وزير أمريكا المفوض في جدة ، وسجل في محضر خاص أصبح من الوثائق التاريخية لقضية فلسطين والعلاقات السياسية بين الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة العربية السعودية (٢) .

وإذا التفتنا إلى مركز الولايات المتحدة الأمريكية القوى المكين - وهو مركز الزعامة في السياسة الدولية ، خصوصاً في ذلك الوقت - وإلى ما كانت حكومة هذه الولايات قد ابتدأت تبديه من عطف ومساعدة لليهود في القضية الفلسطينية ، ثم إلى الصداقة التي تربط جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بحكومة الولايات المتحدة ، وأخيراً إلى أهمية ما بينهما من مصالح مشتركة تتعلق بترول الجزيرة العربية وغيره ، وإلى عطف جلالاته على قضية الحلفاء في الحرب الأخيرة ؛ إذا نظرنا إلى كل هذا استطعنا أن نقرر أهمية هذا الحديث ، وأهمية ما كان جلالة الملك وجميع العرب معه يعلقونه عليه .

---

(١) سنتحدث بشيء من التفصيل عن هذا الاجتماع التاريخي الذي تم بين ملك المملكة العربية السعودية وبين رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية في فصل مقبل .  
(٢) راجع مانشرته الفصلية العربية السعودية بالقاهرة في هذا الموضوع بجريدة الأهرام بتاريخ ٢ ابريل سنة ١٩٤٦ م .

ولكن بعد موت الرئيس روزفلت المفاجيء ، وبعد أن خلفه الرئيس ترومان  
تغيرت الأمور ، وأبعدت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية في عطفها على  
اليهود إلى درجة التحيز الواضح . ثم تألفت اللجنة الأمريكية الإنكليزية لتبحث  
القضية الفلسطينية من جديد ، حتى تخرج من بحثها بحل للقضية يرضى اليهود  
ويرضى عنه أصدقاؤهم من رجال الحكومة الأمريكية . وتشرفت هذه اللجنة  
المؤلفة برئاسة السيرجون سنجلتون وبعضوية الميجر ماننجهام بولر والمستر  
باكستون بالاجتماع بصاحب الجلالة الملك عبدالعزيز آل سعود بتاريخ ١٩ مارس  
سنة ١٩٤٦ م . فشرح جلالاته لرئيس اللجنة وأعضائها وجهة النظر العربية ،  
وذكرهم بصداقته للحلفاء وبموقفه منهم وخدماته لهم أثناء الحرب الأخيرة ، ثم  
أشار إلى اعتداءات اليهود وجرأتهم المتوالية قبل مقتل اللورد موين وبعده ، وعقب  
على هذا بتعجبه من موقف الإنكليز مع هذا من اليهود ، ثم من العرب . فهم  
يدلون اليهود المعتدين الباغين ، ويقفون من العرب أصدقاؤهم الذين خدموهم  
وأصحاب الحق المتسامحين موقفا غير كريم . كذلك أشار جلالاته في مناقشته  
مع اللجنة وفي المذكرة الإيضاحية التي سلمها لهم بعد المناقشة إلى حديثه مع  
الرئيس روزفلت ، وإلى أن الرئيس اقتنع بحق العرب ، وأن المستر تشرشل بعد  
اطلاعه على الحديث الذي جرى بين الملك والرئيس أظهر اقتناعه أيضاً بعدالة  
القضية العربية ووعده بأنه سيقوم هو أيضاً بالواجب في مساعدة العرب . وختم  
جلالاته مذكرته الإيضاحية التي سلمها لأعضاء اللجنة بالتنويه بصداقته لانبجلترا  
 وأمريكا ، وبأنه لا يريد أن يضطر إلى أن يعاديهما . ولكن إذا استمرت

الهجرة ، وبيع الأراضي ، وهضم حقوق العرب الطبيعية في فلسطين ، فان الحكومتين البريطانية والأمريكية لا تتعرضان حينئذ لنعمة العرب وخدمهم ، بل لنعمة جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، (١)

ومع هذه الجهود التي بذلها جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود في الدفاع عن حق العرب في فلسطين استمر أصدقاؤه الأمريكيان في طريقهم مندفعين في تأييد اليهود ، وكرر الرئيس ترومان تصريحاته مؤيداً لليهود ومناصراً لهم ، فبعث إليه جلالاته برسالة ينعي فيها عليه عدم مراعاته لواجبات الصداقة ، وخروجه على سياسة سلفه الرئيس روزفلت ، وتقضه لتعهدات وبيانات الحكومة الأمريكية السابقة . ولقد أذاعت مفوضية المملكة العربية السعودية هذه الرسالة الملكية في شهر أكتوبر سنة ١٩٤٦ م . (٢)

وهذا هو نص الرسالة :

« يا صاب الفخامة !

ان الصداقة التي تربط بلادى ببلاد الولايات المتحدة ، والصداقة التي تأسست بينى وبين الرئيس الراحل الرئيس روزفلت ، والصداقة التي تجددت بينى وبين فخامتكم تجعلنى شديد الحرص فى المحافظة على هذه الصداقة وتغذيتها والعمل على تقويتها بكل الوسائل الممكنة ؛ ولذلك تجددتى فخامتكم ألى وأكرر فى كل

---

(١) راجع ما نشرته القنصلية العربية السعودية بالقاهرة عن محضر اجتماع اللجنة مع جلالة الملك وعن المذكرة الإيضاحية فى العدد السابق ذكره من جريدة الأهرام .  
(٢) نشرت الرسالة بتاريخ ١٨ أكتوبر سنة ١٩٤٦ فى جريدة الأهرام .

مناسبة أشعر بها بما نخل بصداقة الولايات المتحدة مع بلادى ومع سائر البلاد العربية لكي أزيل ما يمكن أن يعرقل هذا الصفاء .

ولقد كتبت للراحل العظيم ولفخامتكم حقيقة الموقف في فلسطين، والحق الطبيعي للعرب فيها ، وأن ذلك يرجع إلى آلاف السنين ، وأن اليهود ليسوا إلا فرقة ظالمة باغية معتدية اعتدت في أول الأمر باسم الإنسانية ، ثم أخذت تظهر عدوانها الصريح بالقوة والجبروت والطغيان مما ليس يخاف على فخامتكم وعلى شعب الولايات المتحدة .

أضف إلى ذلك أطماعهم التي يتوهمها ليس لفلسطين وحدها بل لسائر البلاد العربية المجاورة ، ومنها أما كن في بلادنا المقدسة .

لقد دهشت للإذاعات الأخيرة التي نسبت تصريحاً لفخامتكم بدعوى تأييد اليهود في فلسطين وتأييد هجرتهم إليها بما يؤثر على الوضعية الحاضرة فيها خلافاً للتعهدات السابقة .

لقد زاد في دهشتي أن التصريح الذي نسب أخيراً لفخامتكم يتناقض مع البيان الذي طلبت مفوضية الولايات المتحدة الأمريكية في جدة من وزارة خارجيتنا أن ينشر في جريدة « أم القرى » باسم بيان أدلى به البيت الأبيض بتاريخ ١٦ أغسطس ١٩٤٦م وذلك البيان صريح في أن حكومة الولايات المتحدة لم تتقدم بأية فكرة من جانبها لحل مشكلة فلسطين ، وأظهرتم أملكم بحلها بواسطة المحادثات بين الحكومة البريطانية وبين وزراء خارجية الدول العربية ، وبين

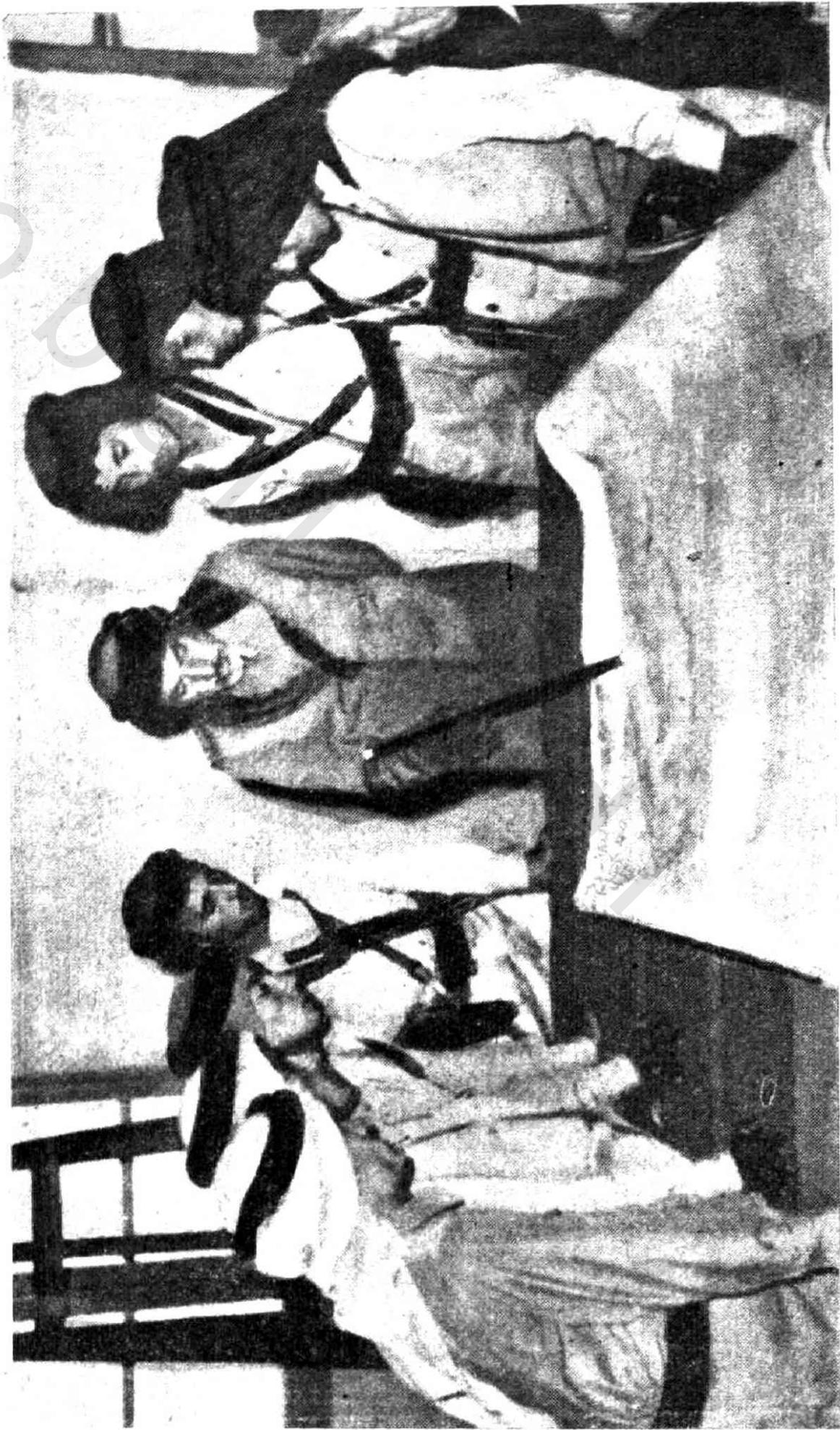
الحكومة البريطانية والفريق الثالث . وأظهرتم فخامتكم ورجبتكم في اتخاذ تسهيلات في الولايات المتحدة لإيواء المشردين وفي جملتهم اليهود ، ولذلك كانت دهشتي عظيمة حين اطلعت على البيان الأخير الذي نسب إلى فخامتكم ، مما جعلني أشك بصحة نسبه إليكم ، لأنه يتناقض مع وعود حكومة الولايات المتحدة والتصريح الذي صدر في ١٦ أغسطس ١٩٤٦ م من البيت الأبيض . واني لعلني يقين بأن شعب الولايات المتحدة الذي بذل دمه وماله في مقاومة العدوان الفاشم لا يمكن أن يسمح بهذا العدوان الصهيوني على بلد عربي صديق لم يقترف ذنبا غير إيمانه بمبادئ العدل والإنصاف التي قاتلت من أجلها الأمم المتحدة ، وكان من أركانها بلاد الولايات المتحدة ، وكان لفخامتكم بعد سلفكم العظيم المجهود العظيم في هذا السبيل .

ورغبة مني في المحافظة على صداقة العرب والشرق مع الولايات المتحدة أوضحت لفخامتكم بهذا البيان الظلم الذي يمكن أن يحيق بالعرب إذا بذلت أي مساعدات لهذا العدوان الصهيوني . واني على يقين بأن فخامتكم ومن ورائكم شعب الولايات المتحدة لا يمكن أن يقبل أن يدعو للحق والعدل والإنصاف ويحارب من أجله ليقره في سائر أنحاء العالم ، ويمنع هذا الحق والعدل عن العرب في بلادهم فلسطين التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم منذ العصور القديمة . واقبلوا تحياتنا . «

ولما نفذ الصبر ووجد جلاله الملك عبد العزيز آل سعود أن الاتصالات الودية وكتب الإقناع لا تجدي لدى الأمريكان ، شرع يسلك معهم طريقا آخر ، فأرسل للحكومة الأمريكية إنذارا خطيرا هدهدها فيه بأن خطتها في مسألة

فلسطين ستؤدي حتماً إلى إصابة مصالحها في الشرق العربي بالضرر الجسيم .  
وأذاعت وكالة الأنباء العربية من الرياض بتاريخ ٤ ديسمبر سنة ١٩٤٧ م أن  
جلالة الملك دعا المستر تشيلدرز وزير أمريكا المفوض في جدة إلى الرياض ، فحضر  
يوم ٣ ديسمبر سنة ١٩٤٧ م وقابل جلالة الملك مرتين . وذكرت الوكالة أن الحالة  
كانت توحى بأن الوزير الأمريكي تلقى كلاماً قاسياً من جلالة الملك بسبيل تأييد  
أمريكا لتقسيم فلسطين . كما ذكرت أن جلالة الملك أصدر تعليماته إلى سمو الأمير  
فيصل بمغادرة نيويورك والعودة إلى بلاده بعد أن كان مقرراً أن يزور واشنطن  
للبحث مع الحكومة الأمريكية في مسألة « تعلق عليها المملكة العربية السعودية  
أهمية كبيرة » .

وعندما جرت المشاورات العربية في أوائل مايو سنة ١٩٤٨ م لتقرير الخطة  
الحاسمة بعد إصرار أمريكا وروسيا على إقامة دولة صهيونية بفلسطين ، وبعد أن  
اعتزمت بريطانيا الجلاء عن هذه البلاد في منتصف الشهر المذكور ، وذهب  
«صاحب الدولة» جميل مردم «بك» رئيس وزراء سوريا ورياض الصلح «بك»  
رئيس وزراء لبنان إلى الرياض لمقابلة جلالة الملك عبد العزيز والاستماع إلى رأيه،  
وجداً جلالة الملك شديد التحمس ، بل شديد الاندفاع، كما عبر المغفور له رياض الصلح  
«بك» . وكان أن اقتضت الظروف وتطلب الدفاع عن الحقوق والكرامة دخول  
الجيش العربي فلسطين ، والاشتباك مع القوات اليهودية فيها في ١٥ مايو سنة  
١٩٤٨ م فاشترك جلالة الملك عبد العزيز آل سعود مع بقية الجيوش العربية



القائمقام سعيد « بك » الكردى قائد الفرقة السعودية التى اشتركت فى حرب فلسطين فى الجبهة المصرية ، وهو يبين لفريق من ضباطه  
خطة الجيش المصرى فى دك حصون المستعمرات الصهيونية

obeykandl.com

بفرقة من جيشه تحت قيادة العقيد سعيد الكردي بك ، وجعل سيرها في  
الجهة التي يسير فيها الجيش المصري ، كما جعلها تحت القيادة العامة للجيش  
المصري . (١) وأُبرق إلى ملك مصر السابق بهذه المناسبة وبعد أن بدأت  
الانتصارات المصرية البرقية الآتية :

حضرة صاحب الجلالة الأخ الملك فاروق حفظه الله - مصر

في الوقت الذي تتقدم فيه جيوش جلالكم وجيوش الدول العربية لإتقاد  
فلسطين أضرع إلى الله بأن يؤيد هذه الجيوش بنصر من عنده ، وأن يثبت  
أقدام المجاهدين في سبيله . وإني إذ أحمد الله الذي أَلَفَ بين قلوبنا للجهاد في سبيله  
أحمده تعالى على ما وفق إليه جيش مصر الظافر بإذن الله ، سائلين الله أن يتابع  
نصره الذي وعده به عباده المؤمنين .

وإنه يسرنى كما أعتقد أنه يسر جلالكم أن يكون سير الجيش السعودي  
في الجهة التي يسير فيها الجيش المصري . والله يعلم أننا جميعا لم نكن باغين ولا  
معتدين ، ولكننا نسير لدفع العدوان . « أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا  
وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ » حفظكم الله وأبقاكم (٢) .

وهكذا اشترك جلالة الملك عبد العزيز آل سعود من أجل فلسطين في  
الميدان الحربى بفرقة من جيشه ، كما اشترك في ميدان النضال السياسى فى هيئة الأمم  
المتحدة مع الوفود العربية بوفده .

(١) لم يشترك جلالة الملك عبد العزيز آل سعود فى حرب فلسطين الا بهذه الفرقة ،  
ولهذا فانا نعتبر اشراك جلالته فى هذه الحرب اشتراكا رمزيا .

(٢) نشرت هذه البرقية فى الصحف المصرية الصادرة بتاريخ ١٨ مايو سنة ١٩٤٨ م .

## محنة!

هي محنة الجامعة العربية ! فالجامعة العربية الآن في محنة بسبب قضية فلسطين ؛ ولكن هذه المحنة لم تكن بسبب تألب الدول الاستعمارية على العرب وممالأهم لليهود ، ولا بسبب إمداد أمريكا وروسيا لليهود بالذخيرة والسلاح والعتاد والرجال الفنيين والمحاربين مع التضييق على العرب والامتناع عن إمدادهم بشيء من معدات الحرب ولوازمها ، ولا بسبب إرغام الدول الكبرى عن طريق « مجلس الأمن » للعرب على قبول الهدنة مرارا إنتقازا لليهود وإضعافا للعرب ، لا ! لم تكن كل هذه الأمور الموجبة للخرج والشدة سببا في محنة الجامعة العربية ، فكل هذه أمور تهون ومشاكل تحمل إذا كان التضامن بين دول الجامعة العربية قويا عمليا . إنما هذه المحنة حلت بالجامعة العربية بسبب التخاذل الذي بدأ في ميدان الحرب بفلسطين . فالجيوش العربية الموجودة بالميدان لا تحرك الآن ساكنا ، والجيش المصري وحده هو الذي يتحمل العبء في الميدان ، وهو وحده الذي يقاتل اليهود الآن ويرد هجماتهم الغادرة بشجاعة وبسالة منقطعة النظير .

نحن الآن في اليوم الثاني من شهر يناير ١٩٤٩ ، ومنذ اليوم الثاني والعشرين من شهر ديسمبر الماضي والجيش المصري يقاتل اليهود في فلسطين وحده بعد أن خرقوا الهدنة وهاجموه في المرة الأخيرة . (١) « وإن مصر التي يرفرف عليها

---

(١) هذه هي المرة الثالثة التي خرق اليهود فيها الهدنة في صورة هجوم منظم بالجبهة المصرية ، والتي تركت فيها الجيوش العربية الجيش المصري يرد الاعتداء وحده .

منفرداً في الميدان بينما اختفت أعلام الدول العربية الأخرى قد بهرت العروبة بثباتها على المبدأ ، وأدهشت الأمم الأخرى بعدم مبالاتها باليهود وأنصارهم مهما يكونوا ومهما تكن قوتهم وأسلحتهم . إن مصر التي دخلت هذه الحرب متضامنة مع الدول العربية الأخرى بقيت بمفردها في الميدان ، وما زالت تنزل وحدها بالعدو الحسائر الفادحة في طائراته وقواته الأرضية ومصفحاته ودباباته وسفنه البحرية ، وتطارد فلوله المنحجرة في السهول والوديان بينما الدول العربية نظارة تتفرج » . (١)

« وسمو الأمير فيصل آل سعود يزور مصر في هذا الوقت الذي تجرى فيه تلك الأحداث الهامة التي تتصل بفلسطين . ولا شك في أن سموه خير من يعرف حقيقة هذه الأحداث ، وموقف مصر منها ، وانفراد الجيش المصري بمناضلة اليهود . ونحن لا نشك في عواطف المملكة العربية السعودية نحو مصر والمصريين ، ونعتقد أن العواطف يمكن أن تكيف في هذه الآونة الحاسمة بشكل عملي ليس من الضروري أن يكون في الميدان العسكري ، وأن في يد المملكة السعودية وسائل عملية تستطيع أن تكون بها أشد تأثيراً في مستقبل قضية فلسطين مما بدا حتى الآن . ولقد أصبحت هذه القضية تتطلب من جلالة الملك ابن السعود مزيداً من المعاونة وشهد الأزر والتضحية . ولا شك

---

(١) من مقال « عاش الجيش المصري » لجريدة الأهرام في العدد الصادر في يوم

في أن سمو الأمير العربي قد فهم الموقف أثناء إقامته القصيرة هنا ، ولا شك كذلك في أنه سينقله إلى جلالة والده . وسيكون من بين ما ينقله أن مصر تتوقع من المملكة السعودية أن يكون موقفها غير موقف غيرها من دول الجامعة العربية » (١) .

### عبد العزيز ابن سعود وعبد الله بن الحسين :

بدأت العلاقات بين عبد العزيز ابن سعود وبين البيت الهاشمي الحجازي على غير ما يرام ، ففي سنة ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م حصل التصادم لأول مرة بين ابن سعود وبين الشريف حسين على الحدود النجدية الحجازية ، وأسر شقيق ابن سعود سعد بن عبد الرحمن ولم يطلق سراحه إلا بعد أن اقتداه أخوه عبد العزيز بمبلغ من المال وبعد أن تم الصلح بين نجد والحجاز (٢) . ثم تطورت الأحداث بين البيتين السعودي والهاشمي حتى انتهت بالحرب بينهما وباستيلاء عبد العزيز ابن سعود على الحجاز وخروج الأشراف من الأرض الحجازية نهائياً بعد أن خسروا المعركة ، ونودي بعبد العزيز ملكاً للحجاز في ٨ يناير سنة ١٩٢٦ (٣) .

(١) هذه هي « كلمة المصري » التي كتبتها جريدة المصري في عدد يوم السبت أول يناير سنة ١٩٤٩ م ، اقتبسناها ليطلع القارئ على صدى الرأي العام في مصر ، وليعرف ما يعلقه الشعب المصري من آمال على عاهل الجزيرة العظيم .

(٢) راجع ص ١١٧ - ١١٨ من الكتاب .

(٣) راجع تطور العلاقات بين البيتين في ص ١٤١ - ١٦٤ من الكتاب .

ولقد اقتضت الأحوال أن يساهم عبدالله بن الحسين فيما كان بين البيتين من نزاع بنصيب كبير ، فكان قائد الجيش الهاشمي في موقعة تربة سنة ١٣٣٧ هـ / ١٩١٩ م حينما أراد الشريف حسين الاستيلاء على هذه المنطقة على الحدود النجدية الحجازية واكتساح نجد إلى الخليج الفارسي (١) .

وبعد هزيمة الجيش الهاشمي في تربة وعودة عبدالله بن الحسين إلى الحجاز اختلف الأمير مع والده الملك الحسين بن علي في السياسة التي ينبغي أن تتبع في إدارة شؤون الدولة الهاشمية؛ ثم غادر الحجاز إلى شرق الأردن في سنة ١٩٢١ م حيث أصبح أميراً لإمارة شرق الأردن بعد اجتماعه مع المستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية في ذلك الوقت بمدينة القدس واتفاقه معه على إنشاء هذه الإمارة وأن يسند الحكم فيها إليه .

وقد أخذت العلاقات تزداد توتراً بين عبدالعزيز ابن سعود وبين أمير شرق الأردن منذ تأسيس الإمارة ، حتى أن النجديين هاجموا بلاده في سنة ١٩٢٢ و ١٩٢٣ م فزاد ذلك في اشتعال نار الخصومة ، وخصوصاً بعد امتلاك ابن سعود للحجاز . وأخيراً رأى المغفور له الملك فيصل الأول ملك العراق أن يتدخل للإصلاح والتوفيق بين أخيه الأمير عبدالله وبين الملك عبدالعزيز آل سعود ، فتم ذلك بمساعدة الساسة الإنجليز ، ووقعت معاهدة الصداقة وحسن الجوار بينهما كما وقع بروتوكول التحكيم في قصر المندوب البريطاني بالقدس بتاريخ ٢٧ يولييه سنة ١٩٣٣ م .

(١) راجع ص ١٤٧ — ١٤٩ من الكتاب .

ومن وقت توقيع معاهدة الصداقة هذه بدأت صحيفة جديدة في تاريخ العلاقات بين حكومة شرق الأردن وحكومة المملكة العربية السعودية ، وأخذ الماضي يزول بما له وما عليه ، وحلت محله صداقة تمت بمضى الأيام والأعوام حتى حل عصر الجامعة العربية ، وتخرج موقف العرب بسبب القضية الفلسطينية ؛ فاقتضت الأحوال أن تزداد الصلات توثقاً وأن يتم التفاهم بين الملكين العربيين عن طريق التعارف الشخصي والزيارة ، الأمر الذي قابله العرب بمظاهر الغبطة والاستبشار وعدوه مطلعاً لفجر عهد جديد زاهر في تاريخ البيتين العربيين الكريمين وتاريخ الأمة العربية .

### زيارة الملك عبد الله للملك عبد العزيز :

إن هذه الزيارة التاريخية التي سنتحدث عنها حدثت بعد تمهيدات سبقتها ، وكان لحكومة مصر الفضل الأول في تلك التمهيدات ، ولقد ساعد على تحقيقها ضغط الحوادث وحروجة مركز الدول العربية بسبب التطورات التي طرأت على قضية فلسطين .

فحكومة مصر قد عملت على تنقية الجو من آثار الغبار الذي قد أثارته الحوادث الماضية ومهدت للتعارف الشخصي وعقد أواصر المودة بين ملوك العرب ورسائلهم بعضهم وبعض ، إذ سبق ملك مصر السابق بزيارة أهل الجزيرة والتقى به لأول مرة في اجتماع رضوى ، ثم استتبع هذارد جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود الزيارة لشعب مصر وملوكها ، وتلا ذلك اجتماع أنشاص الذي جمع بين ملوك

العرب ورؤسائهم وأمرائهم بدعوة من ملك وادى النيل . وفي هذا الاجتماع التاريخي ابتدأت أسس التفاهم والتقارب تقوم وتقوى بين الرؤساء العرب والبيوت العربية المالكة ، التي لم يكن بين بعضها وبعض من قبل سوى الشقاق والعداء الظاهر أو المستتر ، الأمر الذي كان يؤدي دائماً إلى اضعاف العرب وتفريق كلمتهم .

أما ضغط الحوادث وحروجه موقف الدول العربية فقد كان له أثره أيضاً في التمهيد لهذه الزيارة ، خصوصاً بعد أن خاب أمل الأمة العربية في هيئة الأمم المتحدة وأصبح تحيزها لليهود واضحاً من وقت أن أوصت بتقسيم فلسطين وإقامة دولة يهودية فيها بتاريخ ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ م . وبعد هذا القرار الجائر حددت إنجلترا موعداً للجلاء عن فلسطين في شهر اغسطس سنة ١٩٤٨ م ثم فاجأت العالم والعرب على الخصوص بتقديم موعد الجلاء وجعله في منتصف مايو سنة ١٩٤٨ م ، وأعلنت الاحتفاظ بحيفا حتى يرحل عن فلسطين آخر جندي بريطاني . وأعقبت هذه المفاجأة بمفاجأة أخرى أدهى وأمر ، فسلبت حيفا بما كان لها فيها من سلاح وعتاد حربي إلى اليهود ، فتقوى بذلك مركزهم وازداد الخطر على عرب فلسطين وعلى سائر الدول العربية .

ولما اجتمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية بالقاهرة في أوائل مايو للتشاور والاتفاق على الخطه العملية التي ينبغي على العرب اتباعها ، وقد قرب موعد الجلاء البريطاني عن فلسطين ، بدا الاختلاف في وجهات النظر بين حكومات الدول

العربية ، وكاد الأمر يتخرج أكثر مما كان ، وكادت الفرصة تفلت من يد العرب . ولكن الرؤساء العرب تداركوا الموقف في اللحظة الأخيرة ، وتشاور أعضاء اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية وقر رأيتهم على أن تبذل مساع جديدة ، يضطلع بأعبائها رسول من لندن الجامعة العربية ، وعلى أن يبذل أول مسعى منها لدى الملك عبد الله بن الحسين . فطار المغفور له « دولة » رياض الصلح « بك » رئيس الوزارة اللبنانية وعضو اللجنة السياسية في ذلك الوقت من القاهرة إلى عمان ، واستطاع أن يتفاهم مع الملك الهاشمي وأن يقنعه ، ثم عاد إلى مصر وطار منها مرة أخرى إلى الرياض فتفاهم مع الملك السعودي واتفق معه وعاد مظفراً إلى مصر واتخذت الجامعة العربية بعد هذه المساعي الموقفة قرارها بالتدخل عسكرياً لإنقاذ فلسطين وتأييد الصهيونيين العصاة ، وعقد لواء القيادة العامة للجيش العربية كلها للملك عبد الله بن الحسين .

وبعد أن اجتازت الجيوش العربية حدود فلسطين في ١٥ مايو فتوغلت وانتصرت وكادت تقضى على الدولة اليهودية بادر مجلس الأمن بإنقاذ اليهود ، فطلب وقف القتال وعقد الهدنة ، واضطر العرب لقبول الهدنة حتى لايزداد تعرضهم للضغط الدولي ، وحتى يحافظوا على وحدة العرب وعلى كيان الجامعة العربية ، وقد بدا من بعض دول الجامعة التصميم على قبول الهدنة .

ولقد كان للدور الذي لعبه الجنرال كلايتون مدير أقلام المخابرات البريطانية في الشرق الاوسط أكبر الأثر في قبول العرب للهدنة التي كانت فتحة لباب الشر

عليهم وبدءاً لهزيمتهم ، نخدع الجنرال الإنكليزي ساسة وزعماء العرب وحملهم على قبول الهدنة في الوقت الذي كانت الجيوش العربية فيه تطوق تل أبيب ؛ وكان ذلك مع الأسف الشديد نقطة التحول في معركة فلسطين لمصلحة اسرائيل .

وقعت كل هذه الأحداث وتتابعت ، فزادت ملوك العرب ورؤساءهم اقتناعاً بوجود التضامن والتآزر حتى تنجو الأمة العربية من الخطر المحدق بها وكان ذلك مع ما سبق أن قامت به حكومة مصر ممهداً لزيارة عاهل البيت الهاشمي لعاهل البيت السعودي .

وفي يوم الاثنين الموافق ٦ شعبان سنة ١٣٦٧ هـ / ١٤ يونية سنة ١٩٤٨ م تشرف المغفور له الأستاذ فؤاد حمزة ، مندوب المملكة العربية السعودية في اللجنة السياسية ، بمقابلة جلالة الملك عبد الله في قصر رغدان ، ورفع إليه بريقة وصلته من جلالة الملك عبد العزيز متضمنة دعوة ملك شرق الأردن إلى زيارة المملكة العربية السعودية لزيارة رسمية ، فتقبل جلالته هذه الدعوة مرحباً مسروراً . وبعد أن زار جلالة الملك عبد الله ملك مصر السابق وتفاهم معه على المسائل التي تهم العالم العربي ، وربما استعرض معه أيضاً المسائل التي ستعرض على بساط البحث أثناء زيارته للعاهل السعودي ، عاد جلالته إلى عمان ؛ ثم استأنف السفر إلى المملكة العربية السعودية هو ورجال الحاشية الذين رافقوه وأعضاء بعثة الشرف السعودية التي كان يرأسها المغفور له الأستاذ فؤاد حمزة . واستقل

الجميع الطائرتين السعوديتين ، وكاتنا قد وصلنا إلى عمان قبل ذلك لتكونا تحت تصرف الملك عبد الله في رحلته هذه ، فاستوت الطائرتان في الفضاء في فجر يوم السبت الموافق ١٨ شعبان سنة ١٣٦٧هـ / ٢٦ يونيو سنة ١٩٤٨م في اتجاه الرياض عن طريق الظهران ، فوصل الركب الملكي إلى مطار الظهران بمنطقة الأحساء في منتصف الساعة العاشرة من صباح اليوم نفسه ، وكان في استقبال جلالة الضيف الكريم صاحب السمو الأمير سعود ولي العهد نائباً عن جلالة والده ، فتعانقا عناقاً حاراً وقال سمو الأمير لجلالته : « لقد أمرني والدي جلالة الملك أن أبلغ جلالته بأنه عربي مسلم ، وجلالته عربي مسلم ، وكلاكما اخوان . وجلالته في بلادكم ، ولذلك لم أضع ، ولئن أضع أي برنامج لزيارتكم . فاتم صاحب البيت » وقابل الملك الهاشمي هذه العاطفة الأخوية من الملك السعودي بالشكر والارتياح . وقد أمر جلالة الملك عبد العزيز أن يكون سعادة الشيخ يوسف ياسين في خدمة الملك الهاشمي طول مدة إقامته في الرياض . وبعد أن مكث جلالة الضيف ليلة في الظهران واصل السفر بالطيارة إلى الرياض فوصل إلى مطارها عصر يوم الأحد ، وكان في استقبال جلالته جلالة الملك عبد العزيز يحف به الأمراء ورجال الحكومة والحاشية . فلما وصلت الطائرة تقدم إليها أهل الجزيرة واستقبل أخاه وضيفه وعانقه مرحباً به ومهنئاً بسلامة الوصول ، وقال له : « تلك هي اللحظة الخالدة من تاريخ حياتي ، إذ تم لي لقاء أخ كريم عزيز » . ولقد مكث جلالة الملك عبد الله في هذه الزيارة إلى صبيحة يوم الأربعاء الموافق ٢٢ شعبان سنة ١٣٦٨هـ / ٣٠ يونيو سنة ١٩٤٨م ، حيث

سافر بالطائرة إلى بغداد مودعاً من جلالة الملك عبد العزيز بكل مظاهر الحفاوة والتكريم .

كانت هذه الزيارة محوطة بمظاهر المودة والتآخي بين الملكين العربيين ، وكانت « فاتحة عهد مبارك من تاريخ العرب » كما وصفها جلالة الملك عبد العزيز ، إذ تم فيها التلاقي والتصافي لأول مرة بين الملكين بعد أن قضت ظروفهما السابقة أن يكونا خصمين متنافرين . فهذه الزيارة طويت صحيفة في تاريخ العلاقات بينهما ، وفتحت صحيفة أخرى في تاريخهما وتاريخ الأمة العربية لتسطر فيها آيات التآخي والتآزر في سبيل خير العرب واستقلالهم . وقد بدأت المحادثات الرسمية بين الملكين يوم الاثنين ، فاجتمعا بقصر الضيافة الذي ينزل فيه الملك عبد الله اجتماعاً طويلاً ، بحثا خلاله في مختلف المشكلات العربية . وقد قال جلالة الملك عبد الله لمدوب الأهرام قبيل الاجتماع : إننا سنبحث معاً جميع ما يهم العالم العربي من أمور ، وسيكون لقضية فلسطين التي هي الشغل الشاغل لجلالة أخي عبد العزيز المكان الأول من هذه المباحثات . وفي يوم الثلاثاء عقدا اجتماعاً آخر ، وعلى إثره قال الملك عبد الله : يسرني أن أنوه بحماس أخي عبد العزيز في تناول مشكلات العرب ، وأن أؤكد أن هذه الجامعة العربية قد استطاعت أن تخرج مرفوعة الرأس في جميع ما مر بها من ظروف . وقد أثلج صدر أخي ابن السعود هذا الاتحاد الرائع بين ملوك العرب ورؤسائهم . ولقد انطوت الأحاديث التي دارت بين الملكين على تفاهم تام بينهما وُسمع عاهل الجزيرة يقول لأخيه الملك الهاشمي : « لم يعد ثمة الآن عبد العزيز

ولا عبد الله . بل نحن شخص واحد نعمل معاً لما فيه مصلحة الأمة العربية كلها ، أنت هناك وأنا هناك ، وأنت تحل عني وأنا أحل عنك ؛ ونسأل الله التوفيق .

وكان من أهم الأحداث التي وقعت أثناء الزيارة اجتماع المنكبين بدار الحكومة في الرياض يوم الثلاثاء آخر أيام الزيارة ، وإصدارها بعد الاجتماع للبيان التاريخي الذي وقعه الملكان أمام الأمراء وكبار المدعوين . وبعد توقيع البيان الملكي طلب الملك عبدالعزيز إلى « سعادة » الأستاذ فؤاد حمزة تلاوته ، فتلاه على أسمع الحاضرين ، وكان ذلك سبباً لإشاعة جو من الغبطة والسرور بهذه الخاتمة الحسنة . ولقد صرح صاحبها الجلالة في البيان بأن الباعث الأول على الاجتماع إنما هو الرغبة الصادقة في توثيق عرى المودة والصداقة بين شخصيهما وشعبيهما ، وملاحظتهما للظروف الحاضرة وما تقتضيه من اتحاد واتفاق . كذلك سجلاً لتحقيقهما من وجود الاتفاق بينهما في الأفكار والآراء والأهداف كما أعلننا ثقهما بالجامعة العربية وباللجنة السياسية ، وأنهما يؤيدان الجامعة في تصرفاتها التي هي داخلة في حدود مسؤوليتها ، خصوصاً فيما يتعلق بفلسطين . وهذا هو نص البيان :



جلافة الملك عبد الله وهو يوقع بأعضائه البيان الملكي الذي أذيع بمناسبة اجتماعه بجلافة الملك عبد العزيز آل سعود  
وزبارته له في الرياض، وجلافة يظهر في الصورة بجانب الملك عبد الله

obeykandl.com

« الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، لقد كان الباعث الأول على اجتماعنا رغبتنا الصادقة في توثيق عرى الأخوة ، وتشيد بناء الصداقة والوداد بين شخصينا وشعبينا ، مادام الشعب وما دام البيت إن شاء الله تعالى ؛ وملاحظتنا الظروف الحاضرة ، وما تقتضيه من اتحاد واتفاق واضعين نصب أعيننا مبدئين أساسيين : أولهما تقوى الله ، وثانيهما التفانى في حفظ البيعة والذود عن الكيان .

وقد وجدنا أن في اجتماعنا هذا كل الخير والبركة ، وقد تحققنا من وجود اتفاق تام في وجهات نظرنا إلى الشؤون الخاصة والعامة ، واتحاد تام للأهداف والغايات الوطنية والقومية . ولذلك فإننا نعلن ، نحن عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ، وعبد الله بن الحسين بن علي ، بأننا متفقون في أفكارنا وآرائنا وأهدافنا في هذا الباب ، وبأننا متفقون بصورة خاصة في تأييد الجامعة العربية فيما تقره أو تنهيه ، مما هو داخل في ميثاق جامعة الدول العربية وفي حدود مسؤوليتها ، وبالأخص فيما يتعلق بفلسطين التي نحن باذلون كل مافي وسعنا من جهد للوصول إلى ما يضمن للعرب استقلالهم التام ، وسلطانهم المطلق ، ونجاة فلسطين وإتقاذها . ونعلن ثقتنا التامة بالجامعة العربية ولجنتها السيامية ، واعتقادنا بأنها ستقوم بتمحيص المواقف الحاضرة حق التمحيص ، وتنصح بما تراه موافقاً لمصلحة العرب وضامناً لها . وإن ثقتنا بالله العظيم كبيرة في أن النتائج ستكون موافقة إن شاء الله ، لاسباب أننا واثقون من أن الجامعة العربية لا تستهدف إلا إقرار السلام في الشرق الأوسط ، ذلك ( ٢٥ - النهضة الحديثة )

السلام الذي لا يمكن أن يتم إلا بحفظ حقوق العرب وصيانة استقلال بلادهم ،  
وإنها إذا اضطرت للدفاع فإنما تدافع عن مصلحة العرب الأساسية وعن الشرف  
والحرية والسلام . »

وإن أهمية هذه الزيارة وذلك الاجتماع الذي تم بين الملك عبد الله والملك  
عبد العزيز بالنسبة للعالم العربي لتفوق أهمية الاجتماع التاريخي الذي تم في عام  
١٩٣٠ م بين الملك فيصل والملك ابن سعود لفض النزاع على الحدود الفاصلة  
بين العراق وسنجد ؛ ولهذا فإن الأمة العربية بأجمعها استبشرت بهذه الزيارة خيراً  
وعدها مطلقاً لفجر عهد جديد مبارك كما سبق أن ذكرنا . وبدأت دلائل  
الوحدة العربية بعد الزيارة قوية جلية ، فرأينا جلالة الملك عبد الله يتكلم باسم  
جميع الملوك والرؤساء العرب ، وفي مقدمتهم أخوه جلالة الملك عبدالعزيز بعد  
أن تفاهم معه وأنابه عنه ؛ رأينا مخاطب السفير الأمريكي بالنيابة في بغداد ،  
ويقول له : إنني أحدثك باسم الملك عبدالعزيز والملك فاروق والامام أحمد  
والأمير عبد الإله ، وباسم رئيس جمهورية سوريا ورئيس الجمهورية اللبنانية .  
وأرجو أن تبلغ حكومتك أن تقف موقف الحياد الشريف في هذا النضال  
الذي نخوضه في هذه الظروف (١) .

وكان من نتائج الزيارة أيضاً غير ما جد بسببها من التقارب والوثام بين البيتين  
السعودي والهاشمي اللذين ظلا في عداة وشقاق أمداً طويلاً قبل هذا ، كان من  
نتائجها أن بدا للناس انه قد ترك للشعوب العربيه أن تقول كلمتها في مصيرها ؛  
وان مشروع « سوريا الكبرى » قد

(١) نشر هذا الحديث للملك عبد الله في صحف مصر الصادرة في يوم الجمعة الموافق

طوى ، ذلك المشروع الذى كان خصوم العرب كثيراً ما يتخذونه وسيلة لبذر بذور الشقاق بين الشعوب العربية . وظل الناس على هذا الاعتقاد إلى أن فاجأتنا الأيام بحوادث أريحا المزعجة ، فعادت مشكلة « سوريا الكبرى » إلى الظهور فى ميدان السياسة العربية ، وفتحت أبواب الشقاق والنزاع فى صفوف العرب من جديد . وقبل حديثنا عن مؤتمر أريحا وأثره فى العلاقات بين المملكة العربية السعودية والمملكة الهاشمية الأردنية نحب أن نقدم لذلك بالحديث عن مشروع « سوريا الكبرى » نشأته وتطوراته وما يترتب عليه من نتائج ، حتى تتضح الأمور وتبين الأغراض والدوافع .

### مشروع « سوريا الكبرى »

إن مشروع « سوريا الكبرى » يرمى إلى تكوين كتلة عربية من بلاد شرق الأردن وفلسطين وسوريا ولبنان والعراق تحت حكم أحد أفراد البيت الهاشمي من أبناء المغفور له الشريف حسين شريف مكة وملك الحجاز السابق ، وقد كان المغفور له الملك عبد الله ملك شرق الأردن يعتقد أنه صاحب هذا الحق ويعمل لتحقيق المشروع .

فهذا المشروع يرمى فى الأصل إلى تكوين دولة سورية مستقلة موحدة بوحدتها القومية وحدودها الطبيعية ، « فتمتد من جبال طوروس شمالاً ومن الحابور فالفرات شرقاً ومن الصحراء العربية فمداين صالح جنوباً ومن البحر الأحمر نخط العقبة ورفح فالبحر الأبيض المتوسط غرباً » . والسوريون حينما نادوا بإنشاء هذه الدولة كانوا يريدون أن تنشأ دولة عربية موحدة مستقلة من وقت تكوينها .

والشروع على هذا الوضع مشروع صالح ولاشك يسر العرب جميعاً أن يتحقق؛ ولكن فكرة المشروع تطورت من وقت نشأتها إلى الآن تطورات كثيرة بسبب الأحداث التي جرت في هذه الحقبة الطويلة من الزمن وبسبب الأعباء السياسية الاستعمارية التي مسخت المشروع فجعلته وسيلة من وسائل تمكين النفوذ الأجنبي الاستعماري ومدته في البلاد العربية بدل أن يكون من وسائل التوحيد والاستقلال والقوة لأهل هذه البلاد العرب كما كان يقصد به في الأصل ، وسنبين في حديثنا الآتي كيف نشأ هذا المشروع وكيف تطور .

### أصل الفكرة في المشروع :

عندما أعلنت الحرب الكبرى الأولى كانت الأمة العربية تفكر في العمل للاستقلال وكانت رغبة العرب في التحرر من الحكم العثماني قوية ، خصوصاً بعد الذي شاهده زعماء العرب من اتجاه رجال حكومة الاتحاد والترقي التركية إلى تغليب الطابع التركي في دولة الخلافة وإلى كبت الشعور القومي العربي والعمل لسيادة العنصر التركي وإذلال العرب وإخضاعهم بمختلف الوسائل . فلما قامت الحرب رأى العرب أنها قد تكون فرصة سانحة لتحقيق ما اتجهت أفكارهم إليه من الاستقلال والتحرر ، وأدرك الحلفاء وخاصة الإنكليز ما يجيش بنفوس العرب فعملوا على استقلاله لصالحهم بطريقة تكفل لهم النصر في ميدان الشرق الأدنى حتى يتقوا الخطر الألماني التركي في هذا الميدان الحيوي بالنسبة إليهم ؛ وبما ساعد الحلفاء والإنكليز على النجاح في خطتهم التي وضعوها لإثارة العرب

ضد الأتراك تلك المظالم الفاحشة التي ارتكبها جمال باشا الحاكم التركي في بلاد سوريا ضد السكان العرب الأبرياء ، فاغتصب أموالهم وملاً السجون منهم وقتل الكثيرين من زعمائهم بلا ذنب ارتكبه ودون اكتراث من جانبه .

فعمل الإنكليز على الاتصال بالشريف حسين حتى ينضم إليهم في حربهم ضد الأتراك ويثور على دولة الخلافة في مقابل مساعدتهم له على تحقيق أغراضه في إنشاء دولة عربية مستقلة تحت حكمه ، وقد كان الإنكليز يعرفون الكثير عن هذه الأغراض خصوصاً بعد أن بدأ الشريف حسين بالاتصال بهم حيث إنه أرسل ابنه الأمير عبد الله (ملك شرق الأردن أخيراً) قبيل قيام الحرب في فبراير سنة ١٩١٤ م إلى القاهرة فزار سموه اللورد كتشنر المعتمد البريطاني في مصر في ذلك الوقت ، وعلم اللورد في هذه الزيارة الكثير عن أغراض الشريف حسين وعن أماله في مساعدة الإنكليز له لتحقيق تلك الأغراض (١) . وبناء على مشورة اللورد كتشنر الذي أصبح وزيراً للحرية البريطانية جدد خلفه في القاهرة السير هنري مكماهون الاتصال بالشريف حسين ودارت بين الجانبين مباحثات وتبودلت بينهما مكاتبات سرية للاتفاق ولتحديد مطالب الشريف في إنشاء الدولة العربية المرجوة .

وفي الكتاب الذي أرسله الشريف حسين إلى السير هنري مكماهون في ٢٨ رمضان سنة ١٣٣٣ هـ / ١٤ يولييه سنة ١٩١٥ م بين الشريف حدود الدولة

(١) راجع ص ١٤١ - ١٤٢ من الكتاب .

العربية التي يطلب من الإنكليز أن يتعهدوا بمساعدته في إنشائها ، وطلب « أن تعترف انكلترا باستقلال البلاد العربية من مرسين - اطنه حتى الخليج الفارسي شمالا ، ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقا ، ومن المحيط الهندي للجزيرة جنوبا - يستثنى من ذلك عدن التي تبقى كما هي - ومن البحر الأحمر والبحر المتوسط حتى سينا غربا » (١) . وبعد أن حاول السير هنري مكماهون في رده على هذا الكتاب التهرب من الارتباط بشيء في مسألة الحدود اضطر في رده على كتاب الشريف الثاني إلى أن يتعرض لهذه المسألة ولكن بطريقة معماة ملتوية تتيح للإنكليز التحلل فيما بعد . فقال في هذا الرد المؤرخ في ١٥ ذى الحجة سنة ١٣٣٣ هـ / ٢٤ أكتوبر سنة ١٩١٥ م : « . . . إن مرسين واسكندرونه وبعض الأقسام السورية الواقعة في غربي دمشق وحمص وحماء وحلب لا يمكن أن يقال عنها إنها عربية محضة ، فيجب أن تستثنى من الحدود التي ذكرتموها ، ونحن على استعداد للمواقفة على تلك الحدود على أساس هذه التعديلات على ألا تنقض شيئا من اتفاقنا مع الزعماء العرب . أما الأراضي التي تستطيع انكلترا العمل فيها بلاء الحرية ودون أن توقع ضرارا بحليفها فرنسا فإن لي السلطة التامة باسم حكومة صاحب الجلالة أن أعطيكم التأمينات التالية جواباً على كتابكم .

(١) راجع ص ١٣٠ - ١٣١ من المجلد الأول من كتاب « الثورة العربية الكبرى »

١ — إن انكلترا مستعدة — على أساس تلك التعديلات — أن تعترف

باستقلال العرب وتقديم المساعدة لهم في الحدود التي اقترحها شريف مكة .

٢ — تحمي بريطانيا الأراضي المقدسة من كل اعتداء خارجي وتعترف

بوحدها .

٣ — تقدم بريطانيا للعرب — عند الحاجة — كل مساعدة أو نصيحة تلزم

وتعاونهم في تشكيل أفضل شكل من أشكال الحكومات في مختلف البلاد

العربية .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن العرب يوافقون على الاقتصار على

استشارة ومعونة وإدارة بريطانيا العظمى وحدها ، ويرضون بأن يكون جميع

الموظفين الذين يحتاجون إليهم لتنظيم دوائر مملكتهم من التبعة الإنكليزية .

أما ما يتعلق بولايتي البصرة وبغداد فإن العرب يعرفون أن مركز انكلترا

ومصالحها فيها تتطلب شكلا إداريا خاصا ، ومراقبة خاصة للمحافظة على تلك

الأجزاء من الاعتداءات الخارجية وتأمين راحة واطمئنان السكان ، وتوطيد

مصالحنا المشتركة فيها . . . » (١) .

ثم اعترض الشريف على كثير من المسائل التي تتعلق بالحدود والعراق ،

وحصلت بينه وبين السير هنري مكماهون عدة مكاتبات ، وأخيراً تفاهم مع الإنكليز

(١) راجع ص ١٣٦ - ١٣٧ ، ج ١ من المرجع السابق .

وأعلن الثورة في الحجاز في يونيو سنة ١٩١٦ م ، ثم امتد أوار الثورة إلى سورية وكان موقف العرب عاملاً حاسماً في كسب الخلفاء للمعركة وحصولهم على النصر . ووقف العرب هذا الموقف آمليين أن انكلترا ستفي بالوعد وأنها ستساعدهم على تكوين الدولة العربية كما تخيلها الشريف حسين وحددها أو قريباً من ذلك . غير أن الحوادث أخلفت ظن العرب وأظهرت أن ثقة الشريف في الوعود والمساعدة البريطانية كانت في غير محلها ، حيث تبين فيما بعد أنه كانت هناك مفاوضات سرية بين انكلترا وفرنسا بشأن تقسيم الشرق العربي إلى منطقتي نفوذ بين الدولتين في نفس الوقت الذي كانت تتفاوض فيه انكلترا مع الشريف حسين وأنه تم الاتفاق بين الدولتين نهائياً على ذلك قبل إعلان الشريف للثورة بمقتضى معاهدة سيكس - بيكو (Sykes Picot) التي عقدت بين فرنسا وانكلترا في مايو سنة ١٩١٦ م . وفي ٤ نوفمبر من سنة ١٩١٧ صدر تصريح بلفور المشؤم الذي يعطى اليهود حق الوطن القومي في فلسطين ويقطع قسماً من الدولة العربية التي تعهد الإنكليز للشريف بمساعدته على إنشائها .

وكانت النتيجة العملية أن أصبح تكوين الدولة العربية الموحدة المستقلة بعد معاهدة سيكس - بيكو وبعد تصريح بلفور أمراً لا يمكن تنفيذه إلا إذا تغيرت الظروف وجد ما لم يكن بالحسبان . وعلى الرغم من هذا فقد بقيت الفكرة مسيطرة على أصحابها ، وبقي العرب على استعداد للتضحية في سبيلها .

## مملكة سوريا الكبرى :

ولما وصل الأمير فيصل بن الحسين إلى دمشق في ٢ أكتوبر سنة ١٩١٨ أذاع بعد ثلاثة أيام من وصوله بلاغا رسميا معلنا أنه قد « تشكلت في سوريا حكومة دستورية عربية مستقلة استقلالاً تاماً لا شائبة فيه باسم السلطان حسين ( الشريف حسين والد سموه ) شاملة جميع البلاد السورية » ، أعلن هذا الأمير فيصل وهو يعرف ما بين انكلترا وفرنسا من اتفاق ويعرف وعد بلفور ، ولكنه تجاهل كل ذلك في سبيل تقرير حق العرب المشروع . غير أن انكلترا وفرنسا لم تتركا إعلان قيام الدولة السورية يمر بدون تدخل ، فأصدرتا في ٨ نوفمبر سنة ١٩١٨ تصريحهما<sup>(١)</sup> الذي يعتبر رداً على ما أعلنه الأمير ، والذي يدل على أن الدولتين لم تنزلا عن أطماعهما وسياستهما المرسومة وبنىء عن تصميم الحليفين على تنفيذ الاتفاق السرى المعقود بينهما وتنفيذ وعد بلفور .

وكان وصول الأمير فيصل إلى دمشق وإعلانه قيام دولة سوريا الكبرى سبباً في إلهاب نار الحماسة الوطنية في نفوس العرب الأحرار ، فالتفوا حول الأمير ونشطت الحركة الوطنية وتألقت الأحزاب وفي مقدمتها « حزب الاتحاد السوري » و« الحزب الوطنى السورى » ، وأعلنت البلاد المطالبة بإنشاء دولة سوريا بوحدتها القومية وحدودها الطبيعية التي ذكرناها في مبدأ الحديث ، وطالبت بأن تكون تلك الدولة مستقلة استقلالاً تاماً تحت حكم فيصل بن الحسين الذى قاد هذه الحركة

(١) راجع نص التصريح في ص ٥ - ٦ ، ج ٢ من المرجع السابق .

الاستقلالية وكافح في سبيلها كفاح الأبطال على منابر البيان والخطابة في مؤتمر الصلح حينما انعقد بباريس في جلسة ٦ فبراير سنة ١٩١٩ م ، وفي ميادين القتال السورية حينما زحف الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال غورو واستولى على دمشق في يولية سنة ١٩٢٠ م .

وفي هذه الفترة الأخيرة من الكفاح حدثت أحداث هامة كانت فاصلة في تاريخ مملكة سوريا الكبرى التي كان يرجى لها أن تنشأ دولة عربية موحدة مستقلة ، وسنشير إلى أهم تلك الأحداث فيما نرى بالقدر اللازم لتوضيح الفكرة وبيان تطورها . فبعد وصول اللجنة الأمريكية المؤلفة برئاسة المستر تشارلس كراين والمكلفة بدراسة الأحوال في سوريا ، وتعرف برغبات السكان ومطالبهم إلى دمشق قابلها رئيس المؤتمر السوري العام الممثل لكل أجزاء البلاد السورية بتاريخ ٣ يولية سنة ١٩١٩ م ، وكان على رأس وفد مؤلف من واحد وعشرين عضواً عن أعضاء المؤتمر ، وسلم إليها قرار المؤتمر الهام الذي يوضح رغبات السوريين ويحدد مطالبهم<sup>(١)</sup> . وفي هذا القرار يوضح الشعب السوري في البند الأول أنه يطلب الاستقلال السياسي التام التام للبلاد السورية بأكملها ، كما سبق أن حددناها ، بدون حماية ولا وصاية ؛ ثم يطلب في البند الثاني أن تكون حكومة سوريا الكبرى حكومة ملكية مدنية نياية على طريقة اللامركزية الواسعة مع كفالة حقوق الأقليات ، على أن يكون الأمير فيصل ملكاً

(١) راجع نص القرار في ص ٤٨ - ٥٠ ، ج ٢ من المرجع السابق .

على البلاد لأنه جاهد في سبيل تحريرها ولأنه يستحق ثقة الشعب السوري ؛ وفي  
البند السادس والسابع يسجل القرار عدم الاعتراف بأى حق تدعيه الدولة  
الفرنسية في أى بقعة كانت من البلاد السورية ويرفض أى مساعدة من فرنسا  
تقدمها إلى سوريا ، كما يرفض مطالب الصهيونيين يجعل القسم الجنوبي من  
البلاد السورية ( فلسطين ) وطناً قومياً للإسرائيليين ؛ وفي البند الثامن يبين  
قرار المؤتمر السوري ضرورة احتواء الدولة السورية على لبنان وفلسطين ؛ وفي  
التاسع يطلب الاستقلال التام للقطر العراقي المحرر وعدم إيجاد حواجز اقتصادية  
بينه وبين سوريا .

وفي ٢٥ أبريل سنة ١٩٢٠ اجتمع المجلس الأعلى للحلفاء وقرر وضع المنطقة  
العربية فيما بين البحر الأبيض المتوسط والخليج الفارسي تحت الانتداب ، كما  
قرر تقسيم سوريا إلى ثلاثة أقسام لبنان وفلسطين وسوريا التي تشمل ما تبقى بعد  
القسمين السابقين ، وفي بقية قراراته أبقى العراق بدون تقسيم . وكانت هذه  
القرارات التي أثارت نفوس العرب وسخطهم على دول الحلفاء إيذاناً بالقضاء  
على دولة سوريا الكبرى الموحدة المستقلة وبدخولها في مرحلة جديدة من مراحل  
التاريخ . فبعد أحداث وتطورات في الموقف أنذر الجنرال غورو قائد الجيش  
الفرنسي جلالة الملك فيصل ملك سوريا في ١٤ يولية سنة ١٩٢٠ م ، وطلب  
إليه فيما طلب قبول الانتداب الفرنسي بدون قيد ولا شرط ؛ وفي يوم السبت  
الموافق ٢٤ يولية سنة ١٩٢٠ م هزم جيش سوريا الكبرى في موقعة ميسلون ،  
وفي الساعة الرابعة بعدظهر يوم الأحد الموافق ٢٥ بدأت طلّائع الجيش الفرنسي

تدخل أبواب دمشق . وبعد سقوط دمشق طلب الجنرال غورو إلى الملك مغادرة البلاد بقرار من الحكومة الفرنسية ، إذ أن وجوده في البلاد السورية أصبح في نظر الفرنسيين خطراً عليهم ، وحدد له الساعة الخامسة من صباح الأربعاء الموافق ٢٨ يولييه سنة ١٩٢٠م لمغادرة محطة الحجاز بدمشق في طريقه إلى خارج البلاد . ولم يستطع الملك فيصل غير مغادرة البلاد فنفذ ما طلب إليه وغادر دمشق في الموعد المضروب ، ثم أبحر إلى إيطاليا بعد قليل ومكث بها مدة إلى أن سافر إلى لندن في ديسمبر من نفس السنة بناء على دعوة وجهت إليه من الحكومة الإنكليزية . وكانت خاتمة هذا الدور من تاريخ سوريا الكبرى الاتفاق بين فرنسا وانكلترا بتاريخ ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢٠ على تحديد الحدود بين سوريا ولبنان مناطق الانتداب الفرنسي ، وفلسطين والعراق مناطق الانتداب الإنكليزي .

أرادت انكلترا بعد أن ساعدت فرنسا على توطيد نفوذها في سوريا ولبنان وبعد أن وطدت نفوذها في فلسطين والعراق واحتلت البلدين بجيوشها ، أرادت بعد أن مزقت سوريا الكبرى وأضاعت استقلالها وخذعت العرب في سبيل قضاء مصالحها أن تعمل عملاً لإرضاء الهاشميين الذين آزروها وخذعوا بالاعيةها ، فأنشأت إمارة شرق الأردن وأسندتها إلى الأمير عبد الله بن الحسين وسوت أمورها في العراق بعد ثورة العراقيين ضدها ، ثم ساعدت على تولي الملك فيصل بن الحسين عرش مملكة العراق الجديدة .

وكانت النهاية بعد هذه التطورات التي شرحناها أن قضى على مشروع سوريا الكبرى الموحدة المستقلة ، وأن هدأت فكرة المشروع حتى أذن لها أن تتحرك من جديد ، فتحركت ولكن في ثوب جديد وعلى وجه جديد ؛ فبعد أن كانت سوريا الكبرى المستقلة التي حاربها الإنكليز وقضوا مع حلفائهم الفرنسيين عليها ، أصبحت سوريا الكبرى التي يوعز بالدعوة إليها الإنكليز ، والتي يساعد على قيامها ويرحب بها الإنكليز لتنشأ في حجرهم وتعيش في حمايتهم وتحت كنفهم .

### عبد الله بن الحسين ومشروع « سوريا الكبرى » :

رأينا فيما سبق أن فيصل بن الحسين هو الذي كان يتزعم حركة الدعوة والعمل لتحقيق مشروع سوريا الكبرى في دورها الأول ، يوم أن كانت دعوة إلى إنشاء دولة عربية موحدة مستقلة يسعى سكانها العرب إلى تحقيقها ويضحون في سبيل قيامها بكل ما يستطيعون . أما في هذا الدور الثاني فإن الذي يتزعم الدعوة إلى تحقيق المشروع هو أخو فيصل عبد الله بن الحسين ، ولكن بعد أن تغيرت الأحوال وتطورت فكرة المشروع ، إذ لو تحقق مشروع سوريا الكبرى الآن كما كان يريد جلالة الملك عبد الله لترتب على ذلك إلحاق سوريا المستقلة وربط لبنان المستقل بشرق الأردن المشمول بنفوذ الإنكليز وحمايتهم ، والمحتل بالإنكليز ، كما يترتب عليه إلحاق القسم العربي من فلسطين بشرق الأردن ، وفي ذلك مافيه من الاعتراف بقيام الدولة الصهيونية بفلسطين وما يتبع ذلك

من النتائج الخطيرة ، ومثل هذا يقال فيما يترتب على ربط العراق المستقل بشرق الأردن الذي لم ينل بعد من الاستقلال إلا اسمه . وفيما يلي سرى تطورات المشروع في عهد عبد الله بن الحسين .

لما رأى الأمير عبد الله أن فرنسا انهارت في أوائل الحرب العالمية الثانية وأن سيطرتها في سوريا ولبنان في طريق الزوال خصوصاً بعد احتلال إنكلترا لسوريا في مايو ولبنان في يونيو من سنة ١٩٤١ م ، ورأى بعد ذلك أن الإنكليز والفرنسيين الأحرار يعلنون العزم على منح البلدين الاستقلال حينما يصبح ذلك ميسوراً ، لما رأى الأمير هذه الأحداث تحدث أثناء الحرب الكبرى الثانية فكر في السعي لتحقيق مشروع سوريا الكبرى . وإذا تحقق هذا المشروع فيكون ذلك طبعاً بما يتناسب مع وضع شرق الأردن السياسي ، وما يتناسب مع وضع الإنكليز في هذه الإمارة وهم أصحاب السلطان والنفوذ فيها . ولقد سارت الحركة الاستقلالية في سوريا ولبنان في طريقها حتى وصلت إلى تقرير تنفيذ استقلال القطرين الشقيقين اعتباراً من أول يناير سنة ١٩٤٤ م مع بقاء جيوش الاحتلال الفرنسية والإنكليزية فيهما لحين انتهاء أعمال القتال ، وانتهى الأمر بعد ذلك بجلاء الجيوش الأجنبية وباستقلال البلدين استقلالاً تاماً . وفي هذه الأثناء قويت الرغبة عند الأمير عبد الله في العمل لتحقيق المشروع فابتدأ سعيه الرسمي بأن أرسل مذكرة هامة إلى الحكومة البريطانية في سنة ١٩٤٣ م يشرح فيها رأيه في القضية العربية ، ويقترح قيام دولة سوريا الكبرى على أساس الوحدة كما هو مقتضى المشروع الأول من المذكرة ، أو على أساس

الاتحاد كما هو مقتضى المشروع الثاني . وفيما يلي نثبت نص هذه المذكرة الخطيرة التي تعتبر أساساً لسعي عبد الله بن الحسين في تحقيق مشروع سوريا الكبرى ، والتي ترينا بالتفصيل على أي وجه أراد الأمير أن يتحقق المشروع .

### مذكرة الأمير عبد الله إلى الحكومة البريطانية<sup>(١)</sup> .

بناءً على وعود بريطانيا العظمى للعرب سابقاً ولاحقاً ، ونظراً لعجز الحكومة الفرنسية الشرعية عن القيام بوكالتها المؤقتة عن جمعية الأمم في سوريا وزوال تلك الوكالة حكماً بسقوط أهليتها القانونية ، ونظراً لتمتع سوريا باستقلال ودستور شرعيين ، وبالإشارة إلى ما صرح به وزير الخارجية البريطانية المستر انطوني إيدن بشأن الوحدة العربية أرى أن من مقتضيات ذلك ، بل من مقتضيات تسهيل مهمة الديمقراطيات في الشرق الأدنى ، وإعادة توثيق الصداقة العربية البريطانية التقليدية ، وضمان الثقة والاستقرار الحقيقي في البلاد العربية المحررة منذ الحرب الماضية أن يصار حالا إلى تنفيذ أحد المشروعين الآتين :

(١) أخذنا نص المذكرة عن « مشروع سوريا الكبرى » للدكتور راشد البراوي ، حيث صرح الدكتور في هامش الصحيفة رقم ٣٩ بأنه نقله عن كتاب « الدبلوماسية العراقية والاتحاد العربي » ص ٢٢١ - ٢٢٩ .

## المشروع الأول

(١) مشروع الوحدة السورية ( الدولة السورية الموحدة والاتحاد

العربي ) .

١ — إعلان الحلفاء تأييد استقلال سوريا بمحدودها الطبيعية واعتبار وحدتها القومية والجغرافية أساساً لنظام الحكم فيها .

٢ — يكون هذا الإعلان تأييداً في الواقع لمصلحة البلاد ولرغبة الشعب السوري التي أبدوها عقب الحرب الماضية وفي جميع المناسبات وسجلتها لجنة الاستفتاء الأمريكية ( لجنة المستر كراين ) في حينه ، كما أن المؤتمر السوري الذي انعقد بدمشق ممثلاً سوريا المحررة بجميع أقاليمها أي ( سوريا الشمالية ، لبنان ، شرق الأردن ، فلسطين ) قد أعلن ذلك في قراره الصادر ( مارس ) ١٩٢٠ م المبلغ إلى الدول وجامعة الأمم في حينه ، معبراً في قراره التاريخي هذا عن إرادة الشعب السوري الحقيقية ، ذلك القرار الذي مازال هو الميثاق القومي لجميع السوريين ، والحكومة السورية الحاضرة مازالت تعتبر يوم إعلانه عيداً رسمياً ، كما أن العلم الرسمي الذي أنشأه لسوريا مازال هو العلم الذي يظل حكومة شرق الأردن .

٣ — ان مشروع الدولة السورية يتضمن :

(١) الاعتراف بدولة سوريا مستقلة وذات سيادة يكون نظام الحكم فيها

ملكياً ودستورياً .

( ب ) تضم الدولة السورية الموحدة ( سوريا الشمالية ، وشرق الأردن ، وفلسطين ، ولبنان ) .

( ج ) يكون لكل من فلسطين في بعض مناطقها ولبنان القديمة إدارة خاصة بمقتضى الدستور يلاحظ في الأول منها حفظ حقوق الأقلية اليهودية ومركز الأماكن المقدسة الخاصة وفي الثانية صيانة امتيازات لبنان القديم .

( د ) يلغى وعد بلفور لعدم موافقة العرب عليه وهم أصحاب البلاد الشرعيين ، أو يفسر تفسيراً يزيل مخاوف العالمين العربي والإسلامي فيكتفي بالوضع الراهن وهو نسبة الثلث إلى الثلثين وتمنع الهجرة اليهودية .

( هـ ) تصان المصالح البريطانية والأجنبية في الدولة السورية الموحدة بمقتضى معاهدة كالمعاهدتين المصرية والعراقية .

٤ — رئاسة الدول السورية .

يدعى سمو الأمير عبد الله بن الحسين لرئاسة الدول السورية بالاستناد إلى الاعتبارات المشروعة الآتية :

( ١ ) حقوقه الشرعية الثابتة في الإمارة الأردنية وهي جزء مهم من أجزاء سوريا الكبرى .

( ب ) مساهمته سابقاً ولاحقاً بمعونة الخلفاء معونة فعالية وقد اشتملت هذه

المعونة على الساحة السورية في الحرب الحاضرة .

( ج ) كونه الوريث الأول لحقوق والده المغفور له جلالة الملك حسين في

رعاية الحقوق السورية بوجه خاص والحقوق العربية بوجه عام .

( د ) وعد الحكومة البريطانية له برئاسة الدول السورية بلسان رئيس

وزارتها الحالي المستر تشرشل منذ عام ١٩٢١ وزوال موانع تنفيذ ذلك الوعد

بعد انهيار الدولة الفرنسية وسقوط وكالتها القانونية عن جمعية الأمم ، وبعد أن

أصبحت بريطانيا العظمى تملك حرية العمل في الأراضي السورية على اختلاف

أقاليمها .

( هـ ) رغبة السوريين بالحكم الملكي الدستوري في حالة تحقيق وحدة البلاد

العامة أو اتحادها المركزي .

٥ — الاتحاد العربي .

حال إعلان تأسيس الدولة السورية الموحدة يصار إلى تأسيس اتحاد عربي .

تعاهدي مؤلف من الدولتين السورية والعراقية ( أي من أراضي الهلال الخصيب )

بتنظيم الدفاع والثقافة والاقتصاد الوطني ، وليس نعمة ما يمنع انضمام الدول

العربية الأخرى إلى هذا الاتحاد على أن تكون رئاسة مجلس الاتحاد العربي

دورية أو أن تعطى عند الاقتضاء عهدياً إلى أوسع الدول العربية ثروة ونفوذاً

ونفوساً .

## المشروع الثانى

( ب ) مشروع عملى فى تأسيس دولة سورية اتحادية وقيام اتحاد عربى تعاھدى فى حالة عدم تأسيس الدولة السورية الموحدة حالا فإنه لا يكون متعذراً أن يصار إلى تأسيس اتحاد سورى مركزى ( أى دولة سورية اتحادية ) ضمن القواعد الآتية الموضوعة فى ضوء المصلحة الحقيقية للبلاد السورية مع تقدير أوضاعها الراهنة بالإضافة إلى مصلحة الحلفاء الحقيقية بالنسبة إلى اكتساب الثقة العامة وتسهيل مهمة الدفاع فى الشرق الأدنى .

١ — تقوم فى الأراضى السورية بمحدودها الطبيعية دولة سورية اتحادية مركزية تضم حكومات شرق الأردن وسوريا الشمالية ولبنان وفلسطين عاصمتها دمشق .

٢ — ينظم الاتحاد السورى المركزى شؤون الدفاع والمواصلات والاقتصاد الوطنى والسياسة الخارجية والثقافة العامة والقضاء الاتحادى مع بقاء الاستقلال الذاتى لكل من الحكومات الإقليمية الأربع باستثناء ما يصبح من اختصاص حكومة الاتحاد السورى العامة .

٣ — يكون للاتحاد السورى ( مجلس اشتراعى عام منتخب ) ممثل للأقاليم المتحدة اتحاداً مركزياً ، ومنه يكون انتخاب رئيس وزراء الاتحاد واختيار أعضاء السلطة التنفيذية الاتحادية وفق أحكام الدستور .

٤ - يتم الاتحاد السوري نتيجة مفاوضات واتفاق بين الحكومات الأربعة الإقليمية ، وتكون الخطوة الأولى في تحقيقه مفاوضات واتفاق حكومتى شرق الأردن وسوريا الشمالية .

٥ - تصاغ قواعد وأسس الاتحاد فى مشروع دستور اتحادى تضعه لجنة مختصة تمثل الأقاليم المشتركة فيه يتفق على عددها وصلاحياتها .

٦ - يسمى سمو الأمير عبد الله بن الحسين رئيساً للدولة السورية الاتحادية لعين الأسباب والاعتبارات المبينة فى البند (٤) من المشروع السابق ، ويعهد بإدارة شرق الأردن الخاصة إلى نائب عن سموه .

٧ - يناقش ويصدق على مشروع دستور الاتحاد السورى من قبل المجالس التمثيلية للحكومات الإقليمية فى هيئة مؤتمر ، أو من قبل جمعية وطنية عامة تمثل مناطق الاتحاد تنتخب لهذه الغاية .

٨ - يعلن دستور الاتحاد رسمياً ويعمل به من تاريخ اليوم المعين للتنفيذ وفق المراسم التى تقرر .

٩ - فى حالة وقوع انضمام حكومة لبنان أو فلسطين إلى الاتحاد السورى متأخراً أو على أساس تعاهدى فقط يصار إلى تصديق شروط وحدود ذلك الانضمام من قبل مجلس الاتحاد الاشتراعى ومجلس نواب الحكومة المنظمة الإقليمى كلا على حدة ، ثم يعلن تنفيذ ذلك .

١٠ — إذا تخلفت حكومة لبنان عن الانضمام إلى الاتحاد السوري المركزي

لأسباب خاصة بها يجب أن تعاد الأراضي السورية الملحقة بلبنان ( دون رغبة من السكان ) بالاستفتاء الحر إلى سوريا .

١١ — يشترط في انضمام فلسطين إلى الاتحاد السوري وبالنتيجة إلى

الاتحاد العربي العام تحقق الأمور الآتية :

( أ ) تقوم حكومة وطنية دستورية في فلسطين بحدودها الحاضرة .

( ب ) يبقى العمل بالكتاب الأبيض مؤقتاً على أن يحل محله تفسير رسمي

لوعده بلفور من الجانب البريطاني خلال مدة معينة ، وهذا التفسير يشترط فيه إزالة مخاوف العالمين العربي والإسلامي بتأكيد حقوق عرب فلسطين التومية والسياسية في وطنهم الخاص الموروث عن الآباء والأجداد ، بحيث يظل مركزهم القومي مضموناً في فلسطين لا يصار إلى انتقاصه عن طزيق أي هجرة يهودية أو أي إجراءات أخرى ، مع وقف الهجرة اليهودية الأجنبية منذ الآن والاحتفاظ بالحالة الراهنة وهي نسبة الثلث من اليهود إلى ثلثين من العرب ، تلك النسبة التي أوجدتها منذ نهاية الحرب الماضية حتى الآن هجرة أجنبية متواصلة لم يترف بمشروعيتها العرب قط .

إن مثل هذه النسبة الطارئة على فلسطين دون موافقة السكان العرب يجب

أن تعتبر كافية في نظر الحكومة البريطانية لتبرير الادعاء بأنها قد أنجزت ما وعدت به اليهود ، لاسيما وهي مرتبطة في ذات الوقت بالتزامات مقطوعة للعرب من

حقوق قومية وشرعية ثابتة في وطنهم الموروث .

( ج ) يراعى في إدارة فلسطين الوطنية المركز الخاص للأماكن المقدسة .

( د ) تعطى المناطق ذات الأثر اليهودية إدارة لامركزية توكيداً

لحفظ حقوق الأقلية اليهودية .

( هـ ) يبادل الاتحاد العربي العام المواطنين الفلسطينيين من اليهود تعاوناً

اقتصادياً نافعاً .

( و ) يشترط لإقرار العرب هذه المزايا للأقلية اليهودية في فلسطين إعلان

الهيئة اليهودية المسؤولة موافقة اليهود نهائياً على هذا الحل بإشعار الحكومة

البريطانية ذلك .

١٢ - في حالة عدم حل المشكلة الفلسطينية على هذا الأساس من الجانب

البريطاني تظل فلسطين خارج نطاق الاتحاد السورى ، كما يظل العرب كأمة

ذات ميثاق قومى وحقوق وطنية مشروعة غير معترفين بمشروعية الوضع الراهن

لفلسطين ومشارين على المطالبة بإلغاء وعد بلفور ، مع العلم أن المشكلة الفلسطينية

هى المصدر الرئيسى لتسميم العلاقات البريطانية مع العالمين العربى والإسلامى ،

ومع العلم أن فلسطين ليست هى المكان الذى يتسع لحل المشكلة اليهودية العالمية ،

وإنه لى صالح الجميع فى رأى أصدقاء بريطانيا العظمى أن تحل المسألة الفلسطينية

كما أوضحنا ، وهو أوفى ما يمكن أن يرضى به العرب ، ويكفى أنه فى مصلحة السلام

والاستقرار والعدل الدولي حاضراً ومستقبلاً ، كما أنه يقطع دابر الفتنة والشكوك  
والدعاية المعادية للديمقراطيات في الشرق الأدنى .

١٣ — بعد قيام الدولة السورية الاتحادية وفق الأسس المبينة في البنود السابقة  
يصار إلى تأسيس الاتحاد العربي التعاهدى وفق ما ذكر في البند ( ٥ ) من  
المشروع الأول .

١٤ — تصان المصالح البريطانية والأجنبية في الدولة السورية الاتحادية  
بمقتضى معاهدة كالمعاهدتين المصرية والعراقية .

\*\*\*

تقدم الأمير إلى الحكومة البريطانية بهذه المذكرة آملاً أن يجد لدى  
أصدقائه الانكليز أصحاب القوة والسلطان وأصحاب المطامع الاستعمارية والمصالح  
المختلفة العون والمساعدة في إنشاء دولة سوريا الكبرى ؛ ثم أتجه من ناحية أخرى  
في سنة ١٩٤٣ م أيضاً إلى أهل البلاد الذين سيكونون من رعاياه عندما تقوم  
الدولة المرجوة ، وأصدر بلاغاً إلى أهل الشام « حاضره وباده ومن خليج العقبة  
إلى البحر الأبيض المتوسط إلى أعالي الفرات » ليعدهم لقبول ماسيجد مما يسعى  
إليه وجاء في هذا البلاغ قول سموه : « ألا وإنا لداعون في الوقت نفسه جملة  
أهل الحل والعقد في بلاد الشام إلى مشروع وحدة أو اتحاد سورى شامل ووطن  
كامل يناقشون أمره في مؤتمر سورى خاص نرحب بعقده في عاصمة بلادنا عند  
ما يختارون وقته وزمانه أو يؤيدونه بعد إمعان النظر في مراميه هيئات وفئات  
من زعماء وعلماء » .

وبعد هذه الخطوات التي اتخذها الأمير عبد الله اقتضت الأحوال أن يترتب  
زمناً حتى تنتهي الحرب وتحل المشاكل فيما بين فرنسا وبين سوريا ولبنان ، فلما  
انتهت الحرب واستقلت سوريا ولبنان أصبحت الظروف مهيأة لنشاط الأمير  
وسعيه من جديد ، وكانت مقدمة السعي والنشاط أن يتفاهم سموه مع الإنكليز  
لتعديل وضع شرق الأردن السياسي ، ولو من حيث الشكل حتى يكون من  
الاستساغ لدى السوريين من سكان سوريا الكبرى أن يقبلوا الانضمام إلى شرق  
الأردن في وحدة أوفى اتحاد . وكان من نتائج ذلك أن أعلنت انكليترا إلغاء انتدابها  
على شرق الأردن وأنها أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة ، وأبلغت ذلك إلى  
هيئة الأمم المتحدة عند بدء انعقاد دورتها الأولى بلندن في شهر يناير سنة  
١٩٤٦ م . فأصبح الأمير عبد الله ملكاً لشرق الأردن ، وأصبحت شرق  
الأردن في الظاهر دولة مستقلة دستورية ؛ فخلالته إذاً يستحق أن يكون رئيساً  
لسوريا الكبرى ، ودولة شرق الأردن أصبحت أهلاً لأن ينضم إليها لبنان  
وسوريا وفلسطين أو بعضها والعراق أيضاً على أي وجه من الوجوه ، وغير العراق  
من البلاد العربية في المستقبل إن أمكن .

وعلى هذا الوجه اعتقد جلالة الملك عبد الله أن الأمور أصبحت مهيأة لأن  
تسعى المملكة الهاشمية الأردنية مجد في سبيل تحقيق المشروع وإنشاء دولة  
سوريا الكبرى تحت حكم جلالته ، فتحرك المجلس النيابي الأردني الذي أُلغى بعد  
إعلان استقلال شرق الأردن السوري تأليفاً سورياً أيضاً يتناسب مع استقلال  
المملكة الجديدة ؛ فكما أن هذا الاستقلال مقيد بالمعاهدة الأردنية البريطانية

التي ربطت مصير شرق الأردن بعجلة بريطانيا العظمى وجعلت من هذه البلاد قاعدة حرية يحق لبريطانيا العظمى أن تستخدمها وفق إرادتها بلا قيد ولا شرط ، فكذلك كان تأليف المجلس النيابي تأليفاً سورياً ، إذ أعطى الدستور الأردني جلالة الملك عبد الله حق تعيين رئيس مجلس النواب ونائبه وحق تعيين جميع أعضاء مجلس الأعيان ، كذلك ليس لمجلس النواب حق اقتراح القوانين ، ولا حق الزيادة في النفقات المقترحة في ميزانية الدولة التي تعرض عليه للموافقة ، والملك هو الذي يبرم المعاهدات بموافقة مجلس الوزراء ولا تعرض على البرلمان ، فهو إذاً مجلس نيابي صوري في بلد مستقل استقلالاً سورياً . تحرك هذا المجلس بأمر من سيده جلالة الملك عبد الله وأعلن في دورته الأولى سنة ١٩٤٦ م على هيئة ميثاق وطني أن الشعب والحكومة يتمسكان ويطالبان بتحقيق الميثاق الوطني القديم الخاص بإنشاء دولة سوريا الكبرى تحت عرش الهاشميين . وكان لهذا العمل أثره السيء في مختلف البلاد والدوائر العربية ، فأثار السخط والارتياح وعدم الارتياح في سوريا ولبنان والمملكة العربية السعودية ومصر ، خصوصاً وقد أثير هذا الموضوع الموجب للخلاف في صفوف العرب في وقت حرج بالنسبة للعرب جميعاً ، أثير والعرب أشد ما يكونون حاجة إلى الوحدة وضم الصفوف والابتعاد عن كل ما يوجب الفتنة ويشير الخلاف . وتدخل مجلس جامعة الدول العربية حينما انعقد بالقاهرة في نوفمبر سنة ١٩٤٦ م في الأمر لفض الخلاف الذي نشب بين سوريا وشرق الأردن نتيجة لموقف الحكومة الأردنية وموقف المجلس النيابي الذي ذكرناه ، تدخل مجلس الجامعة العربية بعد أن

أثار « دولة » المفضول له -مد الله الجارى « بك » رئيس مجلس وزراء سوريا وممثلها فى مجلس الجامعة الموضوع فى إحدى الجلسات ، فاقترحت مصر بعد نقاش وجدال بين ممثل سوريا وممثل شرق الأردن أن تحال المسألة على لجنة وزراء الخارجية لتفصل فيها ، وهذه فصات فى الموضوع وقررت التمسك بميثاق جامعة الدول العربية الذى يوجب بمقتضى المادة الثامنة منه أن « تحترم كل دولة من الدول المشتركة فى الجامعة نظام الحكم القائم فى دول الجامعة الأخرى ، وتعتبره حقا من حقوق تلك الدول ، وتعمد بالألا تقوم بعمل يرمى إلى تغيير ذلك النظام فيها » . وطلبت اللجنة إلى الفريقين الكف عن إثارة الموضوع من جديد .

ولكن جلالة الملك عبد الله لم يكف ولم يستمع لحكم مجلس جامعة الدول العربية الذى لا تزال بلاد جلالته إلى الآن عضوا من أعضائه ، فأثار الموضوع من جديد وأذاع بيانا عن مشروع « سوريا الكبرى » على الصحف فى أغسطس سنة ١٩٤٧ م ، ثم عقب بإرسال كتاب فى نفس الموضوع إلى نخامة الرئيس شكرى القوتلى رئيس جمهورية سوريا إذ ذاك . وكان أثر هذا العمل من جانب الملك عبد الله فى نفوس الشعوب والحكومات العربية جميعا أسوأ مما سبق ، خصوصا أثره فى الشعب السورى وحكومته ، ولقد عبر عن هذا الأثر السبىء « دولة » جميل مردم « بك » رئيس الوزارة السورية فى ذلك الوقت فى تصريحه لندوبى الصحف بتاريخ ٢٨ أغسطس سنة ١٩٤٧ م حيث قال لهم : « إن مجلس الجامعة العربية قرر بالاجماع التفاضى نهائيا عن هذا المشروع الذى من شأنه أن يمس علاقات حسن الجوار القائم بين الدول العربية . وكنا نود لو أن الملك

عبد الله احترم قرار الجامعة ، ولكنه لم يسع الحكومة السورية أمام هذا الاستفزاز الجديد إلا أن تقرر اتخاذ جميع التدابير اللازمة لمنع هذا الاحتيال على الوحدة العربية من خدمة أغراضه التوسعية . ولقد لاحظنا في الواقع أن مشروع سوريا الكبرى يثار دائما في أوقات تتفق بشكل غريب والفترات الحرجة التي تجتازها الدول العربية ، مما يدل دلالة واضحة على أن هذا المشروع موعزبه من دول أجنبية ، وأنه لايرمى إلا إلى خلق جو من الاستياء في الدول العربية في الوقت الذي هي في أشد الحاجة فيه إلى توثيق علاقاتها وضم صفوفها . . . . . ان مشروع سوريا الكبرى مشروع صهيوني لايرمى إلا إلى تيسير مشروع تقسيم فلسطين وإنشاء دولة يهودية . . . . . وكان الواجب على الملك عبد الله أن ينسج على منوالنا فيحترم هذه الفترة الحرجة التي تجتازها الدول العربية في الوقت الذي تبحث فيه المسألتان المصرية والفلسطينية أمام هيئة الأمم المتحدة ، وفي الوقت الذي توجد فيه الدول العربية في أشد الحاجة إلى الوحدة « (١) .

أما الكتاب الذي أرسله جلالة الملك عبد الله إلى فخامة الرئيس السوري فقد كان أول ما لوحظ عليه أنه وصل بعد ما أذاع الملك عبد الله بيانه في الصحف ، وقد قال جلالاته فيه انه يحيل فخامة الرئيس إلى هذا البيان ! فكان مما علفت به الدوائر السورية على هذا التصرف قولها : إن هذه طريقة جديدة في الكتابة إلى رؤساء الدول ! ولقد كان الرئيس شكري القوتلي — كما يقول العارفون —

(١) نشر التصريح في الصحف الصادرة يوم السبت الموافق ٣٠ أغسطس سنة ١٩٤٧ م .

حازما كل الحزم وصرحاً كل الصراحة وقاسياً كل القسوة في الحديث الذي وجهه إلى «معالي» الشريفي «باشا» حامل رسالة الملك عبد الله ورئيس ديوان جلالاته إذ ذاك. فلم يعط الرئيس السوري الشريفي «باشا» رداً كتابياً على تلك الرسالة واكتفى بالرد الشفوي، وكان مما وجهه فخامته لمعاليه قوله: «أنتم غير مستقلين ونحن مستقلون، فلماذا تريدون أن نحمّلونا أغلالكم؟!» وقال له أيضاً: «أى استفتاء تريدون؟! لقد استفتى الشعب السوري أربع مرات فما اختار سوى النظام الحالي نظاماً له، فاذهبوا واستفتوا أهل شرق الأردن!».

وبعد هذه الأحداث تمت الزيارة التاريخية التي أداها جلالة الملك عبد الله لجلالة الملك عبد العزيز آل سعود في الرياض أو آخر شهر يونيو سنة ١٩٤٨م بعد أن تهيأت الأسباب ووجدت الظروف المناسبة لتلك الزيارة كما سبق أن ذكرنا (١)، ولقد تفاهم الملكان وأعلنا في بيانهما الملكي اتفاقهما «بصورة خاصة في تأييد الجامعة العربية فيما تقره أو تنهيه، مما هو داخل في ميثاق جامعة الدول العربية وفي حدود مسؤوليتها، وبالأخص فيما يتعلق بفلسطين» (٢).

اتفق الملكان إذاً في هذه الزيارة على جعل تقرير مصير فلسطين في يدي أهلها العرب ينتون فيه وفي نوع الحكم الذي يختارونه بمطلق حريتهم بعد انتهاء الجيوش العربية من مهمتها بتحرير البلاد الفلسطينية وطردها الصهيونية منها،

(١) تحدثنا عن هذه الزيارة في ص ٢١٦ — ٢٢٧ من الكتاب.

(٢) راجع نص البيان في ص ٢٢٥ من الكتاب.

وانفقاً بالتالى على عدم إثارة مشروع سوريا الكبرى من جديد . ولكن مع الأسف لم تمض على هذه الزيارة وتلك الاتفاقات غير خمسة أشهر حتى فوجئت الأمة العربية بحوادث أريحا المزعجة ، وذلك ما سنتحدث عنه فيما يلى .

## مؤتمر أريحا امرى مراحل التطور للمشروع

بعد أن هلك العرب وكبروا للزيارة التي أداها الملك الهاشمي للملك السعودي واعتقدوا أنها تعتبر مطلعاً لفجر عهد جديد سعيد في تاريخ العلاقات العربية وأن مشروع سوريا الكبرى الموجب للخلاف والشقاق في صفوف الأمة العربية قد طوى نهائياً ، بعد هذا كله بقليل فوجئوا بأخبار مؤتمر أريحا . قضى يوم الأربعاء الموافق ٣٠ محرم سنة ١٣٦٨ هـ أول ديسمبر سنة ١٩٤٨ م عقد جماعة من اللاجئين الفلسطينيين يبالغ عددهم نحو الألفين مؤتمراً ببلدة أريحا الواقعة على الحدود الفلسطينية ، وكان ذلك تحت رئاسة الشيخ محمد علي الجعبري رئيس بلدية الخليل وبعد تمهيد ودعوة من رجال الملك عبد الله وعملائه الذين أرغموا هؤلاء المشردين المحتاجين من اللاجئين الفلسطينيين بواسطة الترغيب أو التهيب على أن يأتتمروا بأريحا ويصدروا قراراتهم الحظيرة . وفي يوم السبت الموافق ٤ ديسمبر سنة ١٩٤٨ م ظهرت الصحف تحمل الأخبار الجديدة عن ملك شرق الأردن وتذكر أن « الملك عبد الله يبايع نفسه ملكاً على فلسطين » ، كما ذكرت أخبار المؤتمر ونشرت عن قراراته ما يلى :

أولاً — المناداة بالملك عبد الله ملكاً على شرق الأردن وفلسطين .

ثانياً — أن يكون اسم المملكة الجديدة « شرق الأردن وفلسطين » .  
وهناك من يقترح أن يكون الاسم الجديد « مملكة جنوب سوريا » . والغرض  
من هذه التسمية أن تكون خطوة أولى نحو تحقيق مشروع سوريا الكبرى  
الذي يدعو إليه الملك عبد الله .

ولقد ذكرت الصحف أنه مما تقرر كذلك أن ينادى بالملك عبد الله ملكاً على  
فلسطين كلها وليس على جزء منها ، وكان مما علفت به بعض هذه الصحف على  
تلك القرارات قولها : فكأن مصر وسائر الدول العربية قد بذلت على أرض  
فلسطين دمها ومالها وجهودها وحياة أعز أبنائها لكي تكون فلسطين لقمة  
سائغة لشهوة أو لمطمع ! وكأنا فعلنا ما فعلناه لتصبح فلسطين قاعدة  
إنكليزية باسم عربي ، ومستعمرة بريطانية تحت تاج عربي . ولتكون نقطة  
للوثوب إلى سوريا وغيرها لتحطيم استقلالها ، وهكذا تستعيد البلاد العربية كلها  
وهي التي كانت نحاول تحرير فلسطين وشرق الأردن .

كما ذكرت الصحف أنه على أثر إرضاض مؤتمر أريحا تشرف مكتب المؤتمر  
بالمثول بين يدي جلالة الملك عبد الله بالشونة التي تقع قريباً من أريحا ، ورفعوا  
إليه وثيقة المبايعه ومطلب تأليف المملكة الواحدة من فلسطين وشرق الأردن ،  
ورجوا من جلالته النظر في هذا وسرعة إنفاذه دستورياً إذا اقترن بالقبول  
والموافقة . ولقد بعثت سكرتارية المؤتمر بنسخ من قراراتها إلى سكرتارية هيئة  
الأمم المتحدة أثناء انعقادها بباريس ، وإلى الأمانة العامة للجامعة الدول العربية

وإلى كل من الدول العربية على حدة .

وفي يوم الثلاثاء الموافق ٧ ديسمبر سنة ١٩٤٨ م عقد مجلس وزراء المملكة الأردنية اجتماعاً طويلاً لدرس مقررات مؤتمر أريحا ، ثم أذاع على أثر إرضاضه بلاغاً رسمياً قرر فيه أن مقررات أريحا تتفق مع أهداف حكومة الملك عبد الله وأن هذه الحكومة ترحب بها وتسعى إلى تحقيقها بالوسائل الدستورية والدولية وأنها ستنفذها في الوقت المناسب ، كما قرر عرض هذه المقررات على مجلس الأمة ليبدى رأيه فيها نظراً لما لها من علاقة بكيان البلاد ومستقبلها .

وفي يوم الاثنين الموافق ١٣ ديسمبر سنة ١٩٤٨ م عقد مجلس الأمة الأردني المؤلف من مجلسي الأعيان والنواب اجتماعاً لمناقشة مقررات أريحا ، وشهد هذا الاجتماع رئيس الوزراء والوزراء ورجال السلك السياسي وعدد من الفلسطينيين والشبان والزعماء الأردنيين . ولما اجتمع المجلس ألقى رئيس الحكومة الأردنية خطاباً عن موقف هذه الحكومة من قرارات أريحا وموافقها التامة عليها ، وبعد خطب التأييد من بعض الأعضاء قرر المجلس الموافقة على القرارات بالإجماع ؛ ثم رفع القرار إلى جلالة الملك عبد الله فشكر لأعضاء المجلس والحكومة هذه الثقة وقال لهم : « لقد حملتموني عبئاً ثقيلاً ، وأرجو الله أن يوفقني لما فيه خير الأمة العربية » .

وقفت قرارات مؤتمر أريحا وتطورات مشروع سوريا الكبرى مؤقتاً عند هذا الحد ، أما موقف دول الجامعة من ذلك فقد استهله ملك وادي النيل

السابق إذ دعا رئيس الديوان في مساء الخميس الموافق ٩ ديسمبر سنة ١٩٤٨ م وزراء الدول العربية المفوضين في القاهرة كلامهم على حدة ، وأبلغهم رسالة ملكية سامية شفوية إلى أصحاب الجلالة والفضامة والسمو ملوك هذه الدول ورؤساء جمهورياتها والوصى على عرش العراق . وكانت هذه الرسالة الملكية خاصة بفلسطين وبعوتمر أريحا ، وبعد إبلاغها وردت الموافقة عليها من سوريا ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن والعراق ، وأجمعت شعوب هذه البلاد وحكوماتها على وجوب احترام قرارات الجامعة العربية المتعلقة بفلسطين ، وعلى وجوب التمسك ببيان ملك وادي النيل الذي ألقاه رئيس الديوان على رؤساء وفود الدول العربية لدى اللجنة السياسية عندما قابلوا الملك بعد ظهر يوم ١٢ أبريل سنة ١٩٤٨ ، والذي أمن عليه الجميع واعتبروه عهدا واجب التنفيذ . ولقد جاء في هذا البيان الملكي « إنه إذا دخلت جيوش عربية فلسطين لإتخاذها لجلالته يود أن يكون مفهوما صراحة أنه يجب النظر إلى هذه التدابير كإجراء مؤقت خال من كل صفة من صفات الاحتلال أو التجزئة لفلسطين ، وأنه بعد إتمام تحريرها تسلم إلى أصحابها ليحكموها كما يريدون . »

ثم ذهب بعد ذلك وفد عراقي مؤلف من نوري السعيد «باشا» وجميل المدفعي «بك» والفريق صالح صائب «باشا» إلى عمان لمقابلة جلالة الملك عبدالله والسعى لديه حتى لا ينفذ قرارات مؤتمر أريحا التي أثارت الشعوب العربية وأسخطتها وهزت أركان الوحدة بين العرب ، فاجتمع الوفد مع جلالته في مؤتمر تحت رئاسته

وبحضور توفيق أبوالهدى «باشا» وسعيد المفتى «باشا» وفوزى الملقى «باشا» من الجانب الأردنى . ويقول مندوب الأهرام إنه اتصل به « أن الملك عبد الله صرح لأعضاء وفد العراق بأنه يرى أن هذه القرارات تعبر عن رغبة السكان الفلسطينيين ، وأنه لا يستطيع أن يعارض هذه الرغبة . وطعأن جلالته الوفد إلى أن تنفيذ هذه القرارات مرهون بالوقت المناسب » . ولقد صرح دولة جميل المدفعى « بك » مندوب جريدة المصرى فى دمشق بعد وصول دولته إليها بأن الوفد العراقى نجح فى مهمته ، وأن الملك عبد الله قبل بقاء « الحالة الراهنة » بفلسطين على ماهى عليه . وبعد الوفد العراقى ذهب وفد يبنى إلى عمان مؤلف من سمو الأمير سيف الإسلام محمد نجل إمام اليمن وسمو الأمير يحيى شقيق جلالته ، وكان الوفد اليمنى يحمل رسالة من جلالة الإمام أحمد ملك اليمن إلى جلالة الملك عبد الله . ولما انتهت زيارة الأميرين للملك عبد الله غادرا عمان هما ومن كان فى صحبتهما إلى دمشق فوصلوا إليها فى يوم الثلاثاء الموافق ٤ يناير سنة ١٩٤٩ م ، وقد اجتمع مراسل المصرى فى دمشق بأعضاء الوفد يوم الأربعاء التالى فصرح له سعادة القاضى العمري أحد أعضاء الوفد ورئيس وفد اليمن إلى مجلس الجامعة العربية « بأن مباحثات الأميرين اليمنيين مع جلالة الملك عبد الله أسفرت عن اقتناع جلالته بعدم إعلان تويجه على فلسطين رسميا » . وعلى الرغم من هذا فقد أراد الملك عبد الله أن يقنع الأميرين اليمنيين بأن قرارات مؤتمر أريحا كانت قرارات صحيحة صادرة عن أهل فلسطين باختيارهم وورغبتهم ودون تدخل من جانب رجاله وعملائه ، إذ أن جلالته كان يعتزم زيارة مناطق أريحا ونابلس ( ١٧ - النهضات الحديثة )

وجنين فلما علم بمقدم الأميرين أجل تلك الزيارة حتى حضرا إليه فاستصحبهما معه في زيارته لهذه المناطق بعد أن أعدت العدة ودرت المظاهرات التي تدل على تأييد مبايعته ملكا على فلسطين ، غير أن الشباب الفلسطيني في « رام الله » لم يشأ أن يترك مظاهرات التأييد تمر بدون أن يعبر عن رأيه الصحيح ، فقام بمظاهرة حاشدة هتف فيها للوحدة العربية ولم يهتف « لسوريا الكبرى » ولا « لمملكة جنوب سوريا » الأمر الذي دعا البوليس الأردني إلى التدخل وتفريق هؤلاء المتظاهرين المتردين في نظره بالعصى .

## الاصبع الانكليزية

وإذا أردنا أن نعرف هل كان للإنكليز يد في ترتيبات أريحا فينبغي لنا ألا نقف عند التصريحات التي أذاعها بعض الساسة البريطانيين يعلنون فيها أن انكلترا لم تشجع جلالة الملك عبد الله على اتخاذ تلك الترتيبات التي أثارت ثائرة العرب في مختلف أقطارهم . فالواقع أن انكلترا هي التي أوجت بمؤتمر أريحا وأنها هي التي اختارت له الوقت المناسب بعد أن ظنت أن هذا الوقت الذي اختارته هو نفس الوقت الذي ستصدر فيه هيئة الأمم المتحدة قرارها بتأييد الاقتراح الإنكليزي الذي يدعو في حل مشكلة فلسطين إلى الأخذ بتقرير الكونت برنادوت بعد مصرعه ، ذلك التقرير الذي يقترح - طبقا للطلبات البريطانية - ضم القسم العربي من فلسطين ، وفيه منطقة النقب ، إلى الدولة الأردنية الهاشمية . « وانكلترا تعلم علم اليقين أن الدول العربية تعارض هذا أشد المعارضة لأنه ينطوي من ناحية على تنفيذ التقسيم وقيام دولة إسرائيل ، ولأنه يخشى من ناحية ثانية أن يكون خطوة من خطى تحقيق مشروع سوريا الكبرى الذي لا يرتضيه تلك الدول بحال . وحسبت انكلترا أنها ناجحة بفعل التأييد الأمريكي في سبيل الحصول على كثرة الثلثين من أعضاء الجمعية العامة للأمم المتحدة تأييدا لاقتراحها الذي تبنته معها الولايات المتحدة ، فأوجت دون ريب بمهزلة مؤتمر أريحا حتى تجابه الحكومات العربية بقرار « الأمم المتحدة » وقرارات « أريحا » في وقت واحد ، فبفت هذا الازدواج في عضدها وتخضع للأمر الواقع في الحظيرة الدولية وفي الحظيرة « الفلسطينية الداخلية » . لكن

الاقتراح البريطاني لم يكتب له التوفيق في هيئة الأمم المتحدة إذ لم ينل كثرة الثلثين المشروطة ، وكانت الاستعدادات قد تمت لإخراج مؤتمر أريحا وقراراته ، فبدأ وحده فريدا ، وكان مهزلة مكشوفة اضطرت إنكلترا معها إلى أن تعلن أنها لم تشجع جلالة الملك عبد الله عليها « (١) » .

ولقد كان المستر بيغن وزير الخارجية البريطانية بعيد النظر وممارسا للسياسة البريطانية التقليدية حينما أشار على جلالة الملك عبد الله عند زيارة جلالته للندن لتوقيع المعاهدة مع الحكومة الإنكليزية في أوائل سنة ١٩٤٦ م بعدم الانسحاب من جامعة الدول العربية . فلقد عُرف أن جلالة الملك عبد الله حينما زار لندن لتوقيع المعاهدة المشار إليها والتي أعلن نفسه على أثر توقيعها ملكا وصاحب جلالة على شرق الأردن ، عرف أنه صرح المستر بيغن برغبته في الانسحاب من جامعة الدول العربية ، وكان ذلك في أوائل سنة ١٩٤٦ م كما ذكرنا ، ولكن وزير الخارجية البريطانية رأى أن بقاء شرق الأردن عضوا في جامعة الدول العربية يمكن الساسة الإنكليز من تنفيذ أغراضهم والقيام بالأعيام السياسية في الحفاء « ومن وراء ستار عمان » - كما يقول الأستاذ محمد التابعي في بعض كتاباته - فلماذا أشار الوزير على صديق انكلترا الحميم وحليفها الوفي الملك عبد الله بن الحسين صاحب الأطماع الكبيرة بأن يبقى عضوا في الجامعة العربية ولا ينسحب . وسمع جلالته لهذه

(١) من مقال للدكتور محمود عزمي نشر في الصحيفة رقم ٤ من « أخبار اليوم »

النصيحة ، ولا يسهه إلا أن يسمع لنصائح أصدقائه من الساسة البريطانيين ، فهب أصحاب الفضل في إنشاء إمارة شرق الأردن وتنصيب سمو الأمير عبد الله بن الحسين أميراً عليها في سنة ١٩٢١ م ، ثم في جعل هذه الإمارة مملكة وجعل سمو الأمير صاحب الجلالة ملك شرق الأردن في سنة ١٩٤٦ م ، والخزانة البريطانية تدفع سنويًا للمملكة شرق الأردن الصغيرة الفقيرة بضعة الملايين من الجنيهات ، وجلالة الملك عبد الله كان لا يزال يطمع في عطف الحكومة البريطانية ومساعدتها ، وكان لا يزال يأمل في معونتها له ليحقق مشروع سوريا الكبرى . « ولقد تبدت في هذه الشهور التي عقد فيها مؤتمر أريحا آثار نصيحة مسترييفين ، أو نصيحة السياسة البريطانية البعيدة النظر ؛ وإلا لو كان الملك عبد الله قد خرج من الجامعة في عام ١٩٤٦ م فهل كانت السياسة البريطانية قد استطاعت بعد ذلك أن تحقق أغراضها في فلسطين ؟ ... وهل كان العرب اعتمدوا بين ما اعتمدوا عليه على الجيش الأردني ؟ ... وهل كانوا فوجئوا كما فوجئوا بكف هذا الجيش عن القتال في الوقت الذي كان القتال لا يزال دأراً فيه بين العرب واليهود ؟ ... وهل كانوا فوجئوا بإخلاء اللد والرملة بناء على أمر أصدره جلوب باشا ؟ ... وهل كانت وحدتهم - وحدة العرب - أصيبت بما أصيبت به في تلك الأيام ؟ ... ووحدة العرب ليست قطعاً مما تطمئن أو تستريح إليه لندن وهويت هول !! إذاً فإن الملك عبد الله قد بقي في جامعة الدول العربية لكي تستطيع بريطانيا أن تمضي في تحقيق أهدافها السياسية من ورائه . . . من وراء ستار عمان » .

وهكذا ترى بريطانيا تمارس الشيء وتقيضه ولا ترى في عملها هذا شيئاً من الغشابة أو الاستنكاف مادام في رأيها يوصلها إلى الغرض ، فهي التي أشارت بتكوين جامعة الدول العربية وشجعت هذه الفكرة على لسان وزير خارجيتها في سنة ١٩٤٣ م المستر إيدن ، (١) وهي التي ضغطت على الجامعة العربية ودولها إلى حد الإحراج ، خصوصاً فيما يتعلق بالمسألة الفلسطينية ، إذ أنها بعد أن سمحت وشجعت دخول الجيوش العربية البلاد الفلسطينية لتطهيرها من الصهيونيين ورأت الجيوش العربية المظفرة قد قاربت النصر وأوشكت أن تقضى على العصابات الصهيونية عادت فضغطت على الحكومات العربية لقبول الهدنة حتى قبلوها بحكم الظروف القاسية . ثم تبادت بريطانيا في ضغطها على العرب وإحراجها لجامعة الدول العربية فمنعت السلاح والذخيرة عن الدول العربية رغم ما بينها وبين بعض هذه الدول من معاهدات تقضى بتقديم السلاح والمعونة الحربية لها في مثل هذه الأحوال ، في حين أنها أعطت الفرصة لليهود ليتزودوا بالسلاح والذخيرة والرجال من أمريكا وروسيا وغيرها من مختلف أنحاء العالم ، فوق ما أعطاه الجيش الإنكليزي نفسه لليهود من مخازن السلاح والذخيرة في حيفا وغيرها من البلاد الفلسطينية . وتناديا في الضغط على الجامعة العربية والنكاية بها أوحى بريطانيا لحليفها ووليها جلالة الملك عبد الله فتوقف جيشه عن القتال الدائر بفلسطين في الساعات الحرجة ، وفاجأ هذا الجيش العرب والمصريين على وجه الخصوص بإخلاء اللد والرملة كما سبق أن ذكرنا ، ثم

(١) راجع ص ١٧٤ - ١٧٥ من الكتاب .

فاجأ جلالته الأمة العربية في هذه الأوقات العصيبة بمؤتمر أريحا متباديا في تحقيق مشروع سوريا الكبرى ، وغير مكثرت بما يترتب على ذلك كله من الفت في عضد العرب وتصدع وحدتهم وإضعاف جامعتهم مادام ذلك يلبي رغبات السادة الإنكليز ويحقق أطماعه وأطماعهم .

إذاً فقد عطفت بريطانيا على إنشاء الجامعة العربية وشجعته حيناً ، ثم ضغطت عليها وأخرجتها حيناً آخر ، عطفت عليها وشجعته هي وحليفها أمريكا حيناً كانت مصلحة الدولتين تقتضى تكتيل العرب ليقفوا مع الإنكليز والأمريكان ضد خصومهم وليساعدوهم في محنتهم (١) ؛ وضغطت عليها وأخرجتها حيناً رأته تحاول التحرر من القيد البريطاني ورأت العرب يجدون في طريق الحرية والاستقلال غير مبالين بقيود بريطانيا الاستعمارية ولا بالموازرة الفعالة والمعونة الحاسمة التي قدمها الأمريكان والروس إلى الصهيونيين . وكان من أشد الضربات التي وجهتها بريطانيا إلى جامعة الدول العربية تلك الضربة التي كادت تززع من كيان الجامعة حيناً عملت الحكومة البريطانية على التخذييل بين دول الجامعة بمختلف الوسائل واستطاعت أن تزيد الضغط على مصر الأبية الوفية لعهدا وأن تجعل جيشها اللظفر يتلقى هجمات الصهيونيين وحده في المدة الأخيرة من حرب فلسطين بعد أن سمع أصدقاء بريطانيا من الساسة العرب في عمان

(١) راجع هامش ص ١٧٥ من الكتاب ، ومذكرات المستر كوردل هل وزير الخارجية الأمريكية في عهد الرئيس روزفلت التي نشرتها « أخبار اليوم » بالصحيفة رقم ٤ من العدد الصادر بتاريخ ٢٩ يناير ١٩٤٩ م .

وبغداد للدسائس الإنكليزية الباردة ، وبعد أن تورط ساسة بيروت ودمشق عندما ذكروا بحميل انكتراع على البلاد اللبنانية والسورية في مساعدتها على الاستقلال والتحرر من النير الفرنسي ، وعندما لوح الإنكليز والأمريكان لهم بإمكان استفادة البلدين من دولارات مشروع «مارشال» ، وسوريا ولبنان كاتنا ولاشك في حاجة شديدة إلى المعونة المالية . (١)

ومن طرائف السياسة البريطانية في ممارسة الشيء وتقيضه ذلك الذي حدث في أو آخر شهر يناير سنة ١٩٤٩ م ، فبينما كان الاسترييفن وزير خارجية بريطانيا يلقي كلمته في مجلس العموم البريطاني مشيدا بفضل العرب على بريطانيا ومنوها بسابق وفائهم لها ، « وفي الوقت الذي أنحى فيه بالأعنة على اليهود واعتبرهم في أطماعهم خطرا على السلام في الشرق الأوسط ، في هذا الوقت كان مجلس الوزراء البريطاني ، الذي أيدت أغلبيته وزير الخارجية فيما قال . يوافق على الاعتراف بدولة إسرائيل ، ثم يشترك مع وزراء دول الحلف العربي في تدبير اعتراف إجماعي من هذه الدول الخمس . ولعله كان يتوقع أن العرب سيصدمون أو سيزداد سوء ظنهم بريطانيا ، ولهذا وجه إليهم هذا الكلام العسول ليمتدحوه وليخدعوا فيه وفي بريطانيا حتى إذا أعقبة اعتراف هذه البلاد بدولة إسرائيل كان وقعه أقل شدة من وقع لولم يوجه مسترييفن هذا الكلام إلى العرب . إنه تخدير أعصاب لاغير ! وهو ديدن بريطانيا مع العرب ، كلام

(١) راجع ص ٢١٢ — ٢١٤ من الكتاب ، ومقال الدكتور محمود عزمي عن

أسباب انفراد مصر بالقتال المنشور بأخبار اليوم في أول يناير سنة ١٩٤٩ م .

معسول ونكث بالعهود ! . . . ان بريطانيا تتابع سياسة إرضاء التقيضين ،  
ولقد فشلت هذه السياسة ، وهى اليوم أمد فشلا مما كانت فى أى وقت  
مضى . « (١)

وبعد ! فإنه ينبغى لنا أن نسجل أن هذه المحن التى حلت بجامعة الدول  
العربية وهى لا تزال فى دور الطفولة من سنى حياتها ، هذه المحن التى حلت بالجامعة  
بسمى من السياسة الاستعمارية البريطانية وبسبب أخطاء بعض الحكومات  
العربية سوف لاتنضم عرى الوحدة العربية وسوف لاتهدم بناء الجامعة العربية  
وان هزت أركانها وعمده . سوف لايقع هذا بإذن الله لأن إنشاء الجامعة العربية  
كان بعد شعور الأمة العربية جمعا بالحاجة إلى إنشائها ، وبعد إيمان  
الشعوب العربية فى مختلف الأقطار بأنها ضرورة لازمة لحماية مصالح العرب .  
فهى فكرة أوحى بها الشعوب العربية أولا ، ثم جاءت الحكومات العربية  
فنفذتها فى الظروف التى شرحناها ؛ ولن تكون أخطاء بعض هذه الحكومات  
أو بعض رجالات العرب سببا فى هدم هذا البناء الذى طالما تمنى العرب أن يقام  
ويشيد وأن يكون وسيلة لاتحاد العرب ، وسوف لاتقف المطامع الخاصة فى  
سبيل غرض عام تؤمن كل الشعوب العربية إيمانا جازما بلزومه لها ! ولكن  
على الشعوب العربية أن تعالج الأخطاء التى وقعت وأن تحتاط حتى لايقع مثلها  
فى المستقبل .

(١) من « كلمة المصرى » عن اعتراف بريطانيا بإسرائيل المنشورة بالصحيفة رقم ٤

من جريدة المصرى بتاريخ ٣٠ يناير سنة ١٩٤٩ م .

## موقف ابن سعود منه « مشروع سوريا الكبرى » في تطوراتها المختلفة

وقبل أن نتحدث عن موقف صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود من مشروع سوريا الكبرى في مراحلها المختلفة نحب أن نبين أولاً موقف جلالته من المشروع الأساسي الذي بنيت عليه فكرة المشروع الذي نحن بصدده ، مشروع سوريا الكبرى . وهذا المشروع الأساسي هو مشروع الدولة العربية الكبرى الذي فكر فيه وحاول تحقيقه المغفور له الشريف حسين ملك الحجاز السابق ووالد جلالة الملك عبد الله ملك شرق الأردن . فلقد سبق أن بينا كيف حاول الشريف حسين تحقيق هذا المشروع وكيف أراد بناء الإمبراطورية العربية ، فاتصل بالانكليز واتفق معهم وخرج على دولة الخلافة العثمانية وحاربها في صفوف الحلفاء (١) .

ولما أعلن الشريف حسين نفسه ملكاً على العرب في ٢٩ أكتوبر سنة ١٩١٦ م شرع يعامل زعماء الجزيرة العربية وأمراءها - وفيهم ابن سعود - معاملة الذين أصبحوا من أتباعه ورعاياه ، بعد أن صار في نظر نفسه ملكاً للعرب جميعاً ؛ فأرسل في أواخر سنة ١٩١٦ وأوائل سنة ١٩١٧ م إلى أمير الرياض ابن سعود بالهدايا والتحف وثلاث صرر من الذهب الانكليزي الذي وصل إلى الشريف ليستعين به في الثورة على الأتراك . وكان يبلغ مجموع هذه الصرر من الذهب نحو خمسة عشر ألفاً من الجنيهات . أرسل الشريف لابن سعود هذه الهدايا والتحف والأموال على دفعات ، وكما كان يفعل سلاطين آل عثمان مع

(١) راجع ص ١٤١ - ١٤٥ و ص ٢٢٨ - ٢٣٢ من الكتاب .

أتباعهم من الأمراء ، فكان يحىء الرسول بها إلى ابن سعود ويقول : من  
جلالة الملك ! ولا يزيد على ذلك شيئاً . وبعد أن فهم ابن سعود غرض الشريف  
من هذا التصرف وعلم أنه يريد تقرير تبعية البلاد السعودية له بطريقة عملية  
أراد من ناحيته أن يضع الأمور في نصابها وأن يفهم شريف مكة بأسلوب  
صريح واضح أن البلاد السعودية بلاد مستقلة وأن أميرها ابن سعود لا يقبل  
التبعية لشريف مكة بحال من الأحوال ، فأرسل إليه وفداً يحمل بعض الهدايا  
ويحمل خطاباً منه إلى الشريف يطلب تحديد الحدود بين نجد المستقل والحجاز  
« أنزول الشكوك ، وتتضاعف من أهل نجد المساعدات » . وكان وفد ابن سعود  
مؤلفاً من أخيه محمد بن عبد الرحمن آل سعود ، ومن عبد العزيز بن تركي ،  
ومشاري بن جلوي ، ومحمد بن ناصر الفرحان . وعند اجتماع أعضاء الوفد السعودي  
بالملك حسين دار الحديث بينهم وبينه في الشؤون السياسية ، وطلبوا بتحديد  
الحدود نهائياً بين نجد والحجاز ، وبالاعتراف بنجد ومصالحها . ولكن هذا  
العمل لم يرق جلالة الملك الهاشمي الذي يرى لنفسه الحق في أن يكون ملكاً  
للعرب جميعاً ، فأظهر امتعاضه لهذا الطلب الجريء ، ولم يعط الوفد جواباً صريحاً  
وإنما اكتفى بقوله لأعضاء الوفد : قولوا لموفدكم : « كل ما أنت عليه فهو لك »  
ويروي صاحب « تاريخ نجد الحديث » أن الشريف حسيناً أظهر غضبه وامتعاضه  
في كلمات شديدة جارحة ، وهكذا عاد الوفد السعودي إلى نجد دون أن ينال منالا  
من شريف مكة أو يحل معه مشكلة .

أما ابن سعود فإنه بعد أن أفهم الشريف أن نجداً بلد مستقل وأنه لا يقبل  
منه أن يزعم لنفسه أنه ملك للعرب جميعاً أتجه إلى حلفائه الانكليز وكتب

إلى الوكيل البريطاني في البصرة السير برسي كوكس يطلب إليه الاجتماع به في القريب العاجل ، فاجتمعا في العقير ، وكان قد سبق أن اعترف الانكليز باستقلال نجد وتعاهدوا مع ابن سعود على يد السير برسي كوكس نفسه في ديسمبر سنة ١٩١٥ م . (١) وعندما علم الوكيل البريطاني بما حدث قال لابن سعود : « لا تكترث به ، نحن ضامنون استقلالك ، وتعهدهم بالأيعتدي عليك الشريف أو غيره » ثم أُلح عليه أن يعطيه عهدا بالأليكون بينه وبين الشريف محاربة إذ الشريف أيضا قد أصبح حليفا لانكلترا ، فوعده ابن سعود بذلك على شرطين ، أولهما ألا يتدخل الشريف في شئون نجد ، وثانيهما ألا يتكلم باسم العرب وألا يدعوا نفسه ملك العرب ، إذ أنه ملك للحجاز فقط ، تعهد السير برسي كوكس بذلك وتدخلت الحكومة الانكليزية في الأمر ، كما سبق أن ذكرنا ، وأخبرت الشريف حسينا بأنها قد ارتبطت مع أمير نجد بمعاهدة وضمت له استقلاله ، وأنها لا يسعها الاعتراف بالشريف إلا أميرا للحجاز فقط وأن عليه ألا يتدخل في شئون نجد وأن يراعى ما بين نجد وبين انكلترا من ارتباطات . (٢)

وبذلك يكون ابن سعود قد حدد موقفه من مشروع الدولة العربية الكبرى الذي فكر فيه وحاول تحقيقه الشريف حسين ، فلم يقبل أن يتنازل عن استقلاله ويندمج تحت لواء الشريف ، بل تمسك بحقوقه ودافع عنها كما رأينا (٣) .

\*\*\*

(١) راجع ص ١٣٢ - ١٣٣ من الكتاب .

(٢) راجع ص ١٤٤ - ١٤٥ من الكتاب .

(٣) راجع في هذا الموضوع « تاريخ نجد الحديث » ص ٢١١ - ٢١٢ ؛

و « الثورة العربية الكبرى » ج ٣ ، ص ١٣٦ - ١٣٧ ؛ و « قلب جزيرة العرب » ص

٣٧٧ ؛ و Geschichte der islamischen Völker ص ٤٢٨

تغيرت الأحوال بعد ذلك ودالت دولة الشريف حسين في الحجاز واستولى عليها ابن سعود نهائيا في نهاية سنة ١٩٢٥ م وكان الأمير فيصل بن الحسين قد أصبح ملكا على العراق كما أصبح أخوه الأمير عبد الله بن الحسين أميراً لشرق الأردن في سنة ١٩٢١ م . ورأى الملك فيصل ملك العراق أن يسوى علاقاته مع ابن سعود في سنة ١٩٣٠ م ، ثم سعى بمساعدة الإنكليز في تسوية العلاقات بين أخيه الأمير عبد الله أمير شرق الأردن وبين ابن سعود فأعترف كل منهما بالآخر في سنة ١٩٣٣ م .

ولقد تطور مشروع سوريا الكبرى على الوجه الذي ذكرناه حتى أصبح بطله الأمير عبد الله بن الحسين يحاول محاولاته التمهيدية وكتب مذكرة إلى الحكومة البريطانية أثناء الحرب الأخيرة ، وكان ابن سعود في كل هذه المراحل يقظا متنبها للأحداث لا يقبل ولا يرضى بأن تتم هذه المحاولات التي يقوم بها أمير شرق الأردن في سبيل تحقيق مشروع سوريا الكبرى . فابن سعود يعرف أنه إذا تم هذا المشروع فسترتب عليه نتائج خطيرة بالنسبة إليه ، سترتب عليه قيام دولة في شمال المملكة السعودية تكون أكثر عددا وأوفر موردا من هذه المملكة وتخضع للبيت الهاشمي الذي لم يزل أفراده - وعلى رأسهم عبد الله بن الحسين - يذكرون أن الحجاز كان لهم وأنه قد ضاع منهم « ومن يدري ؟ ! » فقد تحاول الدولة الجديدة إذا استقرت أمورها وقويت ودان لها السلطان استرجاع بلاد الحجاز بالقوة بطبيعة الحال . . . . . ولا ريب أن محاولة من هذا القبيل سيقاومها السعوديون ، وبذا يضطرب جبل الأمن والسلام في الشرق

الأوسط . ثم ان انكلترا تحتفظ الآن بعلاقات الصداقة والوودة مع المملكة العربية السعودية ، ولكنها إذ تصبح ذات مركز ممتاز في مملكة سوريا الكبرى الجديدة فإنها تستخدم هذا المركز لإيقاع الضغط على المملكة السعودية . وسيرتب عليه أيضا لو تم إيجاد حاجز قوى بين المملكة السعودية وبين صديقتها مصر (١) . لهذا وغيره من النتائج التي سترتب على تحقيق مشروع سوريا الكبرى عارض ابن سعود المشروع ويعارضه ، وسوف لا يزال يعارضه .

ظلت الحكومة السعودية دائما على حذر متنبه لما يقوم به عبد الله بن الحسين من محاولات ، واتصلت بالحكومة المصرية وعلمت منها أنها لا ترضى عن مثل هذه المحاولات التي ستؤدي حتما إلى التفرقة في صفوف العرب في الوقت الذي تشعر فيه الشعوب العربية جميعها بأنها أشد ما تكون حاجة إلى توحيد الصفوف كذلك اتصلت الحكومة السعودية بحكومات سوريا ولبنان وبأهل الرأي في هذين البلدين وفي فلسطين ، اتصلت بهؤلاء جميعا الذين يهمهم الأمر ويتصل بهم اتصالا مباشرا وعلمت منهم أنهم غير راضين عن مشروع سوريا الكبرى وأنهم جميعا على استعداد للوقوف في سبيله ومؤازرة المملكة السعودية في ذلك . وكان جلالة الملك ابن سعود وأصحاب السمو الأمراء أنجاله يصرحون عند كل مناسبة وازاء كل محاولة يقوم بها جلالة الملك عبد الله برأيهم المعروف ويظهرون عزمهم وتصميمهم .

(١) راجع « مشروع سوريا الكبرى » للدكتور راشد البراوي ، ص ٦٥ - ٦٦ -

ف عندما أعلنت بريطانيا استقلال شرق الأردن في يناير سنة ١٩٤٦ م وعرفت المساعي التي يقوم بها جلالة الملك عبد الله تمهيدا للسير بمشروع سور بالكبرى نحو التحقيق صرح سمو الأمير فيصل آل سعود لبعض الصحفيين الإنكليز برأى الحكومة السعودية في المشروع في أسلوب دبلوماسي طريف - وقد كان سموه في ذلك الوقت بالعاصمة البريطانية - فقال : ان هذه المسألة ليس للأمير عبد الله أن يقترحها وليس لابن سعود أن يعارضها ، فإن السوريين ليسوا بخراف ، وإنه لمن حق الشعب أن يقرر ماذا يريد ومن يقيمه حاكما عليه . وفي اعتقادي أنه ينبغي على الجامعة العربية قبل اتخاذ أية خطوة من هذا القبيل أن تنظم نوعا من الاستفتاء في جميع البلاد التي يهملها الأمر بصفة مباشرة ، ولاسيما شعوب شرق الأردن ولبنان وسوريا وفلسطين لمعرفة ما إذا كانت هذه الشعوب ترغب حقا في إحداث هذا التغيير ! » (١) .

صرح الأمير فيصل بهذا وهو يعرف يقينا أن هذه الشعوب التي يهملها الأمر بصفة مباشرة لا ترغب مطلقا في إحداث هذا التغيير ، بل هي ستقف قطعا في سبيل تحقيقه .

وحينا عاود الملك عبد الله إثارته للموضوع في أغسطس سنة ١٩٤٧ م (٢) كتب جلالاته إلى سمو الأمير سعود ولي العهد للمملكة السعودية يرجوه أن

(١) نشر تصريح الأمير فيصل بجريدة الأهرام ، بالعدد الصادر في ٢٠ يناير سنة ١٩٤٦ م .

(٢) راجع ص ٢٥٠ - ٢٥٢ من الكتاب .

يتوسط له لدى والده جلالة الملك عبد العزيز حتى يعمل جلالاته على توثيق العلاقات بين مملكته وبين شرق الأردن وحتى يرضى عن مشروع سوريا الكبرى . ولكن رد جلالة الملك السعودي كان صريحا في أنه على استعداد تام لتوثيق العلاقات بين البلدين ولتبادل التمثيل السياسي . أما عن مشروع سوريا الكبرى فكان الجواب : لا ! ولما أرسل صاحب الفخامة الرئيس شكري القوتلي رئيس سوريا السابق السيد محسن البرازي رئيس ديوان فخامته إلى الرياض عقب هذه الإثارة للمشروع « وجد السيد البرازي من جلالة الملك عبد العزيز تلميحا قاطعا على موقفه وتمسكا تماما بميثاق الجامعة العربية . بل ان بعض رجال السلك السياسي الأجنبي في جدة قالوا لبعض مواطنيهم : إن الملك عبد العزيز يذهب إلى أبعد من ذلك في معارضته لمشروع سوريا الكبرى ، ويعتبره عملا عدائيا له » .

وفي أثناء الزيارة التي أداها جلالة الملك عبد الله لجلالة الملك عبد العزيز في الرياض أواخر شهر يونية سنة ١٩٤٨ اتفق الملكان على عدم إثارة مشروع سوريا الكبرى من جديد ؛ غير أن جلالة الملك عبد الله لم يشأ أن يعرّض هذا الاتفاق ولم يعدل عن إثارته للمشروع إلا ريثما تسنح الفرصة المناسبة ، فلما سنحت فيما يرى آثاره من جديد بمؤتمر أريحا الذي عقد في أول ديسمبر سنة ١٩٤٨ . وكان هذا العمل في نظر الملك عبد العزيز متضمنا للفكك بعهد سابق بينه وبين ملك شرق الأردن ، وترديدا لتلك النعمة التي لا يرضاه ولا يستسيغها

من جديد ؛ ولذلك بادر جلالتك إلى الموافقة على الرسالة الشفوية التي وجهها ملك مصر السابق إلى ملوك ورؤساء الدول العربية في موضوع مصير فلسطين ومعارضة قرارات أريحا . (١) كذلك كتب الملك عبد العزيز إلى الملك عبد الله في هذا الموضوع آملا العدول عن مقررات أريحا مذكرا لملك الهاشمي بما دار بينهما وبما ارتبطا به من عهود أثناء زيارة الملك عبد الله للرياض . وجاء في الرد الذي ورد لملك مصر السابق من الملك عبد العزيز قول جلالتك . « إنني أؤيدك تأييدا تاما في موقفك . . . . . وعلى عهدي معك ، فإن ماتقبله أنت أقبله أنا ، وما ترفضه أنت أرفضه أنا . وقد كتبت إلى الملك عبد الله أبلغه تأييدي لك ، وأذكره بما دار بيننا في اجتماعنا في الرياض . » (٢)

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فقد نشرت جريدة الفيحاء التي تصدر بدمشق في عددها الصادر في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٤٨ م أن جلالة الملك عبد العزيز آل سعود طالب شرق الأردن ببلدة معان - وهي في نهاية سكة حديد الحجاز - ليستخدمها الحجاج في السفر إلى مكة . وذكرت الجريدة ان موقف الملك عبد الله الأخير من مشكلة فلسطين هو الذي حمل الملك عبد العزيز آل سعود

(١) راجع من ٢٥٥ - ٢٥٦ من الكتاب .

(٢) نشر هذا الرد بمجلة « أخبار اليوم » بالعدد الصادر في ٢٥ ديسمبر

سنة ١٩٤٨ م ، وبجرائد الأهرام والمصرى ، الأعداد الصادر في ١٤ ديسمبر سنة

١٩٤٨ م .

على إثارة هذه المسألة من جديد . ولقد كان للموقف الحازم الذي وقفه دول الجامعة العربية ولما أبداه الملك عبد العزيز من تصميم على الوقوف في سبيل تنفيذ مشروع سوريا الكبرى مهما كان الأمر ومهما بلغ التحايل ، كان لكل هذا أثره الفعال ، فبرأت الحكومة البريطانية من أنها أشارت على الملك عبد الله أو شجعته على اتخاذ ترتيبات أريحا ، كما جعل ذلك الملك عبد الله يتردد ويقف عن تنفيذ مقررات أريحا مؤقتا بعد موافقة مجلس وزرائه وبرلمانه عليها .

### ابن سعود بين انكلترا وأمريكا

لقد كانت الصلة التي عقدها جلالة الملك عبد العزيز آل سعود مع الحكومة الإنكليزية في مستهل حياته السياسية هي أولى صلاته بالعالم الخارجي والحكومات الأجنبية ، وكانت هذه الصلة صلة صداقة من يوم أن نشأت منذ أن استولى جلالة على مقاطعة الاحساء في سنة ١٩١٣ م واتصل بذلك بالعالم الخارجي اتصالا مباشرا عن طريق الخليج الفارسي ، فاستطاع الإنكليز بعد وصول عبد العزيز آل سعود إلى مياه الخليج الفارسي - وهم أصحاب النفوذ فيها - أن يتصلوا به ويدخلوا معه في مفاوضات لتسوية ما بينهم وبينه من علاقات . وقد كانت الأحوال في ذلك الوقت تقتضي أن تسوى العلاقات بين الطرفين على أساس ثابت محدد ، فابن سعود كان في سبيل تكوين دولته ومد نفوذه على كل ما يستطيع الاستيلاء عليه من مقاطعات الجزيرة العربية ، كما كان في صراع جبار

مع خصومه ومنافسيه في الجزيرة من الأتراك وآل رشيد وغيرهم ، فهو لهذا كان يشعر بأنه في حاجة إلى أصدقاء أقوياء أمثال الإنكليز ، والإنكليز من ناحيتهم كانوا يشعرون بأنهم مقبلون على حرب مع ألمانيا وحليفاتها ، كما كانوا يعرفون أن حكومة الخلافة العثمانية صاحبة السيادة الاسمية في هذه المناطق العربية ستكون في صف خصومهم ، فهم لهذا كانوا شديدي الحرص على أن يصادقوا عبد العزيز آل سعود ويضموه إلى صفوفهم ، خصوصا وقد راقبوه في تصرفاته منذ أن ظهر في الميدان وعلّموا أنه من الرجال الأقوياء المحنكين الذين يخشى بأسهم ويعتمد عليهم .

أما نتيجة الاتصال والمفاوضات بين الطرفين فقد انتهت أولا إلى الاتفاق بينهما على أن يقف عبد العزيز آل سعود موقف الحياد المشبع بروح الود نحو الإنكليز في الحرب الكبرى الأولى ، وكانت قد شبت نيرانها ، وثانيا إلى عقد معاهدة القطيف بينه وبينهم في صفر سنة ١٣٣٤ هـ / ديسمبر سنة ١٩١٥ م . وبهذه المعاهدة اعترف الإنكليز بعبد العزيز آل سعود وخلفائه من بعده حكما لنجد والاحساء وتوابعها ، كما تعهدوا بحمايته من كل اعتداء خارجي . (١)

وعلى هذا الأساس سويت العلاقات وحدثت بينه وبين الإنكليز ، فأصبح صديقالهم داخلا في حمايتهم . وهكذا حتمت الأوضاع والملابسات التي كانت

(١) راجع ص ١٢٧ - ١٣٣ من الكتاب .

موجودة في ذلك الوقت على ابن سعود أن يقبل هذا الوضع ، غير أنه قبله مؤقتاً وهو مصمم على تصحيحه في أول فرصة تتاح ، وقد أتاحت الفرصة بعد ذلك فعلاً وأخذ عاهل الجزيرة في المدة الواقعة بين نهاية سنة ١٩١٥ ومبدأ سنة ١٩٢٦ م يتحلل من تبعات الحماية البريطانية رويداً رويداً ويقوى من دعائم سلطانه في دولته الناشئة ويمد نفوذه على مقاطعات جديدة داخل الجزيرة . فلم تأت سنة ١٩٢٦ م حتى كان قد استولى على حائل وعسير والحجاز وأصبح طليقاً في تصرفاته من قيود الحماية البريطانية التي ضربت عليه بمقتضى معاهدة سنة ١٩١٥ م السابقة الذكر ، كما أصبحت هذه المعاهدة ملغاة عملياً .

وعندما تغيرت الأوضاع على هذه الصورة رأّت الحكومة الإنكليزية نفسها مضطرة إلى أن تجدد علاقاتها مع جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها من جديد وعلى أسس جديدة ، فأبرمت معه في مايو سنة ١٩٢٧ بمدينة جدة معاهدة صداقة وحسن تفاهم « رغبة في توطيد العلاقات الودية السائدة بينهما وتوثيقها وتأمين مصالحهما وتقويتها » ، وعرفت هذه المعاهدة بمعاهدة جدة ، وكان أساسها الجديد هو اعتراف الحكومة الإنكليزية بالاستقلال التام المطلق لملك حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد والملحقات ، كما هو المنطوق الصريح للمادة الأولى منها . وفي المادة التاسعة نصّ صراحة كذلك على إلغاء المعاهدة السابقة التي عقدت في سنة ١٩١٥ م والتي ضربت بمقتضاها الحماية الملغاة . (١)

استطاع ابن سعود بقوته وحكمته وحسن تصرفه أن يكتسب ثقة الإنكليز واحترامهم كما اكتسب صداقتهم ، وكثيرا ما جاملهم وأثبت لهم في مختلف الظروف ، في الشدة والرخاء ، أنه الصديق الوفي ؛ ولكنه كان الحريص دائما على أن يكون صاحب السلطان المطلق في بلاده وعلى ألا يُجرَح استقلاله بالحكم في مملكته من الإنكليز أو غيرهم ، خصوصا بعد أن اعترف الإنكليز في اتفاقية جدة بالاستقلال التام المطلق لممتلكات جلالة . ولحذر جلالة اليقظ وحرصه على الاحتفاظ بهذا الاستقلال أراد أن يبرهن عمليا على أن بلاده حرة في تصرفاتها غير ملزمة مثلا بتفضيل الشركات البريطانية على غيرها ومراعاة الجانب البريطاني دائما وفي كل حال ، ولهذا رأيناه يفضل جانب شركات البترول الأمريكية على غيرها من الشركات الإنكليزية ويعطيها امتياز البحث عن زيت البترول وحق استنباذه واستثماره في المناطق الشرقية من بلاده في سنة ١٩٣٣ م . أعطى جلالة الملك ابن سعود هذا الحق للشركات الأمريكية وحرّم منه الشركات الإنكليزية الصديقة حتى لاتستأثر هذه بكل المعاملات مع المملكة العربية السعودية فيكون ذلك بمثابة الاعتراف العملي بالتبعية من جانب المملكة السعودية وبالنفوذ الطاغى صاحب الحق المكتسب من الجانب البريطاني ؛ لاسيما وقد كانت هناك عوامل أخرى تبرر هذا المسلك الذي سلكه جلالة ، فالعطاء الذي تقدمت به الشركات الأمريكية كان أفضل بكثير مما يمكن أن تقدم به زميلاتها الإنكليزية ، وحكومة الولايات المتحدة كان المعروف عنها في ذلك الوقت أنها تعضد استقلال الشعوب وتؤازر الحريات وأنها ليس لها

من المآرب الاستعمارية مثل مالبريطانيا في الشرق . تصرف جلالة هذا  
التصرف إذا حفظاً للتوازن بين القوى ، وعملاً للاحتفاظ باستقلال بلاده ،  
واختياراً للجانب الأكثر نفعاً .

ومن هذا الوقت الذي تم فيه التعاقد بين شركات البترول الأمريكية وبين  
جلالة الملك عبد العزيز آل سعود أخذ الأمريكيان يشعرون جدياً بأن لهم مصالح  
في بلاد المملكة العربية السعودية ، كما أخذت الصداقة بين هذه المملكة وبين  
حكومة الولايات المتحدة تنمو وتقوى ، فبعد توقيع اتفاقية البترول بأشهر  
وفي نفس السنة عقدت اتفاقية بين الحكومتين بخصوص التمثيل السياسي  
والفصلى والصيانة القضائية والتجارية والملاحة . وبذلك برز منافس قوى  
للإنكليز في الميدان ، ووجد ملك المملكة العربية السعودية المجال واسعاً  
ليتصرف تصرف الأحرار المستقلين ويتفادى الضغط الإنكليزي إذا حدث .

ولكن مع هذا حرص جلالة على الاحتفاظ بعلاقات الصداقة مع الإنكليز  
كما حرص هؤلاء من ناحيتهم على مثل هذا ، فمعاهدة الصداقة وحسن التفاهم  
التي عقدت بين الطرفين بحجة لانزال قائمة وجدت عدة مرات كما سنفصل  
ذلك ، والمعاملات التجارية والاقتصادية جارية بين الدولتين كما كانت ، مع  
ملاحظة أن فرصة الاختيار أصبحت طبعاً أوسع أمام الدولة السعودية بعد  
صلاحتها الجديدة بالأمريكان . كذلك لم ير جلالة الملك عبد العزيز بعد ذلك بأساً  
من أن يمنع بعض الشركات الإنكليزية للتعدين أو للبحث عن البترول واستنباطه  
حق الإمتياز في بعض مناطق الدولة ، ففي ديسمبر سنة ١٩٣٤ م أعطت حكومة

جلالته حق الامتياز لشركة التعدين الإنكليزية المسماة « نقابة التعدين العربية السعودية المحدودة » ولقد نجحت هذه الشركة في استخراج الذهب ولا تزال توالى عملها إلى الآن ، وفي يولييه سنة ١٩٣٦ م أعطت الحكومة السعودية شركة إنكليزية أخرى تسمى « شركة امتيازات النفط المحدودة » حق البحث عن البترول واستنباطه في كامل المنطقة العربية الساحلية للمملكة العربية السعودية ، غير أن تلك الشركة الأخيرة لم تنجح في مهمتها بما سببته بعد .

وهكذا استطاع جلالة الملك ابن سعود أن يحافظ على استقلاله التام المطلق وأن يحافظ في نفس الوقت على علاقاته الطيبة بأصدقائه الإنكليز . أما الإنكليز فقد فهموا هذا التصرف من جلالته وقبلوه على الرغم من أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم أصحاب المصالح الكبرى والنفوذ الأول في هذه المناطق التي تشمل بلاد المملكة العربية السعودية ؛ وذلك لما رأوه من حرص جلالة الملك السعودي على التمسك باستقلاله والمحافظة عليه بكل ما يستطيع ، ولما بينهم وبين الأمريكان من المصالح المشتركة الهامة والعلاقات الطيبة التقليدية التي يحرص عليها الطرفان مراعاة للمصالح المشتركة وبحكم الظروف والحوادث .

واستمرت العلاقات بين المملكة العربية السعودية وبين إنكلترا في طريقها من الصداقة وحسن التفاهم ، فكان موقف الملك ابن سعود في الحرب الكبرى الثانية ، مثل ما كان في الحرب الكبرى الأولى ، موقف الصديق

من إنكلترا . ورأينا جلالته كذلك يستعين ببعثة عسكرية إنكليزية في تدريب الجيش السعودي وتنظيمه ، ولا تزال هذه البعثة إلى الآن في البلاد السعودية تؤدي عملها ، مع العلم بأن استقدام هذه البعثة كان بمحض الاختيار الحر والتصرف المستقل الذي تقتضيه المصلحة ، وليس فيه شيء من شوائب الإلزام .

والحكومة الإنكليزية من جانبها حرصت على إرضاء الشعور بالكرامة الوطنية والمحافظة على الاستقلال من ناحية الحكومة السعودية ، فقد حدث أثناء الحرب الكبرى الثانية ان طلب المستر جوردون الوزير البريطاني المفوض في جدة الاطلاع على الميزانية السعودية بعد اعدادها ، وكاد هذا الطلب الجريء يحدث أزمة بين الحكومتين السعودية والبريطانية ، غير أن هذه الأخيرة سارعت إلى تفادي وقوع الأزمة بنقل وزيرها المفوض إلى مركز آخر وبتعيين مستر جرافتي سميث الذي كان مساعدا للمستشار الشرقي في السفارة البريطانية بالقاهرة خلفا له . وكما أن الحكومة الإنكليزية هي أول حكومة أجنبية ارتبطت مع الحكومة السعودية بمعاهدات الصداقة وحسن التفاهم في سنتي ١٩١٥ و ١٩٢٧ م ، وأول حكومة أجنبية رفعت تمثيلها السياسي في جدة من قنصلية أو معتمدية إلى مفوضية في ديسمبر سنة ١٩٢٩ م ، فهي كذلك أول حكومة أجنبية رفعت تمثيلها السياسي لدى الحكومة السعودية إلى سفارة في أوائل سنة ١٩٤٨ م ؛ فمن ذلك الحين أصبح التمثيل السياسي بين المملكة العربية السعودية وإنكلترا في جدة وفي لندن يأخذ أرفع صورته وأسمى درجاته ، وهي درجة السفارة المتبادلة .

وهناك أمر آخر يدلنا على مقدار توثق الصلات وتوطيد العلاقات بين البلدين ، وذلك أن المادة الثامنة من معاهدة جدة البرمة بين الطرفين في مايو سنة ١٩٢٧ م حددت مدة العمل بالمعاهدة بسبع سنوات شمسية قابلة للتجديد ، ونصت على أنه « إن لم يعلن أحد الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر قبل انتهاء السنوات السبع ب ستة أشهر أنه يريد إبطال المعاهدة تبقى نافذة ولا تعتبر باطلة إلا بعد مضي ستة أشهر من اليوم الذي يعلن فيه أحد الفريقين إبطالها للفريق الآخر » . فكان المفهوم إذاً أن هذه المعاهدة إذا لم تجدد سبع سنوات أخرى بعد انتهاء مدتها فلكل من الطرفين أن يعلن إلغاءها متى شاء وتصبح باطلة بعد هذا الإعلان ب ستة أشهر ، وبعد أن جددت في أكتوبر سنة ١٩٣٦ م سبع سنوات وفي أكتوبر سنة ١٩٤٣ م مرة ثانية رأّت الحكومتان أن تجعلا تجديدها في المستقبل آليا من تلقاء نفسه بدون حاجة إلى تعاقد جديد واتفقتا في ٣ أكتوبر سنة ١٩٤٣ م على أن تكون المعاهدة نافذة المفعول من هذا التاريخ « سبع سنوات شمسية على التوالي ، وإذا لم يعلن أحد الفريقين الساميين المتعاقدين الفريق الآخر قبل انتهاء أى سابع من السنوات الشمسية المقبلة ب ستة أشهر رغبته في تعديلها أو إلغائها فإنها تتجدد بطبيعتها سبع سنوات شمسية أخرى وهكذا » . (١) والسبب في هذا التعديل هو ما صرحت به

(١) راجع البلاغ الرسمي رقم ٧٩ الذي أذاعته الحكومة السعودية ، والسكيب المتبادلة بين وزير الخارجية السعودية بالنيابة وبين الوزير البريطاني المفوض في جدة بتاريخ ٣ أكتوبر سنة ١٩٤٣ م ، وتجد هذا كله بملحق الوثائق .

الحكومتان في الكتب المتبادلة بينهما من رغبتهما « في وضع علاقاتهما على قواعد أشد ثبوتاً » ، وهذا ماتم فعلاً نتيجة للتعديل السابق الذكر كما ترى .

وفي أواخر سنة ١٩٤٧ وأوائل سنة ١٩٤٨ م جرت مباحثات في جدة وفي الرياض بين السلطات السعودية وبين الوزير البريطاني المفوض لديها ، وشاع في الأوساط السياسية إذ ذاك أن هذه المباحثات مقدمات لعقد محالفة عسكرية بين الحكومتين السعودية والبريطانية وأن صاحب السمو الملكي الأمير فيصل سيسافر إلى لندن لإتمام المباحثات وإبرام المحالفة ؛ وعلى الرغم من تكذيب السلطات السعودية لخبر المحالفة العسكرية وتفسيرها للمباحثات التي جرت بأنها إنما كانت من نوع المباحثات التي سبق أن جرت بين الجانبين منذ بدء الحرب العالمية الأخيرة وفي شئون تتعلق بما أحدثته هذه الحرب من أثر شديد في معظم نواحي الحياة في البلاد السعودية وبخاصة في الناحية الاقتصادية منها ، على الرغم من هذا فقد ذكر مكتب الأهرام بلندن في آخر مايو سنة ١٩٤٨ أنه « علم » أن مشروع المعاهدة فُكِّر فيه فعلاً وأنه « أرجىء البحث فيه إثر فشل معاهدة بورتسموث العراقية البريطانية » .

وهناك مسألة لا تزال معلقة لم يبت بشأنها بعد بين الحكومتين السعودية والبريطانية ، وهي المسألة التي تتعلق بتبعية منطقة العقبة ومعان على الحدود بين الحجاز وشرق الأردن . حينما دخل ابن سعود بلاد الحجاز واستولى عليها كانت منطقة العقبة هذه تعتبر بلاداً حجازية ، وبعد أن تنازل المغفور له الشريف

حسين عن العرش في أكتوبر سنة ١٩٢٤ م لجأ إلى العقبة ونزل بها ، ولكن الجيوش السعودية هاجمت هذه المدينة في يولييه سنة ١٩٢٥ فاضطر الشريف إلى الرحيل عنها إلى قبرص ، وتدخلت انكلترا بوصفها الدولة المنتدبة على فلسطين فاحتلت العقبة ومعان بجيوشها ، ثم ضمت هذه المنطقة في الإدارة والحكم إلى إمارة شرق الأردن التي كانت قد أنشأتها في سنة ١٩٢١ م وأسندت حكمها إلى سمو الأمير عبد الله بن الحسين ( صاحب الجلالة ملك المملكة الأردنية الهاشمية أخيرا ) . وقد فعلت انكلترا هذا احتفاظا بمنطقة العقبة الهامة لنفسها ، ونحن نعرف الآن مقدار الأهمية للعقبة في نظر الإنكليز بعد عودة الجيوش الإنكليزية لاحتلال هذا الميناء وبعد هذا الصراع السياسي الذي كان يخشى أن يصير حربيا والذي جرى بين الإنكليز وبين الصهيونيين في فلسطين من أجل ميناء العقبة ؛ الإنكليز يتصرفون باسم الملك عبد الله بن الحسين وقد ارتبط معهم بمعاهدة تعطيهم حق حماية أملاكه ، والصهيونيون يريدون الاستيلاء على هذا الميناء الهام الواقع على مياه البحر الأحمر وجعله ميناء لدولتهم .

فجلالة الملك عبد الله يرى إذاً أن منطقة العقبة ومعان من أملاك دولته الداخلة في حماية الإنكليز ، والإنكليز من ناحيتهم يرون طبعاً هذا الرأي ويعملون بمقتضاه . أما جلالة الملك ابن سعود فهو يرى غير هذا الرأي ، يرى أنه حينما استولى على الحجاز واتفق في ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٥ م مع الملك علي ابن الحسين ملك الحجاز المخلوع على أن كل أملاك الدولة الحجازية آلت إليه ،

يرى أنه حين ذلك دخلت هذه المنطقة أيضا في أملاكه لأنه أصبح صاحب الحق الشرعى فى امتلاك كل جزء من أجزاء الدولة الحجازية الهاشمية التى سقطت فى يده . وعلى هذا الأساس رفض جلاله الملك عبد العزيز آل سعود مطالب الإنكليز حينما طلبوا إلى جلالته عند إبرام معاهدة جدة فى سنة ١٩٢٧ م أن يعترف بضم منطقة العقبة ومعان إلى إمارة شرق الأردن ، ولكنه نظرا إلى اصرار الإنكليز على مطلبهم وإلى أنه يريد أن يحتفظ بصداقتهم رأى أنه لا مانع لديه من ترك هذه المسألة معلقة لتسوى فيما بعد عندما تحين الظروف المناسبة مع تمسكه بعدم الاعتراف بضم المنطقة إلى شرق الأردن . وكتب جلالته بتاريخ ١٨ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ هـ / ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ م إلى السير جلبرت كليتون المندوب المفوض لصاحب الجلالة البريطانية فى هذا الشأن الكتاب الآتى :

« جوابا على كتاب نخامتكم المؤرخ فى ١٧ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ هـ المختص بمسألة الحدود بين الحجاز وشرق الأردن قد أخذنا علما بأن حكومة صاحب الجلالة البريطانية مصرة على موقفها ، ولكن نرى أن تسوية هذه المسألة بصورة نهائية أمر متعذر فى الظروف الحاضرة . ومع ذلك نظرا لرغبتنا الصادقة فى المحافظة على العلاقات الودية المؤسسة على صلات الصداقة المتينة رأينا أن نعرب لنخامتكم عن استعدادنا لإبقاء الحالة الحاضرة على ما هى عليه فى منطقة « معان والعقبة » ، مع الوعد بالأتدأخل فى إدارتها إلى أن تحين الظروف المناسبة لتسوية.

هذه المسألة تسوية نهائية » (١).

إذا فهذه المسألة لاتزال معلقة إلى الآن ولم تسو بعد بين الحكومتين السعودية والبريطانية ، ولا بين الحكومة السعودية والحكومة الأردنية الهاشمية ، ولهذا تحدثت الصحف اليومية العربية عن إثارة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود لهذا الموضوع ومطالبته بالعقبة ومعان عقب مؤتمر أريحا الذي كان انعقاده إثارة لمشروع سوريا الكبرى من جانب جلالة الملك عبد الله بعد أن تعهد جلالاته لجلالة الملك السعودي عند زيارته له في الرياض بالألا بشر مشروع سوريا الكبرى من جديد. (٢)

\*\*\*

وفي ٤ مايو سنة ١٩٣١ م أنشئت العلاقات السياسية الرسمية لأول مرة بين الحكومة السعودية من جهة وبين حكومة الولايات المتحدة الأمريكية من جهة أخرى (٣) ، وظلت هذه العلاقات التي جرت بين الحكومتين علاقات عادية لغاية سنة ١٩٣٣ م ، ثم بدأت العلاقات تتطور بين أمريكا وبين المملكة العربية السعودية بعد أن حصلت إحدى الشركات الأمريكية وهي شركة استاندرد اويل بكلفورنيا في مايو سنة ١٩٣٣ م على امتياز البترول في المناطق الشرقية للملكة العربية السعودية . فمن ذلك الحين انجبت أمريكا إلى تقوية

(١) راجع ص ٤١ من « مجموعة المعاهدات » للدولة السعودية ، الطبعة الثانية

بمكة سنة ١٣٦٣ هـ .

(٢) راجع ص ٢٧٣ - ٢٧٤ من الكتاب .

(٣) راجع ص ١٢٦ من كتاب « البلاد العربية السعودية » .

روابط الصداقة بينها وبين البلاد السعودية وأصبحت ترى نفسها صاحبة مصالح هامة في هذه البلاد ، وفي هذه السنة نفسها التي حصلت فيها الشركة الأمريكية على امتياز البترول رأت الحكومتان السعودية والأمريكية أن تطور العلاقات بينهما يقتضى تنظيم الصلات السياسية والمعاملات الاقتصادية والتجارية تنظما يتناسب مع الأحوال الطارئة ، فعقدتا اتفاقية بخصوص التمثيل السياسى والقنصلى والصيانة القضائية والتجارة والملاحة . ووقعت هذه الاتفاقية في لندن بتاريخ ٧ نوفمبر سنة ١٩٣٣ م ، وقعها بالنيابة عن الحكومتين الشيخ حافظ وهبة وزير المملكة العربية السعودية بلندن والأونارابل روبرت ورث بنجهام السفير المفوض فوق العادة للولايات المتحدة الأمريكية بلندن بعد محادثات جرت بينهما . (١)

وفي أوائل سنة ١٩٣٨ م أثبتت عمليات استخراج البترول في مناطق الامتياز الأمريكية بالبلاد العربية السعودية أن هذه المناطق من أغنى مناطق البترول في العالم وأن كميات الإنتاج البترولية فيها سوف تفوق مثيلاتها في البلاد الأخرى بمقادير كبيرة ، وبذلك ازداد اهتمام الأمريكان بتحسين علاقاتهم وتقوية روابط الصداقة بينهم وبين صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود . وهكذا طردت العلاقات الطيبة بين الجانبين في سبيل التحسن ، وأصبحت أمريكا صاحبة انصالح الاقتصادية الهامة والموارد البترولية الوفيرة في البلاد العربية السعودية منافسا قويا لبريطانيا في الشرق الأوسط وبخاصة في البلاد

(١) راجع نص المعاهدة بملحق الوثائق .

العربية السعودية كما سبق أن ذكرنا . فلما وقعت بعد ذلك بقليل الحرب الكبرى الثانية وآزت أمريكا وبريطانيا ثم دخلت الحرب إلى صفها كانت علاقة الحكومة السعودية بالدولتين علاقة الصداقة المتينة ، وكان موقف جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود من أمريكا وبريطانيا في الحرب العالمية الثانية مثل موقفه في الحرب العالمية الأولى ، فهو وإن كان على الحياد ولم يشترك في الحرب إلا أنه كان لهما في الحالتين الصديق المؤازر .

وبعد وقوع الحرب واشتداد الحاجة إلى زيت البترول بجميع مشتقاته ازداد شعور الأمريكيان أكثر مما كان بأهمية ما لهم من منشآت بترولية في البلاد العربية السعودية ، خصوصا بعد مضي السنوات الأولى من الحرب وبعد تبين حكومة الولايات المتحدة الأمريكية أن زيت البترول المستخرج من أمريكا سوف لا يفي بحاجتها في الاستهلاك المحلي والاستهلاك الحربى الضرورى المتزايد فى مختلف الميادين الحربية . فابتدأت الحكومة الأمريكية من سنة ١٩٤٢ م تمد شركة البترول فى البلاد العربية السعودية بما تحتاجه من أموال ومهمات لتستأنف الأعمال - وكانت قد توقفت فى مبدأ الحرب - ولتوسع فيها حتى تستخرج أكبر كمية يمكن استخراجها من زيت البترول لإسعاف الأداة الحربية وضمان مدها بما تحتاج إليه من الوقود . وفعلا لم تأت سنة ١٩٤٤ م حتى كانت كميات البترول المستخرج من البلاد العربية السعودية تفوق كل ما كان مقدر لها ، فسدت كل حاجات الحرب فى ميدان المحيط الهادى .

وفوق هذا فقد بدا للأمريكان واضحا أن كميات البترول التى تستخرج

من بلادهم أخذت تتناقص لعوامل طبيعية وجيولوجية ولأسباب أخرى اجتماعية ترجع إلى حالة الفوضى والإضرابات التي كثيراً ما يقوم بها العمال . ولقد كان من نتائج التوسع الاقتصادي والتجاري الأمريكي ، ومن نتائج دخول أمريكا في الحرب وشعورها بأنها هي المون لمعسكر الحلفاء والموجه لسياستهم الدولية ، ثم سيطرتها رويداً رويداً على مصائر العالم ، كان من نتائج هذا كله أن خرجت أمريكا عن عزلتها إلى حد كبير بحيث لم يعد في إمكانها حل مشكلاتها الاقتصادية داخل حدودها ، وبحيث أنها أصبحت ترى أهمية البترول العربي السعودي بحسبة أمام ناظرها . إذاً فالمحافظة على العلاقات الطيبة بالملكة العربية السعودية واجبة ، وتقوية الصداقة وحسن التفاهم مع جلالة الملك ابن سعود أمر لازم .

وعلى هذا الأساس وبهذه الروح تمت المقابلة التاريخية التي حصلت في أخريات الحرب السابقة بين جلالة الملك السعودي وبين الرئيس روزفانت الرئيس السابق للولايات المتحدة الأمريكية . ففي صباح يوم الخميس الموافق ٢ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ هـ / ١٥ فبراير سنة ١٩٤٥ م كانت المدمرة الأمريكية التي أرسلها الرئيس روزفانت إلى المياه الحجازية لتقل صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود قد دخلت مياه البحيرات المرة ، إحدى بحيرات قناة السويس بأرض مصر ، حيث كان ينتظر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية على ظهر الطراد الأمريكية « كونيروي » . أبحر جلالة الملك من بلاده ولم يعلم بالأمر أحد سوى ولي عهده سمو الأمير سعود وسوى نائبه في الحجاز ووزير خارجيته سمو الأمير فيصل ، حتى ان حاشية جلالتة التي أبحرت معه والتي كان يبلغ عدد رجالها ثمانية وأربعين رجلاً

ما كانت تعلم شيئاً عن الرحلة ولا عن الاتجاه ولا عن الغرض ، ولم تخبر بشيء من ذلك إلا بعد أن اختفت اليأسمة عن الأنظار وكانت ظروف الحرب تقتضى طبعاً المبالغة في التكمم للاحتياط والمحافظة على سلامة جلالة الملك . وكان ضمن رجال الحاشية الكثيرون من رجالات الدولة السعودية مثل أصحاب السمو الأمراء شقيق جلالة الملك الأمير عبدالله ، وابن الملك الأمير محمد أمير المدينة والأمير منصور وزير الدفاع ومثل الشيخ عبدالله السليمان وزير المالية والشيخ حافظ وهبه وزير المملكة السعودية المفوض في لندن ( وهو برتبة سفير الآن ) والشيخ يوسف ياسين نائب وزير الخارجية والأستاذ عبدالله بلخير مترجم جلالاته وبعض أركان حربه . وكذلك كان في رفقة جلالاته الكولونيل ولیم إدى وزير الولايات المتحدة المفوض في المملكة العربية السعودية ، وهو الذى تولى الترجمة الرسمية فى الاجتماع الذى عقد بين جلالة الملك ونخامة الرئيس . واستقبل نخامته جلالة الملك العربى على ظهر الطائرة أحر استقبال ورحب به أجمل ترحيب وأبدى بالغ الإعجاب بشخصيته قائلاً له :  
كم كنت أود أن أجمع بك قبل هذا !

وبعد أن تناول الملك ابن سعود طعام الغداء على مائدة الرئيس روزفلت بدأت المحادثات بينهما فى جو يسوده الود والتقدير من الجانبين ، ولقد عُرف أن المحادثات لم تقتصر على استعراض مابين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأمريكية من المصالح المشتركة والمنافع المتبادلة ، ولا على ما بينهما من الروابط والصلات الودية التى أصبح كل من الطرفين يحرص على تقويتها

وتتميتها ؛ بل شملت هذه المحادثات شئنا أخرى هامة إقليمية وعالمية، خصوصا ما يتعلق منها بقضية فلسطين والقضايا العربية على وجه العموم. ولقد أشار لذلك جلالة الملك آل سعود أثناء زيارته لمصر - بعد اجتماعه مع الرئيس روزفالت بسنة تقريبا - في حديثه مع الوفد المكون من أبناء سوريا ، والذي تشرف بالثول بين يدي جلالته ، حيث يقول موجها الخطاب إلى أعضاء الوفد السوري : « ولقد قابلت روزفالت فتكلمت معه بشأن سوريا ولبنان وفلسطين ، ولم أتكلم معه بشأن بلادى خاصة لأننى أعدت نفسى عاملا لرفعة شأن بلاد العرب كلها » . وكان الرئيس روزفالت حريصا على أن يتناول الحديث كل الشؤون التى تهتم الدولتين ، فهو يرى أنه « يجب أن تتاح لرؤساء العالم فرصة تبادل الآراء لكي يزداد تفاهمهم وتقدير كل منهم لمشاكل الآخر » (١)

أما الملك عبد العزيز فقد كان فى حديثه كعادته عربيا بطبعه يحافظ على الوعد الذى يعطيه ويثق بالوعد الذى يعطى له من المسؤولين ، فقد قال للرئيس أثناء الحديث : « لا أريد كتابات بل أريد أن تُعطى الكلمة من عبد العزيز لروزفالت ومن روزفالت لعبد العزيز » (٢) وفيما يتعلق بقضية فلسطين فقد أظهر الملك العربى للرئيس الأمريكى اهتمامه البالغ بها وشرح له وجهة النظر العربية ودلل على صحتها بما أظهر معه الرئيس روزفالت أنه قد اقتنع بصدقها وبما جعله يصرح بأن الأمر يحتاج إلى إعادة النظر فى القضية الفلسطينية من جديد

(١) هذا تصريح للرئيس أثناء مقابلته للملك عبد العزيز . راجع ص ٦٧١ ، ج ٣ من كتاب « صقر الجزيرة » .

(٢) راجع نفس الصحيفة من المرجع السابق .

على ضوء ما فهمه من جلالة الملك . (١)

ولكن روزفانت لم يلبث أن توفي فجأة ، خلفه في الرياسة ترومان الذي تبني الصهيونيين وشجعهم على المضي في طريق الاعتداء على حقوق العرب ومكثهم من إنشاء دولتهم ، غير مكترث بما أعطاه سلفه للعرب في شخص جلالة الملك عبد العزيز من وعود ، ولا بما سترتب على مسلكه هذا من أثر سيء في نفوس العرب . ولقد تأثرت العلاقات بين المملكة العربية السعودية وبين الولايات المتحدة الأمريكية ، وفترة الصداقة بينهما رويدا رويدا بعد الموقف الذي وقفه الرئيس ترومان ، وبعد المجهود الضائع الذي بذله الملك عبد العزيز آل سعود والانصالات التي قام بها مع حكومة الولايات المتحدة بشأن القضية الفايستينية على الوجه الذي شرحناه سابقا . (٢)

ثم تطورت الأمور في فلسطين وعقدت الهدنة بين مصر وبين اليهود على يد وسيط هيئة الأمم المتحدة الدكتور بانث الأمريكي الجنسية وبمسعى أمريكا ومساعدتها ؛ كما تطورت الأحداث الدولية وازدادت الجفوة بين روسيا وأمريكا إلى الحد الذي جعل أمريكا تخشى وقوع حرب جديدة ، وجعلها تستعد لملاقاة الأخطار التي أخذت نذرها تفرع الأسماع . كل هذه التطورات جعلت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية تراجع نفسها وتعمل من جديد على توطيد مركزها في الشرق الأوسط وعلى استرضاء الشعوب العربية ، كما جعلتها تعنى عناية خاصة

(١) راجع ص ٢٠٣ من الكتاب .

(٢) راجع ص ٢٠٤ — ٢٠٨ من الكتاب .

بالعمل على التخفيف من شدة وطأة الفتور الذي أصاب العلاقات الأمريكية السعودية بسبب تأييد أمريكا لليهود ومساعدتها لهم ضد العرب . ولقد وردت الأنباء في أوائل مارس سنة ١٩٤٩م من واشنطن ومن نيويورك ، وهي تفيد أن الجهود التي بذل في هذا السبيل قد كلل بالنجاح ، وأن المحادثات التي دارت بين الشيخ أسعد الفقيه سفير المملكة العربية السعودية في واشنطن وبين وزارة الخارجية الأمريكية بشأن تجديد الاتفاقية الخاصة بمطار الظهران قد قاربت من نهايتها المرجوة . ومطار الظهران هذا يقع في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية على الخليج الفارسي ، وهو من المنشآت الأمريكية الهامة الواقعة في نطاق شركة البترول الأمريكية بالبلاد العربية السعودية ، وفوق أهميته التجارية فهو يعتبر من ناحية الاستعدادات الضخمة الموجودة به ومن ناحية موقعه الاستراتيجي وصلاحيته للاستعمال الحربي أهم بكثير من القاعدة البريطانية الجوية في الحبانية بالعراق . وهو معد لأن تنزل به الطائرات الأمريكية من نوع قاذفات القنابل الضخمة والمعروفة بالقلاع الجبارة لتزود بالوقود من مخازن شركة البترول الأمريكية ، ولتحمي منشآتها هناك ؛ ثم لتثب عند اللزوم على المناطق الصناعية والبتروولية الهامة في جنوب روسيا ، إذا ما وقعت الحرب ، حيث إن قاعدة الظهران قريبة من تلك المناطق . وكانت الحكومة الأمريكية قد عقدت اتفاقية مع صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود في منتصف شهر مارس سنة ١٩٤٦م لمدة ثلاث سنوات تنتهي في منتصف مارس سنة ١٩٤٩م ، وعقضى هذه الاتفاقية أعطى الحق للأمریکان في إدارة مطار الظهران أثناء

تلك المدة على أن يسلموه في نهايتها للحكومة السعودية لتديره بواسطة الشبان العرب السعوديين الذين درّبهم الأمريكان وأعدوهم لهذا الغرض ، ولكن التطورات التي ذكرناها جعلت الحكومة الأمريكية تسعى للحصول على مد الاتفاقية سنة أخرى . وعلى الرغم من نطاق السرية الذي ضربته حكومة الولايات المتحدة الأمريكية حول المفاوضات التي جرت بينها وبين سفير المملكة العربية السعودية لديها في هذا الشأن ، فقد وردت - كما قلنا - الأنباء التي تفيد أن المفاوضات قد كللت بالنجاح ، وأن تجديد الاتفاقية سوف يعلن رسمياً في القريب . وهكذا تكون الحوادث الدولية الجارية ، وحرص أمريكا على حماية مصالحها البترولية في المملكة العربية السعودية قد قربا بين الدولتين من جديد ، وجعلاً أمريكا تسعى جهدها في تفضية الجو والقضاء على ما طرأ على العلاقات بينهما من فتور .

### بترول المملكة العربية السعودية

ان بترول المملكة العربية السعودية أصبح جميعه في حوزة الأمريكان ، حتى بترول المناطق الغربية الواقعة على ساحل البحر الأحمر ، الذي أُعطى امتياز البحث عنه واستخراجه في سنة ١٩٣٦ م إلى شركة انكليزية ، انتقل امتيازها في يولييه سنة ١٩٤٢ م إلى الأمريكان أيضا بعد أن أخفقت الشركة الانكليزية في بحثها وبعد أن سقطت حقوقها . (١) فشركة أرامكو «ARAMCO» الأمريكية هي صاحبة امتياز البترول السعودي الآن في شرق المملكة وغربها ،

(١) راجع ص ١٠٣ من كتاب « حرب البترول في الشرق الأوسط » .

وإن كان استخراج البترول بالفعل لم يجر لغاية الآن إلا في المناطق الشرقية الواقعة على الخليج الفارسي فقط . وفي الوقت الذي حصلت فيه الشركات الأمريكية على امتياز البترول في المملكة العربية السعودية في سنة ١٩٣٣ م كانت أمريكا فيه بعيدة عن المطامع الاستعمارية وكانت تشجع حريات الشعوب ، كما كانت الحكومة السعودية ترى نفسها في حاجة ملحة إلى المال وانها لا بد لها من استخراج كنوزها واستغلالها حتى تحصل على المال اللازم للقيام بالمشروعات الإصلاحية الضرورية المتعددة النواحي ، مثل نشر العلم وفتح المدارس وحفر الآبار واستنباط المياه وفلاحة الأرض وزرعها ومد السكك الحديدية وبناء الموانئ والإنفاق على الجيش وغير ذلك من الأمور الكثيرة اللازمة للبلاد العربية السعودية حتى ترقى وتنهض وتسير العصر . وإننا نعتقد ان كل هذه الأمور كان لها اعتبارها عند جلالة الملك عبد العزيز آل سعود حينما أعطى امتياز البترول لشركة أجنبية ، وحينما فضل الأمريكان على الإنكليز ، خصوصا وهو يعرف انه ليس هناك شركات عربية تستطيع القيام بمثل هذا العمل الضخم الذي يحتاج إلى الكثير من المال والخبرة الفنية ، ويعرف مع هذا ان بلاده فقيرة ليس لها من الموارد المالية ما يسد النفقات المطلوبة ويعنيه عن إعطاء امتياز البترول في بلاده لشركات أجنبية .

وفما يلي سنورد كلمة عن بترول المملكة العربية السعودية ، تبين لنا كيف حصلت الشركة الأمريكية الأولى على عقد الامتياز ، وما هي الشركات الأخرى التي انضمت إليها بالتدرج ؛ وتوضح التطورات التي مرت بها عمليات استكشاف

البتروك واستخراجه وتكريره ومد أناييه ، معتمدين في ذلك على المصادر الوثيقة المختصة . (١) .

### الحصول على عفر الامتياز وتطوراتها

ان اكتشاف البترول في جزيرة البحرين عام ١٩٣٢ م جعل موظفي شركة ستاندرداويل لكلفورنيا «California Standard Oil» يولون وجوهم شطر بلاد المملكة العربية السعودية المقابلة لهذه الجزيرة . وفي مايو سنة ١٩٣٣ م حصلت الشركة من جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود على امتياز يشمل ٣١٨ ألف ميل مربع تمتد على الساحل الشرقى لجزيرة العرب وتصل حدودها الشمالية إلى تخوم العراق .

وفي مايو سنة ١٩٣٩ م عدل الامتياز وزيد فيه فأصبحت الشركة تسيطر على ٤٤٠ ألف ميل مربع تقريبا ، وإذا ما أضيف إلى هذه المساحة ١٧٧ ألف ميل مربع أعطى للشركة حق استغلالها بالأفضلية صار الامتياز يشمل جميع الأراضي السعودية شمال وشرق صخور الجرانيت القديمة التي تكون معظم جهات إقليم نجد . وللشركة كذلك امتيازات ممنوحة من الحكومة السعودية

(١) اعتمدنا في ذلك على ما كتبه أكبر المجلات العلمية المختصة بهذا الموضوع ، مجلة بتروليوم تيمس «Petroleum Times» عن بترول البلاد العربية السعودية في العدد الخاص بالشرق الأوسط الصادر في يونيو سنة ١٩٤٨ م ، ص ٧٣ — ٨٣ . وكان اعتمادنا على هذا بعد ان عرضناه على الأستاذ احمد «بك» توفيق الذي كان مستشارا قضائيا للحكومة السعودية فأقره وأيد صحته .

في المنطقة المحايدة الواقعة بين المملكة العربية السعودية وبين مشيخة الكويت جنوب وغرب هذه المشيخة .

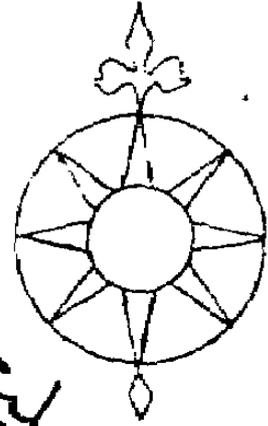
ومدة الامتياز الأول ٦٦ عاما تبدأ من ١٥ يوليه سنة ١٩٣٣ م ، أما الامتياز الملحق بعد التعديل والمشمول على المنطقة المحايدة فمدته ٦٦ عاما ابتداء من ٢١ يوليه سنة ١٩٣٩ م .

وفي سنة ١٩٣٦ م اشتركت شركة تكساس « Texas » بحق النصف في عمليات البحث عن البترول في البلاد العربية السعودية ، وأصبحت الشركة الجديدة تسمى شركة استاندرد أويل العربية لكلفورنيا California Arabian Standard Oil Co. . وفي ٣١ يناير سنة ١٩٤٤ م غير الاسم إلى شركة البترول العربية الأمريكية « Arabian American Oil Company » وصار هذا الاسم الأخير يختصر إلى ارامكو « ARAMCO » . وأصبحت هذه الشركة تضم شركتين ، شركة استاندرد أويل لكلفورنيا وشركة تكساس ، وحول إليها كل امتيازات استخراج البترول ببلاد العرب السعودية .

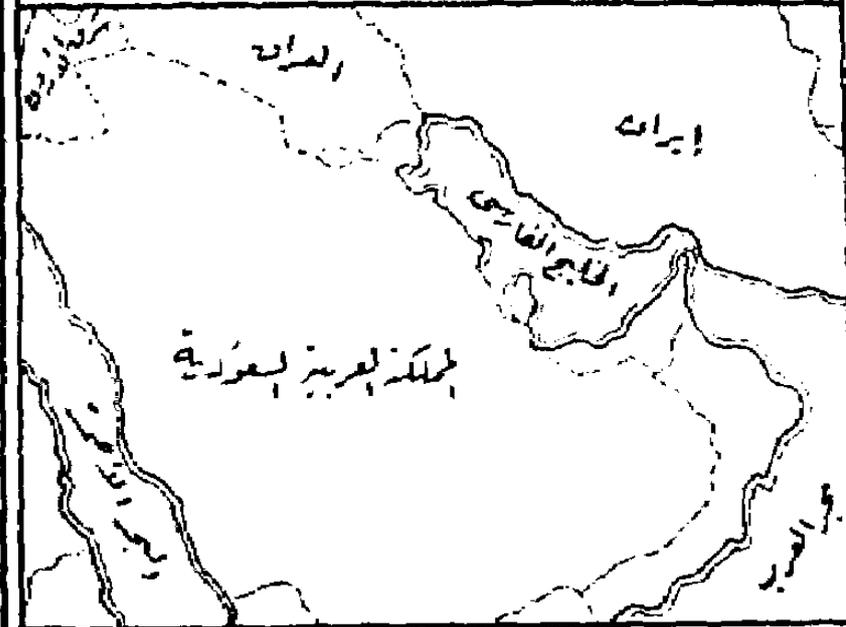
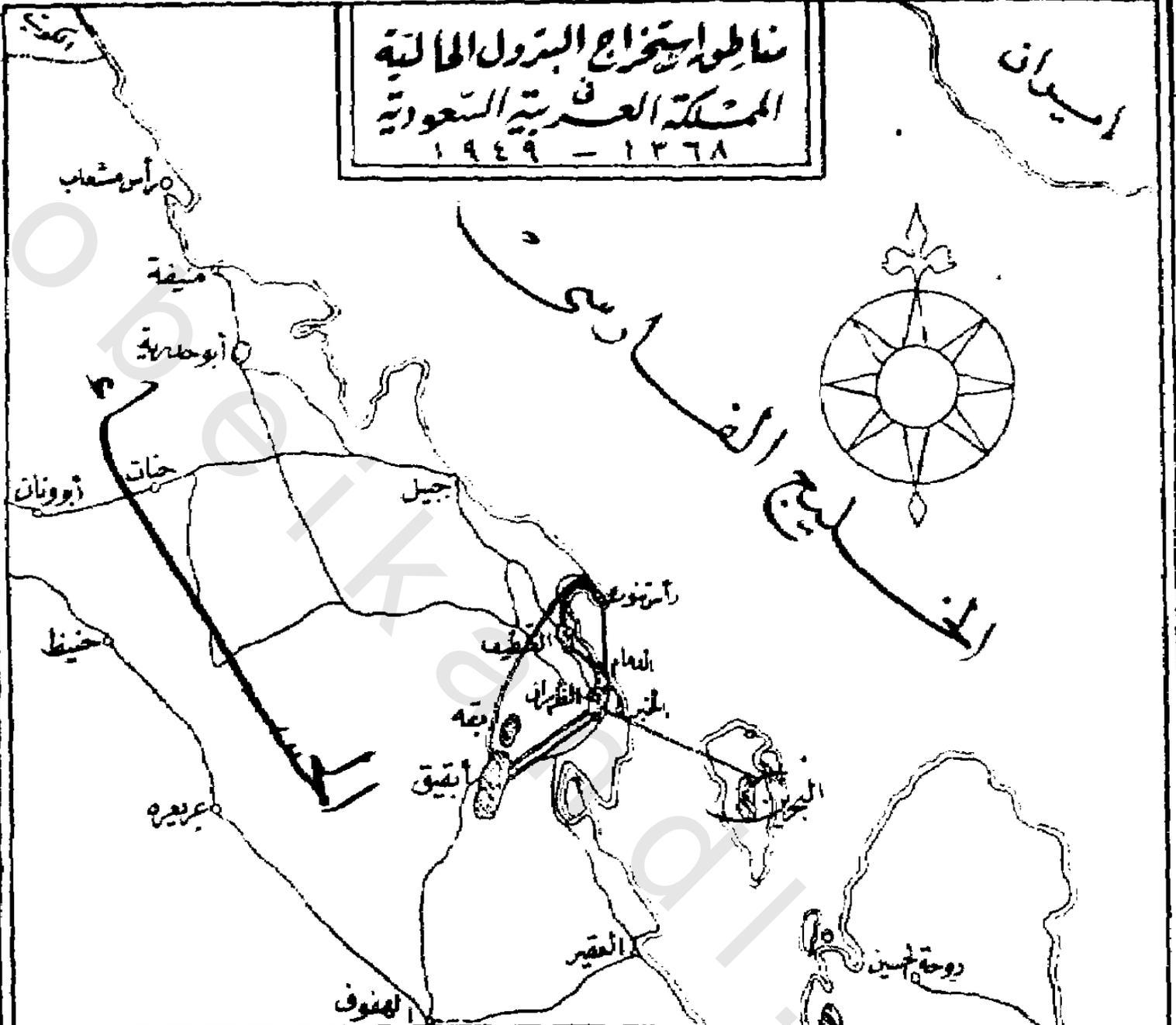
وفي سنة ١٩٤٦ م طابت شركتا جرسى استاندرد « Jersey Standard » وسكونى فا كوم « Socony Vacuum » وهما اللتان تملكان ٢٣-٧٥ ٪ من شركة بترول العراق - طابتا المساهمة في شركة البترول العربية الأمريكية بغية الحصول على كمية أكبر من زيت البترول الخام لأسواق نصف الكرة الشرقى على حساب نصف الكرة الغربى . وفي ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٤٦ أعلن أن

مناطق استخراج البترول الحالية  
 المملكة العربية السعودية  
 ١٩٤٩ - ١٣٦٨

إسبانيا



البحر الأحمر



obeykandl.com

الاتفاق من ناحية المبدأ تم بين هذه الشركات جميعا على أن تكون شركة البترول العربية الأمريكية موزعة الحصص بين الشركات الأربع بحيث يكون ٣٠ ٪ من الأسهم لشركة جرسى استاندررد و ١٠ ٪ لشركة سكونى فاكوم و ٣٠ ٪ لشركة استاندررداويل لكلفورنيا و ٣٠ ٪ لشركة تكساس ، غير أن إبرام هذه الاتفاقية قد عرقله اعتراض المساهمين الفرنسيين في شركة بترول العراق بحجة أن هذه الاتفاقية لاتتمشى مع اتفاقية الخط الأحمر المبرمة في سنة ١٩٢٨ م ، والتي تنص على أن الشركات المساهمة في شركة بترول العراق ليس لها أن تباشر أعمالا فيما يختص بالبحث عن البترول وإنتاجه إلا في الدائرة التي كانت معروفة قديما باسم الامبراطورية العثمانية .

### عملية الكشف عن البترول

بدأت عملية الكشف عن البترول في بلاد العرب السعودية في سبتمبر سنة ١٩٣٣ ، وبدأ حفر الآبار الاختبارية في سنة ١٩٣٤ م . وفي ديسمبر سنة ١٩٣٦ م تم حفر البئر التجريبية في حقل الدمام بالقرب من الظهران في مقاطعة الاحساء على عمق ٢١٠٩ قدم . وفي مارس سنة ١٩٣٨ م تم حفر بئر على عمق ٤٧٢٧ قدم ، فأنتجت ٥٠٠٠ برميل في اليوم وتعرف بالبئر رقم ٧ .

وفي خلال سني الحرب الأولى تعطلت عمليات استخراج البترول ، ولكن حدث في سنة ١٩٤٤ م أن أعيد العمل بهمة بالغة في هذه المنطقة للحصول على كميات إضافية من البترول لسد حاجة الحلفاء الحربية في المحيط الهادى فما وافى

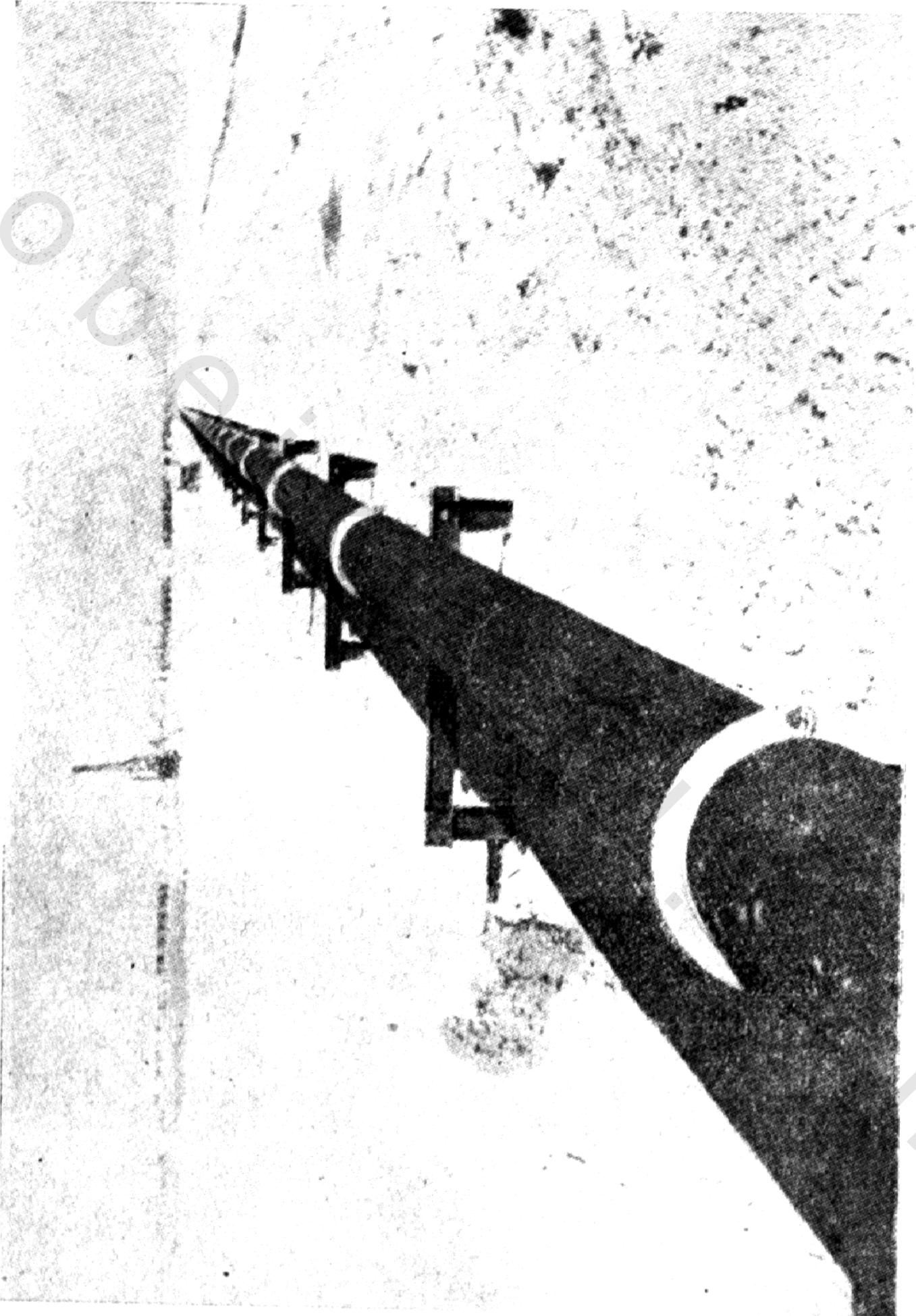
ختم عام ١٩٤٧ م حتى كان قد حفر بالمنطقة ٤٠ بئراً وأصبح المحصول اليومي ٨٥ ألف برميل .

أما الاكتشاف الثاني في المملكة العربية السعودية فقد كان في منطقة أبو حضيرة التي تبعد ١٠٠ ميل شمال غرب الظهران ، حيث اكتشف البترول على عمق ١٠٢٠٠ قدم في مارس سنة ١٩٤٠ م ، كما اكتشفت بئر أخرى على بعد ميل ونصف ميل في جنوب غرب البئر السابقة على عمق ٤٧٠٠ قدم ، وكان ذلك في أكتوبر سنة ١٩٤٠ م . ولم تحاول الشركة استغلال هذه الآبار بسهولة الحصول على البترول من آبار أخرى أقل عمقا من هذه وأقرب منها في الموقع إلى معامل التكرير براس تنوره الواقعة على الخليج الفارسي .

وقد حفرت بئر تجريبية في حقل ابيق التي تبعد ٤٠ ميلا عن الظهران في الجهة الجنوبية الغربية منها ، وتم حفرها في فبراير سنة ١٩٤١ م على عمق ٦١٨٠ قدم ، وبدأ استغلال هذه المنطقة في يناير سنة ١٩٤٦ م وفي نهاية سنة ١٩٤٧ م بلغ متوسط محصولها اليومي ٢٠٠ ألف برميل من ٢٥ بئراً .

وفي فبراير سنة ١٩٤٥ م تم حفر البئر الأولى في منطقة القطيف على عمق ٧٣٠٠ قدم فكان محصولها ٥٠٠٠ برميل يوميا ، وفي أواخر سنة ١٩٤٧ تم حفر بئرين آخرين في هذه المنطقة التي تقع بين حقل الدمام وراس تنوره

وأحدث ما اكتشف من آبار البترول في المملكة العربية السعودية كان



أنايب البرول تأخذ طريقها عبر الصحراء

obeykandl.com

في مُبَقَّأً التي تقع على بعد ١٥ ميلا شمال شرق ابيق ، فقد اكتشف في مايو سنة ١٩٤٧ م على عمق ٧٢٠٠ قدم .

## أنابيب البترول

ويتجمع محصول الجزيرة العربية من البترول في مجرى واحد بحري فيه يوميا ٨٠ ألف برميل من الدمام و٢٠٠ ألف من ابيق و٥٠٠٠ من القطيف يوزع منها ١٠٠ ألف برميل يوميا إلى مصنع التكرير الأولى حيث يعد للتصدير على شكل بترول خام . ويرسل الباقي إلى مصانع التكرير في رأس تنورة والبحرين .

ويصل الدمام برأس تنورة خط من الأنابيب قطرها عشر بوصات وقد أنشئت في سنة ١٩٣٩ م وطول الخط ٣٩ ميلا ، وهو يتبع الطريق البري طريق القطيف ويمكن أن يجري به ٦٣ ألف برميل يوميا .

وفي سنة ١٩٤٥ م أنشئ خط أنابيب قطر ١٢ بوصة من الدمام إلى معمل التكرير في البحرين طوله ٣٤ ميلا براً وبحراً وتصرفه ١١٠ ألف برميل يوميا .

وفي سنة ١٩٤٦ م أنشئ خط أنابيب جديد من الدمام إلى رأس تنورة بقطر ١٢ بوصة وطوله ٢٣ ميلا وتصرفه اليومي ١١٥ ألف برميل .

وفي سنة ١٩٤٦ م أيضا أنشئ خط من ابيق إلى الدمام بطول ٤٠ ميلا

وقطر الأنايب ١٢ - ١٤ بوصة وتصرفه اليومي ٢١٠ ألف برميل .

وفي سنة ١٩٤٧ م أنشئ خط جديد من ابيق إلى الدمام بقطر ١٤ بوصة .  
وتم بعد ذلك إنشاء خط جديد بقطر ٢٠ - ٢٢ بوصة وتصرفه ٢٠٠ ألف  
برميل يوميا من ابيق إلى رأس تنوره بطول ٦٥ ميلا على الطريق البري .

وقد بدىء فعلا فى إنشاء خط طوله ١١٠٠ ميل وقطر أنانيه ٣٠ - ٣١  
بوصة من ابيق إلى البحر الأبيض ، وسيكون تصرفه ٣٠٠ ألف برميل يوميا ،  
وقد كان المفروض أن يتم إنشاء هذا الخط فى سنة ١٩٥٠ م ، ولكن نظراً  
لاضطراب الأحوال السياسية فى فلسطين والدول العربية المجاورة ، ونظرا لقلة  
الأنايب المعدة للتصدير من الولايات المتحدة ، فقد تأخر إتمام هذا الخط .

### معمل التكرير فى رأس تنوره

بدىء فى سبتمبر سنة ١٩٤٤ بإنشاء معمل برأس تنوره لتكرير ٥٠ ألف  
برميل فى اليوم ، وتم إنشاؤه فى أكتوبر سنة ١٩٤٥ م . وقد زيدت معدات  
هذا المعمل بحيث أصبح من الممكن أن يكرر ١٢٥ ألف برميل يوميا ، وفى  
نهاية سنة ١٩٤٧ م بلغ مجموع المقدار المكرر من زيت البترول ٧٠ مليون  
برميل . وأهم منتجات هذا المعمل هى البزين ، والكيروسين ، والديزل الأسود  
والأبيض ، وزيت الوقود للبحرية .



عمل الشكر برأس توره

obeykandl.com

## نشاط الشركة الاجتماعية بالبلاد العربية السعودية

إن اهتمام شركة البترول العربية الأمريكية بالتعليم وتحسين الأحوال الاجتماعية في الجهات التي تقوم فيها بعملية استخراج البترول كان في المبدأ محدودا لاضطراب أعمالها أولا ثم وقفها بسبب الحرب ، فمن سنة ١٩٣٣ إلى سنة ١٩٣٨ م كانت العمليات التي قامت بها الشركة مجرد عمليات كشفية ، ومن سنة ١٩٣٨ م إلى أن بدأت الحرب كانت المهمة مبذولة لمد الأنابيب وإنشاء المستودعات حتى يمكن تصدير البترول ، ومن بدء الحرب إلى أول سنة ١٩٤٤ م شلت حركة الأعمال وخفض عدد الموظفين والعمال من الأمريكان وغيرهم تخفيضا كبيرا ، وفي المدة من سنة ١٩٤٤ إلى سنة ١٩٤٥ م كان اهتمام الشركة موجها إلى إنشاء خط أنابيب إلى البحرين ومعمل التكرير في رأس تنورة ، وكان هذان المشروعان قد اعتبرا من أزم المشروعات التي تساعد على النجاح في الحرب . ومنذ استئناف عمليات استخراج البترول في سنة ١٩٤٤ م خصص جزء كبير من الموارد المحلية لاعداد منازل ومستشفيات ووسائل للنقل وأمور أخرى لازمة لموظفي الشركة وعملها من الأمريكان وعددهم ١٧٠٠ ، ومن العرب وعددهم ١٥٠٠٠ ، (١) ولهذا — كما تقول الشركة — كانت الجهود التي بذلتها الشركة في سبيل تعليم

(١) كان هذا الإحصاء قبل شهر يونيه سنة ١٩٤٨ م موعد صدور العدد الخاص ببتول الشرق الأوسط من مجلة « بتوليوم تيمس » والأبناء الأخيرة تفيد أن العدد زاد إلى ما يقرب من ٥٠٠٠ أمريكي و ٢٠٠٠٠ عربي .

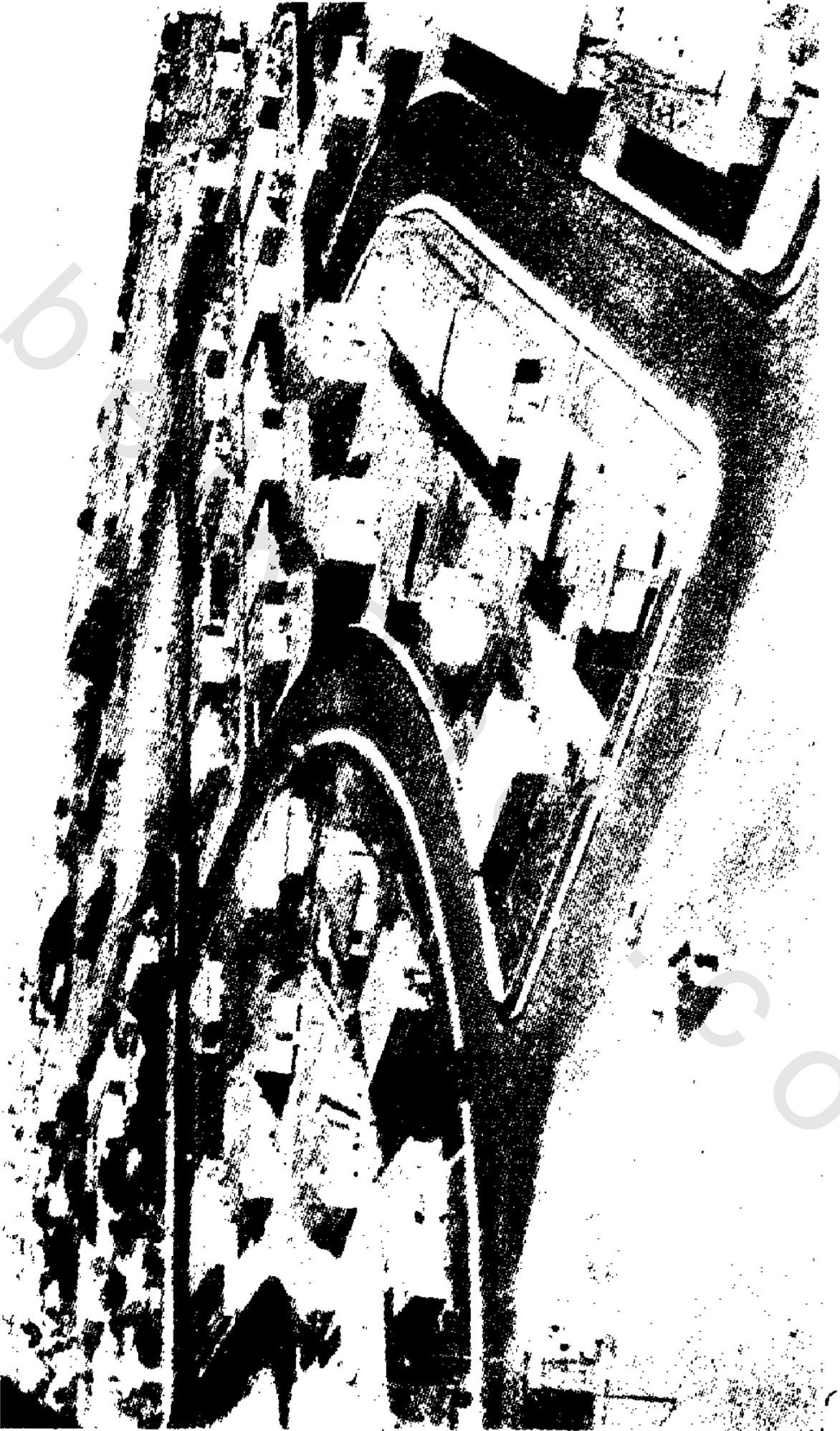
العرب سكان منطقة البترول وتحسين أحوالهم الاجتماعية لا تزال في مرحلتها الأولى .

والأعمال التي قامت بها الشركة لرفع المستوى وتحسين الحالة الاجتماعية هي :

١ — أوجدت الشركة نوعاً من التعليم الفني الصناعي اللازم لعمالها العرب ، ثم أوجدت نوعاً آخر من التعليم المدرسي العام لتعليم القراءة والكتابة والحساب والنحو والصرف واللغة الإنكليزية ، وأخيراً أمكن الجمع بين النوعين من التعليم بتخصيص نصف اليوم لكل واحد منهما .

٢ — أنشأت مساكن للعمال والموظفين ، بل أنشأت مدنًا في الظهران ورأس تنوره وغيرها بجوار أماكن العمل . ولقد حرصت الشركة على أن تتوفر الشروط الصحية اللازمة في كل المساكن التي أنشأتها وإن كانت راعت عند إنشائها الفروق الاجتماعية والمالية بين طبقات الموظفين والعمال المختلفة ، فهي قد أنشأت المساكن البسيطة المختصرة كما أنشأت المساكن الفخمة مثل المساكن التي أنشأتها في الظهران ، وقد أصبحت مدينة أمريكية منازلها مكيفة الهواء وشوارعها ممهدة مرصوفة وبها النوادي ودور السينما وحمامات السباحة ؛ وتربطها مواصلات جوية أسبوعية مع بيروت عبر الصحراء ، كما تربطها مع الولايات المتحدة مواصلات جوية كل أسبوعين .

٣ — بنت المستشفيات وأعدتها إعداداً كاملاً لعلاج الموظفين والعمال وغيرهم



جزء من مساكن مدينة الظهران

obeykandl.com

بدون أجر ، ولقد تحسنت الصحة في هذه المناطق إلى حد كبير وخفت وطأة الملاريا التي كانت منتشرة في الدمام والخُبر .

٤ - عاونت الشركة الحكومة السعودية في إنشاء المرافق العامة والزراعة وعمليات المياه ، فحفر الكثير من الآبار وبنيت بالحجر وأقيمت عليها الأغشية وأصبحت في متناول كل عربي .

وإجابة لطلب الحكومة السعودية أنشأت الشركة ميناء عميقة في الدمام على الشاطئ الجنوبي لخليج رأس تنُوره ، كما شرعت في إنشاء « سكة حديد » تربط الظهران بالرياض ولقد تم منها إلى الآن ما يزيد عن ٥٠ كيلو مترا .

\*\*\*

### نصيب الحكومة السعودية في ربيع البترول

إن تحديد المبلغ الذي ينحس الحكومة السعودية في الأرباح التي تجنيها شركة البترول العربية الأمريكية يتوقف على معرفة أمرين ، الأمر الأول مقدار الزيت الناتج من عمليات استخراج البترول من الأراضي السعودية ، والأمر الثاني الاتفاق الذي عقد بين الحكومة السعودية وبين الشركة والذي حدد نصيب الحكومة عن كل طن صاف من الزيت الخام .

أما مقدار الزيت الناتج فهو يزداد بكميات كبيرة ويتضاعف باطراد ، حتى ان التقديرات التي ذكرتها الجهات المختصة في أوائل سنة ١٩٤٩ م بلغت حدا خياليا ، إذ قدرت دوائر « الانجلو إجبشيان أويل فيلد » بلندن ما يستخرج

من الآبار البترولية بالملكة العربية السعودية يومياً بنحو ٥٠٠ ألف برميل ،  
وذكرت أن كميات البترول المخزونة بباطن الأرض في هذه المملكة تكفي حوالى  
مائة سنة . والذي يلفت النظر أن الأمريكان لا يكتفون بهذه الزيادة الطبيعية  
في البترول السعودى ، وإنما هم يستنزفون آبار البترول هذه ويعالجونها بطريقة  
غير الطريقة التي يعالجون بها آبار البترول في بلادهم . فهم في بلادهم يحسبون  
حساب المستقبل ويعملون على أن يبقى في باطن الأرض الاحتياطي الكافي ،  
أما في المملكة العربية السعودية فهم يودون لو استطاعوا حمل كل ما في أرضها  
من زيوت إلى بلادهم ، فإذا ضم هذا إلى الوفرة الطبيعية في زيت البترول السعودى  
استطاعنا أن نفهم سر هذه الزيادات الهائلة في مقدار الناتج منه .

وأما تحديد نصيب الحكومة حسب الاتفاق بينها وبين الشركة فقد عالجته  
المادة الرابعة عشر من الاتفاقية الرئيسية الأولى المبرمة في ٢٩ مايو سنة ١٩٣٣ م  
بمدينة جدة ، وقد نصت هذه المادة على أن تدفع الشركة للحكومة عن كل طن  
صاف من الزيت الخام أربعة شلنات ذهبية أو ما يعادلها ، أو - إذا اختارت الشركة  
وقت دفع القسط - تدفع دولاراً واحداً من عملة الولايات المتحدة الأمريكية على الضن  
الصافي الواحد . ولكن لما كانت هذه المادة غير واضحة في بعض نقطها فقد  
دعا ذلك إلى الخلاف بين الشركة وبين الحكومة على المقدار المحدد الواجب على  
الشركة دفعه للحكومة ، الأمر الذي أدى إلى أن تكون هناك قضية بين  
الحكومة والشركة باسم « قضية الذهب » . وليبيان منشأ الخلاف نورد نص

الجزء المشتمل على العموض من المادة المذكورة ، وهو كالآتي :  
« إن قيمة الربع عن كل طن صاف من الزيت الخام ستكون إما :

ا — أربعة شلنات ذهبية أو ما يعادلها .

ب — أو — بحسب اختيار الشركة وقت دفع كل قسط من أقساط الربع —  
دولاراً واحداً من عملة الولايات المتحدة الأمريكية على الطن الصافي الواحد  
من الزيت الخام . ويزاد على الدولار أى فرق يمكن أن يكون موجوداً في سعر  
القطع بين الكمية التي تعادل الأربعة شلنات الذهبية بحسب معدل سعر القطع  
خلال الثلاثة الأشهر التي تسبق تاريخ دفع القسط مباشرة ، وبين كمية دولار  
وعشرة سنتات من عملة الولايات المتحدة . مثال ذلك : إذا كان معدل سعر  
القطع عبارة عن دولار واحد وأربعة عشر سنتاً من عملة الولايات المتحدة  
الأمريكية لكل أربعة شلنات ذهبية ( أى أن قيمة الجنيه الانكليزي الذهب  
أصبحت مساوية خمسة دولارات وسبعين سنتاً أمريكياً ) فإن قيمة الربع عن  
الطن الصافي الواحد من الزيت الخام تصبح دولاراً واحداً وأربعة سنتات من  
عملة الولايات المتحدة . » (١)

وإننا نجد أن نص المادة ترك غير واضح وغير محدد في موضعين ، فأولاً  
نجد أن المادة بعد أن حددت المبلغ الذي يدفع للحكومة عن الطن بأربعة شلنات

(١) راجع ص ٩ — ١٠ من « اتفاقيات شركات استثمار البنزول ومستخرجاته  
والمعادن » المطبوعة بمطبعة الحكومة السعودية في سنة ١٣٥٩ هـ .

ذهبية - مع العلم بأنه ليست هناك شلنات ذهبية مسكوكة يتعامل بها - تركت الأمر على غموضه ولم تبين : هل المراد أن يكون الدفع بالجنيه الذهب الإنكليزي المسكوك - وله سعر خاص - أو المراد أن يكون الدفع بالذهب غير المسكوك فتدفع الشركة للحكومة السعودية عن الطن ما يساوي في الوزن أربعة شلنات من الذهب الخام ؛ أي ما يساوي  $\frac{1}{8}$  من وزن الجنيه من الذهب غير المسكوك ، وهذا بالطبع له سعر آخر غير سعر الجنيه الذهب المسكوك ؛ وثانياً نجد أن عملية الاستبدال بالدولار ، التي نصت عليها المادة ، غير واضحة وذلك أن المادة ابتدأت فنصت صراحة على جواز الدفع بالدولار الأمريكي إذا اختارت الشركة ذلك ، وحددت ما تدفعه الشركة عن الطن بدولار من عملة الولايات المتحدة الأمريكية بدل أربعة شلنات ذهبية عن الطن ، التي اعتبرت أساساً في الدفع ، ويكون هذا معناه أن قيمة الأربعة شلنات من الذهب عند التعاقد كانت تساوي دولاراً أمريكياً ؛ ثم عقبنا المادة فذكرت أنه عند اختيار الدفع بالدولار « يزداد على الدولار أي فرق يمكن أن يكون موجوداً في سعر القطع بين الكمية التي تعادل الأربعة شلنات الذهبية بحسب معدل سعر القطع خلال الثلاثة أشهر التي تسبق تاريخ دفع القسط مباشرة ، وبين كمية دولار وعشرة سنتات من عملة الولايات المتحدة » وهذا معناه أن قيمة الأربعة شلنات الذهبية عند التعاقد كانت تساوي دولاراً وعشرة سنتات ، لا دولاراً واحداً فقط كما فهم من الجملة الأولى .

والذي يترتب على ذلك أنه إذا اختارت الشركة الدفع بالدولارات

على أساس التقدير المفهوم من الجملة الأخيرة ، وفي حالة ارتفاع قيمة الذهب ، نقص ما تأخذه الحكومة السعودية عشرة سنتات عن كل طن ، وهذا النقص ولا شك يكون ملايين الدولارات في الجملة .

هذا هو منشأ الخلاف في « قضية الذهب » بين الحكومة السعودية وبين شركة البترول العربية الأمريكية ، ولقد ظل هذا الخلاف بين الطرفين قائماً مدة طويلة حتى استطاع أخيراً الرجل العبقري الشيخ عبد الله السليمان وزير المالية في حكومة المملكة العربية السعودية وممثلها في التعاقد مع الشركة أن يحل هذا الخلاف بما يحفظ حقوق بلاده ؛ استطاع « معاليه » هذا بمعونة المستشار القضائي للحكومة السعودية الأستاذ « أحمد بك » توفيق ، وهو من رجال القانون المصري الأفذاذ . ففي شهرى فبراير ومارس سنة ١٩٤٨ م تفاوضت الحكومة السعودية مع الشركة بشأن قضية الذهب وانتهت معها إلى اتفاقية موقفة في صالح المملكة العربية السعودية ، حيث اتفق الطرفان على أن يكون الدفع بالجنيه الذهب المسكوك ، كما اتفقا على أن تدفع الشركة للحكومة اثني عشر دولاراً أمريكياً في مقابل الجنيه الذهب المسكوك إذا كان الدفع بالدولارات ، وذلك طالما أن السعر الرسمي للذهب في خزينة الولايات المتحدة هو خمسة وثلاثون دولاراً للأوقية من الذهب ( أى باعتبار أن الجنيه يساوى ثمانية دولارات و ٢٤ و . من الدولار ) . وعلى هذا الأساس السابق تحدد المبلغ الذى تدفعه شركة البترول للحكومة السعودية عن كل طن من زيت البترول الصافى الخام تحديداً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض .

وفي أكتوبر سنة ١٩٤٨ عقد « معالي » وزير المالية السعودية بمعونة المستشار القضائي اتفاقية أخرى مع الشركة حصل بها على ميزات هامة لحكومته ، وهي تتعلق بما يأتي :

أ - المنطقة المحايدة التي تقع بين المملكة العربية السعودية وبين الكويت .

ب - القطاع الداخل في البحر على حدود المملكة الشرقية الساحلية الذي يعتبر امتدادا للمياه الإقليمية .

ج - النظام الذي تتبعه الشركة في تخليها للحكومة السعودية عن الأراضي التي تستغلها في استخراج البترول .

أما فيما يتعلق بالمنطقة المحايدة بين المملكة السعودية وبين الكويت فقد كانت هذه المنطقة حسب الاتفاق البرم بين الحكومة السعودية وبين الشركة في سنة ١٩٣٩ م من المناطق التي يشملها امتياز الشركة (١) ، ولكن الحكومة السعودية استطاعت بمقتضى اتفاقية أكتوبر سنة ١٩٤٨ م السابقة الذكر أن تستردها وأن تلغى امتياز شركة أرامكو فيها ؛ ثم تعاقدت بشأنها مع شركة أمريكية أخرى ، وبشروط أسخى بكثير من شروط شركة أرامكو . وهذه

(١) راجع ص ٢٩٥ - ٢٩٦ من الكتاب ؛ و ص ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٦ من « اتفاقيات

شركات استثمار البترول ومستخرجاته والمعادن »

شركة التي تم التعاقد بينها وبين الحكومة السعودية بشأن المنطقة المحايدة  
أخيراً بمدينة الرياض في فبراير سنة ١٩٤٩ م هي شركة باسفيك وسترن أوويل  
كوزبو زيشن « Pacific western oil corporation » .

وقما يتعلق بامتداد المياه الإقليمية داخل البحر على الحدود الساحلية الشرقية  
لمملكة العربية السعودية ، اتفقت الحكومة السعودية مع شركة أرامكو على  
أنه في حالة وجود البترول في امتداد يزيد عن ستة أميال ( وهو مقدار المياه  
الإقليمية في العرف الدولي) فإن الشركة تدفع عما يستخرج من زيت البترول من  
هذا الامتداد الزائد عن المياه الإقليمية، التي تدخل في امتياز الشركة بحسب العقود  
التي بينها وبين الحكومة ، تدفع الشركة عن المستخرج من الامتداد الزائد  
خمسة سنتات عن البرميل زيادة عما يجب عليها دفعه بحسب التعاقد الأصلي ،  
فتمكون جملة الزيادة في الطن الواحد هي خمسة وثلاثون سنتاً (١) .

وأما نظام التخلي الذي اتفق عليه ، فقد وضع له برنامج خاص بحيث يكون  
التخلي تدريجياً وفي فترات معينة ، حتى تستطيع الحكومة السعودية الاستيلاء  
على الأراضي المتخلي عنها والانتفاع بها بالتتابع ، فلا تمضي مدة التعاقد إلا  
ويكون قد تم الاستيلاء بطريقة منظمة غير موجبة للخلاف .

كذلك أجبرت الحكومة السعودية شركة أرامكو أخيراً على زيادة  
العناية بالعمال العرب وتحسين حالهم من نواحي التعليم ، والتأمين الصحي

(١) وذلك لأن الطن يساوي سبعة براميل تقريباً .

والتأمين الاجتماعي بما يحفظ للعمال حقوقهم ، وإنا نكتفي بالإشارة إلى ذلك بعد تلك التفاصيل التي أوردناها لما لها من أهمية .

obeykhalid.com

## نظام الحكم في المملكة العربية السعودية

إن صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية يجمع في يديه مقاليد الحكم كلها في المملكة ، وإليه ترجع كل السلطات ، ولكن جلالاته مقيد بأحكام الشرع الشريف ؛ فهو لا يحد من نفوذه في رعيته إلا أحكام الدين الحنيف ، إذ هي المرجع الأعلى للحكم وهي الدستور المتبع في البلاد . فهناك تقطع يد السارق ، ويحد الزاني ، وتنفذ أحكام الإسلام في مختلف الأحوال .

والمملكة العربية السعودية تشمل قسمين كبيرين :

القسم الأول منهما ما كان يعرف سابقاً باسم « السلطنة النجدية وملحقاتها » وهي البلاد السعودية قبل فتح الحجاز .

والقسم الثاني ما كان يعرف باسم « المملكة الحجازية » حتى شهر سبتمبر سنة ١٩٣٢ م . وهي بلاد الحجاز التي استولى عليها ابن سعود نهائياً في ديسمبر سنة ١٩٢٥<sup>(١)</sup> ، والتي كانت قبل ذلك تحت حكم جلالة الملك الشريف حسين بن علي باسم « المملكة العربية الهاشمية » .

ولقد تغير وضع الأمور بفتح ابن سعود للحجاز ، وأصبح لزاماً

(١) راجع ص ١٦٣ - ١٦٤ من الكتاب .

على صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد والملحقات (١) أن يحور في نظام الحكم البدائي الذي كان يسير عليه في نجد قبل أن يتسع ملكه ، وقبل أن تتعدد مصالحه وتشتبك بمصالح العالم الخارجي . فقد كان جلالته قبل ذلك يحكم في نجد على طريقة آباءه وأجداده وأندادهم من مشايخ الصحراء وأمراء البادية ، فهو الأمير ، وهو الزعيم الديني لأتباعه الوهابيين ، يحكم بينهم وينفذ فيهم أحكام الدين الإسلامي ، وهو القائد الأعلى للجيش ، وهو مرجع السلطات كلها لا يقيده إلا أحكام الشرع الشريف كما قلنا . فلما فتح جلالته الحجاز اقتضت الضرورة أن يعدل في نظام الحكم ، وأن تنشأ نظم جديدة ، وأن تشرع قوانين لم تكن موجودة على حسب مقتضيات الأحوال والتطورات الطارئة ، كان لابد من هذا بعد اتساع الملك ، وتعدد المصالح ، واشتباكها بمصالح الدول الأخرى على ما أسلفنا .

غير أن الضرورة اقتضت أيضاً أن يراعى جلالته الملك ابن سعود الفروق بين نجد والحجاز ، وأن يجعل جلالته لكل من القسمين نمطا خاصا من الحكم يتلاءم مع السكان ومع سائر الأحوال ، فأبقى طريقة الحكم في نجد على ما كانت عليه سابقاً بعد تعديل طفيف ، وجعل أكبر أئجاله الأحياء صاحب السمو الأمير سعوداً ، الذي أصبح ولياً للعهد فيما بعد ، نائباً لجلالته يقوم مقامه عند اللزوم ، فأصبح الأمير يحكم نجدا بالنيابة عن والده ، ويعاونه في الحكم القضاة

---

(١) هكذا كان يلقب جلالته الملك عبد العزيز آل سعود عقب فتحه للحجاز وقبل

والعلماء الذين يرجع إليهم الفصل في الخصومات القضائية ، وأمين بيت المال الذي يجمع الزكاة ويصرفها في مصارفها بأمر الأمير مباشرة . وبهذه الطريقة البسيطة يحكم نجد ، فليست هناك وزارات ولا دواوين غير ما ذكرنا ، وهي الطريقة التي تناسب النجديين في بساطتهم ، وعيشتهم البدوية وبعدهم عن مركز اتصال الدولة السعودية العربية بغيرها من الدول ، إذ مركز هذا الاتصال في الحجاز ، فنجد مستقلة في إدارتها ، ومختلفة في نظام حكمها عن الحجاز ، وعاصمتها الرياض .

أما نظام الحكم في الحجاز ، فقد اقتضت المصلحة أن يعدل حتى يصبح قريباً من نظم الحكم في ممالك العصر الحديث ، ولعل أصحاب الأمر راعوا في ذلك الأسباب الآتية :

(١) كون الحجاز مركزاً لاتصال الدولة العربية السعودية بالعالم الخارجي فينبغي حينئذ أن يكون نظام الحكم فيه قريباً من النظم الحديثة ، وأن تدون الدواوين وتوزع الأعمال عليها ، وأن تشرع القوانين لضبط العمل ، وضمان الوصول إلى الغرض وحفظ الصالح العام بقدر المستطاع .

(٢) أن هذه البلاد قد سبق لها أن عرفت شيئاً من نظم الحكم الحديثة في عهد الأتراك وعهد الشريف حسين ، فأهلها إذاً على استعداد لأن يحكموا بنظام من الحكم حديث ، أكثر من النجديين أهل البداوة الفطرية .

تلك هي العوامل التي ترجح أن أولى الأمر قد راعوها حينها جعلوا للحكم في الحجاز نظاماً خاصاً يختلف عن الذي في نجد .

وهذا النظام وضعته الجمعية العمومية الحجازية التي ألفت بأمر صاحب الجلالة ابن سعود ووضعت « نظام التشكيلات الأساسية » دستوراً للحكم في الحجاز ، فوافق عليه جلالته وأصدره في ٢١ صفر سنة ١٣٤٥ هـ / ٣١ أغسطس سنة ١٩٢٦ م ، ونشر بجريدة أم القرى في ذلك التاريخ (١) .

ويعتضى الدستور أصبح الحجاز مملكة إسلامية شورية دستورية مستقلة عاصمتها مكة ولغتها الرسمية اللغة العربية ويحكمها نائب عن الملك ، والنائب هو صاحب السمو الأمير فيصل يعاونه في الحكم مجلس وزراء ( ويسمى مجلس الوكلاء ) مكون من وزير الداخلية ووزير الخارجية ووزير الحربية ووزير المالية ، غير أن الأمير فيصل هو رئيس الوزراء ووزير لوزارتين ، وزارتي الداخلية والخارجية ، وبذلك يجمع أغلب السلطات في يده بالنيابة عن والده صاحب الجلالة الملك . وأنشئت عدة إدارات ومصالح ، وعين لها مديرون ورؤساء وهؤلاء مسئولون أمام نائب الملك . وجعل لكل ناحية وكل قرية وكل قبيلة مجلس يعنى بالشئون المحلية ويتألف من الموظفين ومن أشخاص معينين ، ثم ألفت في العاصمة مجلس كبير ( مجلس الشورى ) يتكون من النائب العام

(١) راجع نص الدستور في ص ١٩١ - ١٩٣ من كتاب « الإسلام وآسيا أمام المطامع الأوربية » لأوجين يونغ طبعة مطبعة النهضة سنة ١٩٢٨ .

( نائب الملك ) رئيساً ومعه أحد مستشاريه ومن ستة (١) ذوات أكفاء يعينهم الملك ، ينظر هذا المجلس في شؤون الدولة العامة وتصبح قراراته نافذة بعد موافقة الملك عليها .

كذلك اقتضت ضرورة الحكم تشريع بعض القوانين التي لم تكن معروفة بالبلاد على ضوء ما جرى به العمل في البلاد المتحضرة ، مثل :

ا - قانون الجنسية ، وكان لابد من تشريعه بعد أن أصبحت البلاد دولة ذات سيادة ، لها رعايا عليهم حقوق ولهم واجبات يتعاملون مع غيرهم من رعايا الدول الأخرى .

ب - قانون مجلس الشورى ؛ وكان لابد منه أيضاً لتنظيم عمل المجلس وتحديد اختصاصاته وبيان كيفية تأليفه . . . الخ .

ج - قانون الحجر الصحي ؛ وهو في غاية الأهمية لحكومة تريد المحافظة على صحة رعاياها وصحة الحجاج الكثيرين الذين يفدون سنوياً من جميع أنحاء المعمورة لحج بيت الله الحرام ، منعاً للعدوى وانتشار الأمراض .

(١) هذا كان في السنوات الأولى من تأليف المجلس ، وآآن يتألف المجلس من أربعة عشر عضواً من أكبر الشخصيات البارزة في البلاد ، ولازال يرأسه حضرة صاحب السمو نائب الملك سمو الأمير فيصل ، وينوب عنه في غيابه النائب الاول أو النائب الثاني من بين الاعضاء .

د - قانون مزاولة مهنة الطب ، وهو لا بد من سنه حتى لا يشتغل بالطب إلا الطبيب المختص الذي يستطيع تفهم الشعب ، ولكي تحمي الحكومة شعبها من الدجالين الذين لا يتورعون عن الاشتغال بما لا يحسنون ولا يعرفون ، طلبا للكسب من غير طريقه المشروع .

ولقد كانت بلاد المملكة العربية السعودية عقب فتح الحجاز مؤلفة من مملكتين مستقلتين ، كما ترى ، نجد والحجاز ، لكل منهما أوضاعها وحكومتها وطرز إدارتها ، تجمع بينهما رابطة العرش المشترك وشخص الجالس على العرش كما كانت الحال بين الممالك الأوربية المتحالفة مثل النمسا والمجر . ولكن السياسة الخارجية كانت دائماً مشتركة وكذلك شئون الدفاع والبريد . ولما رؤى أنه قد حان الوقت لتوحيد المملكة وأنه لم يبق داعٍ قط لبقاء تلك الفروق في الأوضاع بين نجد والحجاز ، ما دامت الوحدة العنصرية والدينية قائمة بينهما ، وما دام الملك واحداً ، والمصلحة مشتركة ، والماضي والتاريخ يجمع بينهما ، لما رؤى ذلك صدر الأمر الملكي الكريم تحت رقم ٢٧١٦ في ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٥١ الموافق ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٣٢ م بدمج المملكتين في مملكة واحدة تحت اسم « المملكة العربية السعودية » وكانت ديباجة هذا الأمر الملكي والمادة الأولى منه كالآتي :

بعد الاعتماد على الله ، وبناء على ما رفع إلينا من البرقيات من كافة رعايانا في مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها ، ونزولاً على رغبة الرأي العام في بلادنا ،

وجبا في توحيد أجزاء المملكة العربية ، أمرنا بما هو آت :

المادة الأولى - يحول اسم « المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها » إلى اسم « المملكة العربية السعودية » ويصبح لقبنا بعد الآن « ملك المملكة العربية السعودية . »  
وكان نص المادة الخامسة : « تظل تشكيلات حكومتنا الحاضرة سواء في الحجاز أو في نجد وملحقاتها على حالها الحاضر مؤقتا إلى أن يتم وضع تشكيلات جديدة للمملكة كلها على أساس التوحيد الجديد . »

ولكنه على الرغم من انقضاء سنوات عديدة على صدور الأمر الملكي بتوحيد أجزاء المملكة ، وتسميتها بالمملكة العربية السعودية ، وبوضع نظام أساسي للبلاد بأجمعها على أساس الوحدة الجديدة ، وإحداث تشكيلات إدارية جديدة تكون أكثر انطباقا على الحالة الراهنة واتساقا مع الأوضاع الحكومية العصرية ، على الرغم من ذلك ، فإن النظام المذكور لم يصدر بعد فيما أعلم .

ولا تزال السلطة العليا في الدولة كما كانت في التعليمات الأساسية لمملكة الحجاز . فهي لا تزال في يدي صاحب الجلالة الملك عبد العزيز ابن سعود ، وجلالته لا يزال يشرف على أعمال نائبيه في المنطقتين نجد والحجاز ويتدخل في كل الأمور ، ولا يحدث أمر في مملكته إلا بعد الموافقة منه ؛ ولهذا نستطيع أن نصف الحكم في بلاده جميعها بأنه ملكي مطلق ، بيد أنه ينبغي ألا ننسى أنه ينفذ أحكام الشريعة الإسلامية ويراعي تعاليمها ، كما قدمنا ؛ وفي تنفيذ أحكام الشريعة والاصدار في الحكم عن قانونها ضمان للعدل في الرعية والتوفيق في الحكم .

## ولاية العهد

وجلالة الملك عبد العزيز ابن سعود هو أول من اتبع نظام المبايعة لشخص معين يخلفه في الحكم في الأسرة السعودية ؛ فقد كان المتبع في العصرين الأول والثاني أنه إذا مات الإمام من آل سعود اجتمع أهل الحل والعقد وذوى الرأي من الأمراء والعلماء ورؤساء القبائل وانتخبوا لهم إماماً تتوفر فيه الشروط ؛ وأحياناً كان يقع الخلاف بين الأمراء بسبب التنافس على الإمامة ، ولهذا رأى جلالة الملك أن يضع حداً للأمر ، فأخذ البيعة لابنه الأكبر الأمير سعود ، نائب الملك في نجد ، بعد موافقة مجلس الشورى وأصحاب الرأي . وتمت البيعة في ١٦ المحرم سنة ١٣٥٢ هـ / ١١ مايو سنة ١٩٣٣ م ؛ ولقد ناب الأمير فيصل عن أخيه في تقبل البيعة بالحجاز ، ثم سافر إلى الرياض على رأس الأمراء السعوديين وبايعوه جميعاً ، وقد بوا إليه التهنئة بما ساقه الله إليه من كرامة .

## إصلاحات ابن سعود

إن قضية الإصلاحات في المملكة العربية السعودية ، وخصوصاً في الحجاز منها وفي البلاد المقدسة التي يحج إليها آلاف المسلمين كل عام ، قضية كثيراً ما يدور الحديث حولها ويختلف الرأي فيها . والذي لا شك فيه أن بلاد المملكة العربية السعودية لا تزال بحاجة ملحة إلى الكثير من أعمال الإصلاح ، وأنه على حكومة صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود أن تضاعف مجهودها في تحسين حال الشعب الصحية والاجتماعية والاقتصادية ، وفي العمل لتنمية مرافق البلاد وتعبيد الطرق ، ثم في القيام والسهر على راحة الحجاج وحفظهم من جشع الروح الاستغلالية التي لا حظها الكثيرون على بعض موظفي الدولة في الحجاز ، وعلى التجار ، وخصوصاً على كبار التجار المحتكرين .

ولكننا مع هذا نرى أنه من الخطأ وعدم الإنصاف ألا ننوه بما قام به جلالة الملك ابن سعود من الإصلاحات الهامة المتعددة أثناء حكمه ، وألا نذكر بإعجاب أبواب الإصلاح التي طرقها ووصل فيها إلى غاية محمودة سيتحدث عنها التاريخ بلسان الحمد والثناء . وقبل أن تفصل القول ، وتحدث عن أعمال ابن سعود الإصلاحية نود أن ننبه إلى ما كانت عليه البلاد قبل الحكم السعودي من تأخر وفوضى ، فإنه لا يستطيع أن يقدر أعمال الملك ابن سعود قدرها إلا من يعرف أحوال الفوضى والتأخر التي كان عليها الشعب العربي في العهد السابق لعهد.

وأهم الإصلاحات التي قام بها جلالتة هي :

١ — إصلاح حال الشعب البدوي بتأليف جماعة الإخوان التي تكلمنا عنها ،  
فلقد ترتب على ذلك استقرار البدو في الهجر ، وتعودهم العمل بعد أن كانوا  
يعتمدون في معيشتهم على النهب والسلب ، كما كان للتعالم الدينية التي نشرها بينهم  
علماء نجد أثر كبير في تهذيب أخلاقهم وتصحيح عقائدهم ؛ ولقد سبق أن بينا  
ما ترتب على هذا العمل المجيد من آثار .

ب — توطيد دعائم الأمن الشامل في البلاد على وجه ما تعرفه الجزيرة  
العربية في العصر الحديث قبل حكم عبد العزيز آل سعود ، ولقد اعتمد جلالته في  
الوصول إلى هذه النتيجة السارة على التدابير الآتية :

١ ( تنفيذ حكم الإسلام بقطع يد السارق .

٢ ( تضمين رؤساء القبائل لما يقع في مناطقهم من حوادث فهم المسئولون  
عنها أمام جلالته الملك .

٣ ( الإصلاح بين القبائل والقضاء على ما بينهم من خلاف

٤ ( توحيد الإمارات وضمها إلى مملكته كما فعل مع حائل وعسير ، وفي  
ذلك توحيد للمسئولية وضبط للأمر .

٥ — إدخال النظم الصحية والانتفاع بالطب الحديث بعد أن كان ذلك

مجهولاً ومعادى في المملكة العربية السعودية ؛ ففي سنة ١٣٢٢ هـ / سنة ١٩٢٣ م  
كانت الخطوة الأولى في هذا المضمار ، وحصلت المعجزة فعين عبدالعزیز آل سعود  
طبيباً خاصاً له ولحاشيته ؛ وبعد أن تم له فتح الحجاز نظم الإدارة الطبية التي  
كانت موجودة هناك وجعل لها شعباً في سائر أنحاء المملكة في نجد والأحساء

وعسير ، وأسس مستوصفاً في الرياض لمعالجة المرضى وإعطاء الأدوية مجاناً ، ثم أدخل التطعيم ضد الأمراض ؛ وقد وقف النجديون في سبيل تنفيذ هذه الفكرة في المبدأ لأنهم كانوا يرونها خروجاً على الدين . وأخذ ابن سعود بنظام المستشفيات المتقلة تيسيراً لمداواة الشعب بأقل ما يمكن من النفقات .

د - تشجيع التعليم في البلاد وبين أفراد شعبه الذين كانوا قد توغلوا في الأمية وعدم المعرفة ، فأنشأ كثيراً من المدارس التي لا تعدو في نظامها وطرق التعليم فيها أن تكون على منوال المدارس الابتدائية ، وبعضها أنشئ على نظام المدارس الثانوية حديثاً ، واستقدمت الحكومة السعودية المعلمين لهذه المدارس من مصر والبلاد العربية .

ولا ننسى في هذا المقام البعثات التعليمية التي يرسلها جلالاته إلى مصر وغيرها وينفق عليها النفقات الكثيرة في سبيل العلم والمعرفة .

ومن الوسائل التي سلكها ابن سعود تشجيعاً للمعرفة أن أخذ يطبع الكثير من الكتب العلمية ، وخاصة كتب التفسير والحديث والفقہ ويوزعها على الناس بغير ثمن .

هـ - الانتفاع بالمخترعات الحديثة في بلاده . فاستخدم الأوتومبيل وأدخل التليفون والتلغراف والراديو ، وانتفع بكل هذه الوسائل كما تنتفع بها سائر الأمم المتحضرة ؛ ولكنه لاقى الكثير من العناء في المبدأ من علماء نجد والمتطرفين من الإخوان الذين كانوا يرون أن هذه المخترعات العلمية من عمل الشيطان وأنها بدعة تجب محاربتها ، فكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

اتبع ابن سعود مع هؤلاء جانب الحكمة ، فكان تارة يأخذهم بالحيلة وطوراً بالشدّة ، فمرة يسمعهم القرآن بواسطة الراديو ، فيثبت لديهم أنه ليس من الشيطان لأن الشيطان لا يقرأ القرآن ، وأخرى يقف معهم موقف الحزم وينذرهم بأنه سينزل أشد العقاب بمن يمانع في استعمال التلغراف والسيارات ، كما فعل مع وفد العلماء الذي أتى إليه سنة ١٩٣١ م بالرياض محتجاً ومعتزلاً (١) .

ومع هذا فإننا نعود ونكرر أن البلاد العربية السعودية لا تزال في حاجة ملحة إلى الكثير من أعمال الإصلاح . وإنا نرى أن بعض هذه الأعمال الإصلاحية المطلوبة ينبغي المبادرة به ، مثل إنشاء المرافق الصحية العامة التي تكفي لقضاء حاجة جميع الحجاج أثناء موسم الحج ، وتنظيم الانتفاع بها على وجه يحفظ على الحجاج كرامتهم وراحتهم ويقضيهم شروخ الأمراض والأوبئة . ومثل إعداد المذبح الصحي الذي يتسع لذبح الأضاحي الكثيرة التي يذبحها الحجاج ، مع إنشاء المصانع لتجفيف لحوم هذه الذبائح ، وإعدادها إعداداً يجعلها صالحة للانتفاع بها طول أيام السنة لتوزع على الفقراء والمحتاجين . كذلك إعداد المساكن الكافية الصحية للحجاج والعمل على راحتهم في السفر والإقامة من أمثلة الأعمال الإصلاحية التي ينبغي المبادرة بها . وإن أعمال الإصلاح في البلاد المقدسة مهمة يجب على سائر المسلمين أن يقوموا بها بالطريقة التي لا تجرح كرامة جلالته

الملك ابن سعود ولا تحدى استقلاله ، وهذه ولا شك طريقة محمودة ناجحة ، كما حدث في رصف الطريق بين جدة ومكة برعاية جلالة الملك عبدالعزيز ، وهمة مصر والمصريين .

وهناك بعض الأعمال الإصلاحية الأخرى التي لا تزال تحتاج إلى اهتمام خاص من حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، مثل الضرب على أيدي المحتكرين في المرافق العامة ، والتسوية بين كبار الرجال وبقية أفراد الشعب في إقامة الحدود على الجميع ، ومثمل مضاعفة الجهود في ناحية التعليم ونشر العلم خصوصا بين الطبقات التي تسند إليها أمور الدولة والحكم بين الناس ، فهؤلاء هم القادة الذين بحسن إعدادهم وبصلاحيتهم تصلح الأحوال ؛ كذلك الإشراف على الأحوال الصحية في البلاد ، يحتاج إلى وضعه في أيد أمينة ، وتحت إشراف أطباء أكفاء لهم من التجارب ما يساعدهم على النهوض بهذه الناحية الهامة من نواحي الإصلاح . والحمد لله فلقد بلغني من ثقة أن جلالة عاهل الجزيرة أخذ يعطى هذه الناحية ما تستحقه من العناية ؛ ولقد بدت الآثار العملية لهذه العناية ، فرأينا الحكومة العربية السعودية توفد مندوبها في الشهور الأخيرة إلى مصر ليدرس النظم المصرية الطبية والصحية ، وليستعين ببعض الأطباء المصريين الذين سافروا فعلا إلى المملكة العربية السعودية وأسندت إليهم الأعمال هناك .

وبعد فهذه صفحة من صفحات البطولة في التاريخ قد عرضناها ، ولسنا بحاجة بعد ذلك إلى أن ندل على منزلة صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود بين أبطال الرجال وعظماء العصر الحديث .